

موجز تاريخ الصين

جيان بوه تسان   شاو شيون تشنغ   هو هوا

النتاج القصصي الصيني

تقوم دار النشر باللغات الاجنبية ببكين باصدار مجموعات من القصص والحكايات الصينية القديمة والحديثة، هادفة الى تزويد القارئ العربي ببعض الثمار الناضجة للنتاج القصصي الصيني . ومن هذه الاصدارات :

قصص لو شون المختارة
السحب المتوردة
عاصفة رعدية
طلوع الشمس
ديدان القز الربيعية
القرعة السحرية
الجاموس والنمر
ابنة الملك التنين
حكايات حديثة من الصين
حكايات صينية قديمة
حكايات من البحيرة الغربية



جيان بوه تسان   شاو شيون تشنغ   هو هوا



دار النشر باللغات الاجنبية

بكين

الطبعة الاولى . . . . . . عام ١٩٨٥

دار النشر باللغات الاجنبية
٢٤ شارع باى وان تشوانغ
بكين – الصين

طبع فى جمهورية الصين الشعبية

الفهرس

مقدمة

الصين بلد ذو حضارة موغلة فى القدم وتاريخ طويل وحافل . والغرض من هذا الكتاب الذى الف برعاية الجمعية التاريخية الصينية اعطاء فكرة موجزة عن تاريخها وتحديد تطور المجتمع الصينى .

يقع الكتاب فى ثلاثة اقسام تتناول ثلاث مراحل هى القديمة والحديثة والمعاصرة .

لقد مر الصينيون كمثل كافة الشعوب الأخرى بالمشاعية البدائية والنظامين العبودى والاقطاعى . وكان تطور المجتمع الاقطاعى فى الصين عملية بطيئة وطويلة الامد ، فقد حافظت طبقة ملاك الاراضى الاقطاعيين على نفسها باللجوء الى اشد اشكال الاستغلال والاضطهاد فظاعة ضد الفلاحين . وقد قدمت ثلاث انتفاضات فلاحية واسعة النطاق فى نهاية كل من اسر تشين وسوى ويوان ، حافزا جبارا لتطوير القوى المنتجة الاجتماعية . وتأسست على هذا الاساس امبراطوريات الهان وتانغ ومينغ ذات القوة الهائلة والثقافة الساطعة . ويظهر تاريخ الصين التقاليد الثورية المجيدة التى يتحلى بها الشعب الصينى وميراثه التاريخى الرائع .

لقد شنت بريطانيا حرب الافيون ضد الصين سنة ١٨٤٠ . ومنذ ذلك الوقت دأبت القوى الامبريالية فى الاعتداء على الصين ، وقد عرقلت ، متعاونة مع الاقطاعية الصينية تعاونا وثيقا ، نمو الرأسمالية الصينية ، وجعلت الصين بلدا شبه مستعمر وشبه اقطاعى . ومر الاقتصاد الرأسمالى الصينى بالتواءات وانعطافات

فى تطوره البطىء ، واصبح الشعب الصينى ، مع التغلغل الاعمق لقوى العدوان الامبريالية فى البلاد ، فى حالة يرثى لها من الفقر ، ولكنه صار اشد عزما وقوة فى مقاومته . وكانت ثورة تايبينغ اول انتفاضة شعبية معاصرة قد شنها الفلاحون سنة ١٨٥١ ، وعجلت فى انهيار حكم تشينغ الاقطاعى . وكانت الانتفاضة الثانية هى حركة يى خه توان التى شنها الفلاحون فى سنة ١٩٠٠ . وقد وجه الشعب الصينى ، فى اثناء هذه الحركة ، ضربة شديدة لقوات الدول الامبريالية المشتركة التى ارغمت على التخلى ، لفترة ، عن مؤامراتها لتقسيم الصين . وكانت ثورة ١٩١١ التى قادتها البرجوازية هى الانتفاضة الثالثة . فقد اطاحت بالنظام الامبراطورى الاقطاعى الذى ساد لمدة ٢٫٠٠٠ سنة فى الصين ، واصدرت الحكومة الثورية المؤقتة دستورا مؤقتا ، ورسخت فكرة " الجمهورية الديمقراطية " فى وعى الشعب ، واصبحت استعادة النظام الامبراطورى الاقطاعى مستحيلة . لكن البرجوازية الصينية لم تستطع ، بسبب ضعفها القاتل ، الحاق الهزيمة بالامبريالية والاقطاع وتغيير الطابع شبه المستعمر وشبه الاقطاعى للمجتمع الصينى . وقد اثبت تاريخ الثورة الصينية انه تحت قيادة الطبقة العاملة فقط ، امكن ، ويمكن للشعب ان ينجز بالكامل الثورة ضد الامبريالية والاقطاع معا .

ومع صدى مدافع ثورة اكتوبر الاشتراكية عام ١٩١٧ فى روسيا ، وصلت الماركسية اللينينية الى الصين . فى ذلك الوقت حيث اخذ الاقتصاد الرأسمالى الصينى فى التطور ، واصبحت البروليتاريا الصينية قوية بما فيه الكفاية لقيادة الثورة . وبدأت حركة الرابع من مايو ١٩١٩ ، تحت تأثير الماركسية اللينينية ، لتدشن عهدا جديدا فى تاريخ الصين ، عهد الثورة الديمقراطية الجديدة . وقاد الحزب الشيوعى الصينى الذى تأسس فى سنة ١٩٢١ ، كل الشعب لخوض نضالات حازمة ضد الامبريالية والاقطاع والرأسمالية

البيروقراطية . وخاض الشعب الصيني ، ملتفا حول الحزب الشيوعي ، ثلاث حروب ثورية اهلية وحرب المقاومة ضد اليابان ، وحقق في الاخير النصر الكبير للثورة الديمقراطية الجديدة . وتأسست جمهورية الصين الشعبية في اول اكتوبر ١٩٤٩ ، حيث دخلت الصين عصر البناء الاشتراكي . ويعتبر مولد هذه الجمهورية اعظم حدث عالمي بعد ثورة اكتوبر .

الصين فى المرحلة القديمة
(المجتمع البدائى والمجتمع العبودى والمجتمع الاقطاعى)

١ـ من الماضى السحيق الى عصر الممالك المتحاربة
(قبل القرن الثالث ق.م)

المكتشفات الاثرية

برهنت الاحافير التى تم اكتشافها خلال السنين الاخيرة على وجود البشر فى اراضى الصين فى العصور القديمة . فمنذ عام ١٩٢٩ ، اكتشفت فى تشوكوديان الواقعة على مسافة ٥٠ كيلومترا الى الجنوب الغربى من بكين ، احافير الانسان القرد فى المرحلة الاولى من الامد الحجرى ، وعدد كبير من المستحاثات والادوات الحجرية التى كان الانسان القرد يستخدمها . واظهرت الدراسات التى اجراها الخبراء ، ان الاوان الذى عاش فيه الانسان القرد ـ انسان بكين ، ينتمى الى عصر البلستوسين من الدهر الرابع قبل حوالى ٥٠٠,٠٠٠ سنة . وفى ١٩٥٤ ، اكتشفت احافير اسنان وعدد كبير من الادوات الحجرية التى تنتمى الى اواسط الامد الحجرى القديم ، فى قرية دينغ بمحافظة شيانغفن من مقاطعة شانشى . ثم اكتشفت فى ١٩٣٤ احافير عظام انسان الكهوف الاعلى الذى عاش فى اواخر الامد الحجرى القديم ، مع عدد كبير من الادوات الحجرية والعظمية على قمة جبل لونغقو فى تشوكوديان ، بالاضافة الى احافير كائنات بشرية من الامد الحجرى القديم فى مابا من شاوقوان

فى قوانغدونغ وتشانغيانغ فى هوبى وليوجيانغ فى قوانغشى وموقع ختاو .

ان مخلفات الامد الحجرى الجديد تتوزع على مساحات واسعة ، وقد تم اكتشافها فى مختلف ارجاء الصين . وتعكس هذه المكتشفات ثقافة يانغشاو وثقافة لونغشان وغيرهما . وقد ظهرت الاولى فى مقاطعة خنان وشانشى وشنشى وقانسو ، والثانية فى مقاطعة شاندونغ والسهول الوسطى رئيسيا ، بينما سادت الثقافة الميكرو لثية (ثقافة الادوات الحجرية الدقيقة) الانحاء الواقعة شمال سور الصين العظيم . وفوق ذلك ، اكتشفت ثقافة حجرية جديدة فى انحاء كثيرة من جنوب نهر اليانغتسى .

اساطير ما قبل التاريخ

احتوت الكتب الصينية القديمة على اساطير قبتاريخية وافرة . ومن مشاهير الشخصيات الاسطورية المعروفة : هوانغ دى (الامبراطور الاصفر) الذى تغلب على القبائل الاخرى بأسلحة مصنوعة من الاحجار الكريمة ؛ ولى زو الذى اخترع تربية دود القز ؛ وشون مخترع ادوات اللك ؛ ويوى الذى انتصر على قومية مياو بسلاح مصنوع من البرونز ، وروض الطوفانات . وكان المجتمع الصينى الذى وصفته هذه الاساطير تسوده المشاعية البدائية ويخلو من الطبقات والملكية الخاصة وظواهر استغلال الانسان للانسان .

مملكة شيا (من القرن الـ ٢١ الى القرن الـ ١٧ ق.م)
ومملكة شانغ (من القرن الـ ١٧ الى القرن الـ ١١ ق.م)

يحكى ان مملكة شيا هى اولى الممالك الصينية ، وكان يوى اول ملوكها ، وخلفه ابنه تشى واحفاده حتى الملك جيه الذى سقط على يد اسرة شانغ .

وصلتنا سجلات مملكة شانغ منقوشة على الادوات البرونزية ودروع

السلاحف وعظام الحيوانات . وقد اكتشفت الادوات البرونزية فى مملكة شانغ بمختلف ادوارها . ونقب الآثاريون فى آنيانغ مرات عديدة خرجوا منها بحصيلة وافرة من المخلفات . واكتشفت بقايا مدينة ين القديمة ، وعدد كبير من بقايا ثقافة ين فى تشنغتشو . كما عثر على نقوش كتابية لأول مرة فى قرية شياوتون بمحافظة آنيانغ فى ١٨٩٩ . ومنذ ذلك الحين تم العثور على عدد كبير منها .

وقد اظهرت الدراسات ان هذه الكتابات دونها العرافون حينئذ للتنبؤ بالأحداث ، فسميت لذلك لغة العرافين .

واستنادا الى هذه المعلومات الوافرة تكونت صورة اساسية لثقافة مملكة شانغ ، وهى :

اولا : يمكن التأكد من ان تقنية الانتاج فى مملكة شانغ قد بلغت مستوى الأمد البرونزى ، حيث تنوعت برونزيات مملكة شانغ ، وشملت ، رئيسيا ، ادوات الطبخ واوانى الشرب والاسلحة . ومن هذه مرجل ضخم يسمى « سى مو وو دينغ» ويزن ٧٠٠ كيلوغرام وهو عمل فنى كبير ، اما البرونزيات مثل الملاعق والكؤوس والحراب فهى رائعة الصنع ولا مثيل لها فى العالم من حيث عددها وتنوع اشكالها ودقة صنعها وجمال رسومها .

ثانيا : اكدت المكتشفات الاثرية ان مملكة شانغ قد دخلت اوان الزراعة التى تمتعت بالصدارة فى اقتصاد المماكة ، وذلك مبين فى نقوش العرافين التى احتوت على مواد تنبؤية كثيرة عن الحصاد والمطر ، مما يظهر اهمية الزراعة فى حياة الشعب آنذاك . واكثر المزروعات تدوينا فى هذه النقوش هي الدخن ، ثم القمح . كما ذكرت اسماء دود القز واشجار التوت والحرير مرارا ، مما يدل على ان النبلاء فى ممكلة شانغ قد استعملوا المنسوجات الحريرية فى ملابسهم . اما تربية المواشى فتراجعت وراء الزراعة فى هذا الوقت . وقد عرف

التجار استخدام البقر والخيل لجر العربات . وفى ذلك الوقت ، عاش الفيل فى حوض النهر الاصفر ، واستخدم فى الحرب . دلت على كل ذلك المكتشفات الاثرية والسجلات الكهنوتية على السواء .

ثالثا : دلت المكتشفات الاثرية على ان مملكة شانغ هى مجتمع عبودى . واظهرت نوعية البرونزيات وجود عبيد كانوا يصنعون الادوات الراقية خصيصا للارستقراطيين . كما وجد مشرفون على شؤون العبيد ، الى جانب عدد كبير من العراقين . ومن الطبيعى ان يوجد عدد اكبر من الناس كانوا يمارسون الانتاج الزراعى وتربية المواشى لتوفير مستلزمات الحياة لأولئك الذين ينصرفون عن الانتاج المباشر . وظهر من بعض الحفريات ان عدد قرابين العبيد الذين دفنوا فى مقبرة واحدة بلغ اكثر من ثلاثمائة او اربعمائة . وعثر فى مقابر اطلال مدينة ين على اكثر من الفى عبد موؤودين كقرابين بشرية ، مما يدل على ضخامة عدد العبيد فى ذلك الوقت . وكان هؤلاء العبيد اما اسرى او متهمين بجرائم . وقد اثبتت المعلومات التاريخية ان مملكة شانغ تميزت بكثرة الحروب وقساوة العقوبات وفظاعتها .

استنادا الى المعلومات الحالية ، لا يمكن تحديد النطاق الاقليمى لمملكة شانغ تحديدا دقيقا ، ولكن يمكن القول ان شعب المملكة كان ينشط فى مساحة واسعة . وعلى العموم ، كانت مملكة شانغ تحكم الجزء الاوسط من خبى شمالا ، ونهرى اليانغتسى وهوايخه وهوبى جنوبا ، وشاندونغ شرقا ، وشنشى غربا . وكانت فى هذا الاقليم الواسع قبائل كثيرة ودويلات عديدة خاضعة لمملكة شانغ .

سجلت اسماء حكام شانغ فى كتاب « تاريخ ين » الذى ضم اسماء ١٣ جيلا من الحكام بدءا من الحاكم الاول شى الى الجيل الثالث عشر الملك تانغ ، واسماء ٣٠ ملكا بين الملك تانغ وملك شانغ الاخير المسمى تشو .

وتتفق اسماء هؤلاء الملوك التى دونت فى « تاريخ ين » مع اسمائهم المدونة فى نقوش العرافين بصورة عامة . اما عمر مملكة شانغ فلم يعرف حتى الآن . ويستخلص من « سجلات تسوه تشيو مينغ » انها عاشت حوالى ٦٠٠ سنة .

مملكة تشو الغربية (من القرن الحادى عشر الى القرن الثامن ق.م) ومملكة تشو الشرقية (من القرن الثامن الى القرن الثالث ق.م)

فى اواخر سنوات مملكة شانغ ، نهض شعب تشو متمردا فى حوض نهر وى فى شنشى ، ولكن فى اية سنة تأسست مملكة تشو ، وفى اية سنة قضت على مملكة شانغ ، لا يمكن تحديد ذلك على وجه الدقة . لقد ذكرت السجلات التقليدية ان مملكة تشو الغربية قضت على مملكة شانغ فى الحقبة الاخيرة من القرن الحادى عشر (ق.م) ، وان الجدول الزمنى لـ ١٢ اميرا ادرجوا فى سجلات التاريخ ، يبدأ من عام ٨٤١ (ق.م) حيث اخذ تسجيل تاريخ الصين من ذلك العام صورته الدقيقة .

واستنادا الى مأثورات الشعر والغناء فى بداية مملكة تشو ، عرف ان الحاكم الاول لمملكة تشو هو تشى ابن الحورية جيانغ يوان . ويحكى ان تشى هو اول من زرع الذرة التى كانت القوت الرئيسى للشعب . وصار تشى مبجلا بين الناس بوصفه اله الزرع .

ويقال ان شعب تشو كان ينشط فى اقليم تاى (محافظة ووقونغ من مقاطعة شنشى اليوم) . وبناء على التحقيقات والتحريات والمكتشفات الاولية التى قام بها شغيلة الآثار ، تأكد ان ثقافة مملكة تشو كانت منتشرة فى حوض نهر وى . وتكثر مخلفات شعب تشو فى المناطق الواقعة بين تشيشان وفنغ وهاو .

وقد هجر شعب تشو موطنه عدة مرات ، واخيرا انتقل حاكمهم تاى

وانغ الى تشويوان (محافظة تشيشان بمقاطعة شنشي اليوم) ، واتخذ " تشو " اسما لمملكته . واصبح وانغ جي ابن تاي وانغ حاكما قويا فى الاقليم الغربى ، ولكنه قتل فيما بعد على يد ون دينغ . ان مملكة تشو بدأت تابعة لمملكة شانغ ، وذلك مبين فى نقوش العرافين . وقد استولى الملك ون ابن وانغ جي على الدويلات المجاورة ، ووحد حوض نهر وى ، ثم نقل عاصمته الى فنغ (بالقرب من شيآن بمقاطعة شنشي اليوم) فى المجرى الاسفل من نهر وى ، ومد نفوذه الى مقاطعتى شانشى وخنان . ثم تغلب ابنه وو على مملكة شانغ وانشأ مملكة تشو ونقل عاصمته من فنغ الى هاوجينغ . وبسبب اقامة المملكة الجديدة عاصمتها فى الاقليم الغربى ، اطلق المؤرخون عليها اسم " تشو الغربية " .

وبعد وفاة الملك وو ، تمرد شعب شانغ على مملكة تشو ، فشن تشو قونغ اخ الملك وو حملات على الاقليم الشرقى حيث قضى على اكثر من ٥٠ دويلة ، ودمر بقية نفوذ شانغ فى الشرق ، وبسطت تشو الغربية نفوذها على المجرى الاسفل للنهر الاصفر ، بحيث صار حوض النهر الاصفر كله تقريبا تحت حكم تشو الغربية .

ومن اجل توطيد حكم تشو، اهدى الملك تشو قونغ الاراضى التى استولى عليها ، الى ارستقراطيى مملكته ، ومنح اولاده واولاد الملك ون والملك وو السابقين القاب الامراء . وقد انتشرت اقطاعاتهم فى مقاطعات شنشى وخنان وشاندونغ وشانشى وخبى وهوبى ، ووقعت معظم الاقطاعات فى داخل حدود مقاطعة خنان . ويحكى ان الملك تشو قونغ منح ٧١ شخصا لقب الامير . والى جانب ذلك ، كان هناك كثير من الدويلات خضعت لحكم تشو الغربية ، ودفعت لها الجزية بصفتها ممالك تابعة .

وحول المرحلة التى بلغها مجتمع تشو الغربية فى تطوره ، ما زال هناك

خلاف بين المؤرخين الصينيين . فيرى بعضهم انه كان فى بداية المجتمع الاقطاعى ، بينما يرى بعضهم الآخر انه كان مجتمعا عبوديا . ووفقا للدراسات الآثارية الموثقة يمكن تلخيص احوال مجتمع تشو الغربية فى النقاط التالية :

(١) كانت القوى المنتجة الاجتماعية فيها اكثر تطورا من مملكة شانغ ، وتمثل ذلك فى تطور الزراعة على وجه الخصوص . ويستفاد من النقوش على البرونزيات ، كما يستفاد من « كتاب الاغانى » و« كتاب التاريخ » ان مجتمع تشو الغربية كان مجتمعا زراعيا مزدهرا يتفوق على مجتمع شانغ من حيث جودة ادوات الحراثة وازدياد اصناف المزروعات واتساع نطاق الزراعة . ويمكن القول ان مملكة تشو الغربية طورت الزراعة فى كل بقعة امتد اليها نفوذها . وقد قدم شعب تشو الغربية مساهمة كبيرة فى استثمار حوض النهر الاصفر .

(٢) شهدت علاقات الانتاج الاجتماعية لتشو الغربية رقيا الى حد ما بالمقارنة مع مملكة شانغ ، اذ يستفاد من نقوش البرونزيات و« كتاب الاغانى » و« كتاب التاريخ» ان هناك نظام طبقات قائما على ملكية الارض . وقد منح الملك بعض الاراضى مع سكانها للأمراء ، ثم منح الامراء قسما منها لكبار موظفيهم . وبذلك تشكلت طبقة تملك ارضا مع فلاحيها . ولم يكن للمزارعين اراض وانما كانوا يزرعون قطعا صغيرة يتسلمونها من الملاك لسد حاجتهم ، بينما كانوا يزرعون للملك والامراء وكبار الموظفين بدون مقابل . ويملك المزارعون وسائل الانتاج والمساكن ومزارع الخضروات، لكنهم كانوا تابعين لصاحب الاقطاعة.

(٣) كان نظام الطبقات فى تشو الغربية مرتبطا مع النظام الابوى الذى يقصر حق الارث على الابن الاكبر . وكان الابن الاول من الزوجة الشرعية عند الارستقراط يرث المكانة السياسية والثروة ، وكان يسمى " تسونغ تسى" (الوريث الشرعى) . فكان هناك دائما تسونغ تسى للمملكة ، وتسونغ تسى

للمقاطعة ، وتسونغ تسى للوزارة . وكان هؤلاء الورثة ، على اختلاف مكانتهم السياسية ، ملاكا للأراضى بمختلف المستويات .

(٤) تطورت ثقافة تشو الغربية على اساس ثقافة مملكة شانغ ، وتجلت هذه الحقيقة فى الابداعات الفنية واشكال اللغة المكتوبة فى ذلك العهد . وتبدو الاشعار والاغانى والاوامر الملكية والمدونات ارقى مستوى مما فى مملكة شانغ .

وقد عثر على كثير من النقوش المنحوتة بمئات المقاطع على البرونزيات والتى يرجع تاريخها الى الطور المتأخر من تشو الغربية . والى جانب ذلك ، نجد لسكان تشو الغربية تفوقا على سكان شانغ فى مدركاتهم حول الوجود والطبيعة .

كان الملك يو آخر ملوك تشو الغربية ، وقد قتل على يد اهالى تشيوانرونغ ، احدى الاقليات القوميــة ، فنقــل ابنه الملك بينغ عاصمــة المملكــة الى لويى عام ٧٧٠ (ق.م) . وبما ان لويى تقع فى شرقى هاوجينغ ، فقد سميت مملكة تشو من ذلك العام بمملكة تشو الشرقية ، وعرفت الحقبة بين ٧٢٢و٤٨١ (ق.م) لتشو الشرقية بحقبة الربيع والخريف ، بينما سميت المدة بين ٤٠٣ و٢٢١ (ق.م) لنفس المملكة بحقبة الممالك المتحاربة . وخلال حكم تشو الشرقية الذى دام اكثر من خمسمائة سنة ، تحقق تقدم كبير وانجازات هامة فى مضمار الحضارة . وشهد الوضع الاجتماعى خلال المدة الكائنة بين حقبتى الربيع والخريف ، والممالك المتحاربة ، تقدما اكثر بالمقارنة مع تشو الغربية . نلخص اهم مظاهره فيما يلى :

(١) تطور القوى المنتجة الاجتماعية باكتشاف واستخدام الحديد . وردت اقدم اشارة للحديد فى قوانين مملكة جين المسبوكة على مرجل حديدى عام ٥١٣ (ق.م) . وبرهن هذا التسجيل على ان الصين قد انتجت الحديد المسبوك فى نهاية القرن السادس (ق.م) على الاقل . وقد بينت المكتشفات

الاثرية ان ادوات الحديد قد استخدمت على نطاق واسع في البرهة الاخيرة من حقبة الربيع والخريف وما بعدها من حقبة الممالك المتحاربة . وقد اكتشف عدد كبير من القوالب الحديدية فى محافظة شينغلونغ من مقاطعة خبى ، وعدد كبير آخر من الادوات الحديدية فى المقابر التى يرجع تاريخها الى عصر الممالك المتحاربة فى محافظة هوى من مقاطعة خنان . وان اكتشاف الحديد ادى الى تحسين نوعية الادوات الزراعية وادوات الحرف اليدوية ، مما دفع تطوير الزراعة والحرف اليدوية وحفز النشاط التجارى . ومن ذلك الحين ، بدأت المدن او البلدات تتشكل على اساس القلاع التى كان الامراء يشرفون عليها . وفى عصر الممالك المتحاربة اصبحت البلدات التى لكل منها عشرة آلاف اسرة ، ظاهرة غير قليلة . وكانت عاصمة مملكة تشى عامرة بسبعين الف اسرة . وكانت عربات الخيل تجرى فى الشوارع ليل نهار فى مملكة وى ، دليلا على مدى الازدهار والغنى فى ذلك الوقت . ومع تطور التجارة بدأ استخدام العملة ، حيث ظهرت المسكوكات المعدنية على نطاق واسع فى عصر الممالك المتحاربة ، وكان كل مركز تجارى يملك مسكوكات خاصة ، وقد تم اكتشاف اكثر من ٢٠٠ من هذه المراكز .

(٢) ومع تقدم القوى المنتجة طرأ بعض التغير على ملكية الاراضى . ففى مملكة تشو الغربية ، كان الارستقراطيون يملكون الاراضى كلها ، ولا يسمح بالاتجار فيها . ومنذ اواسط حقبة الربيع والخريف ، تحولت بعض الاراضى بالتدريج الى ايدى طبقة ملاك الاراضى وطبقة الفلاحين الناشئتين ، حتى اصبح الاتجار فى الاراضى امرا عاديا فى عصر الممالك المتحاربة ، بحيث حصلت طبقة الملاك الناشئة على مقدار كبير من الاراضى من ايدى الامراء والوزراء ، واستغلوها بالايجار للحراثين ، وظهر بذلك ريع جديد يتألف من المحاصيل مقابل الريع السابق المؤلف من خدمات المزارعين المجانية فى

اراضى الملاك . وبسبب تحول شكل الريع ، اصبحت تبعية الحراثين لمالك الارض اقل صلابة من ذى قبل .

(٣) ان الارتفاع فى مستوى القوى المنتجة لم يغير ملكية الارض فحسب ، بل طور الاقتصاد المحلى ايضا . وكان حوض نهر وى اكثر ازدهارا . وفى حقبة الربيع والخريف ، تطورت اقتصاديات مختلف الممالك مثل تشى (فى شاندونغ) وجين (فى شانشى) وتشنغ (فى وسط خنان) وسونغ (فى شرق خنان) وتشين (فى شنشى) وتشو (فى هوبى) . وعم الازدهار حوض النهر الاصفر كله . وحول تطور الاقتصاد المحلى ، يمكننا ان نجد دلائل من خلال المكتشفات الاثرية ، فبينما كانت مخلفات تشو الغربية من البرونزيات تنتمى الى البلاط حصرا ، اذ لم يعثر على اية مخلفات من الدويلات ، نجد ان مخلفات تشو الشرقية من الاوانى البرونزية ينتمى معظمها الى الدويلات . وبعد اواسط عصر الممالك المتحاربة ، امتدت مملكة تشو الى مقاطعات هوبى وهونان وآنهوى وجيانغسو وتشجيانغ وجزء من مقاطعات شاندونغ وخنان وسيتشوان وقويتشو ، ومكنها ذلك من تقديم مساهمات كبيرة فى استثمار اقاليم جنوب الصين . وقد عثر على كمية كبيرة من المخلفات الاثرية لمملكة تشو فى آنهوى وهونان وهوبى وجنوبى خنان فى السنوات الاخيرة ، منها شرائح الخيزران والخشب التى نحتت عليها كتابات صينية . وذلك برهان على تقدم ثقافة مملكة تشو . وعلاوة على ذلك ، كانت مملكة تشين ومملكة تشاو (فى خبى) ومملكة يان (فى خبى وشبه جزيرة لياودونغ) وغيرها قد وسعت حدودها الجغرافية باستمرار . وزحف جيش مملكة تشو بقيادة تشوانغ تشياو الى يوننان حيث انشأ مملكة ديان . وبذلك تم ربط يوننان بقلب الصين لأول مرة فى مجال الثقافة .

(٤) ومع تطور الاقتصاد المحلى ، حدثت تغيرات سياسية فى حقبتى

الربيع والخريف والممالك المتحاربة . ففى تشو الغربية ، انتشر كثير من الامارات فى حوض النهر الاصفر ، وبدأ بعض الامراء الاقوياء فى عصر الربيع والخريف بتوسيع نطاق اراضيهم بالقوة ، واجبروا الدويلات الصغيرة والضعيفة على ان تطيع أوامرهم ، حتى تشكلت اخيرا ممالك قوية خمس تتنازع على الهيمنة ، وهى تشى وسونغ وجين وتشين وتشو . وفى فترة الانتقال من عصر الربيع والخريف الى عصر الممالك المتحاربة ، انقسمت مملكة جين القوية الى ثلاث ممالك وهى الهان (فى خنان) وتشاو ووى (فى خبى وشانشى) ، واصبحت هذه الممالك الثلاث مع تشى وتشين وتشو ويان سبع ممالك قوية تجابه بعضها بعضا . وعلى كل حال ، كان اتجاه التاريخ العام فى عصر الربيع والخريف وعصر الممالك المتحاربة يسير من الانقسام الى التوحيد ، اذ ان طبقة ملاك الاراضى وطبقة الفلاحين الناشئتين طالبتا بالغاء الحكم الانفصالى للارستقراطيين ، وانشاء السلطة السياسية الموحدة . وبذلك الغى نظام الاقطاعات جزئيا ، وحل محله نظام المقاطعات والمحافظات . وتحقيقا لهذا النظام الجديد ، فان حكام المقاطعات او المحافظات كانوا يعينون من قبل الملك ، ويتحملون مسؤولية مباشرة امامه . وتغير ايضا اسلوب المكافأة من طريقة منح الاقطاعات الى نظام الاجور .

الثقافة فى عصرى الربيع والخريف والممالك المتحاربة

فى اواخر عصر الربيع والخريف ، اخذت المعارف الاكاديمية الصينية تزدهر ، وكان كونفوشيوس (٥٥٢–٤٧٩ ق.م) يدافع عن نظام التراتب الاقطاعى ، ولعب دورا هاما جدا فى نشر المعارف الاكاديمية القديمة . وفى عصر الممالك المتحاربة ، كان الاقتصاد الاجتماعى فى تغيرات عنيفة ، واثر ذلك فى المجال الفكرى تأثيرا عميقا ، مما ادى الى ظهور الجدل والمباراة

بين المدارس الفكرية المختلفة . كان المثقفون الذين ينتمون الى مدرسة كونفوشيوس يأخذون بتعاليم الملك ون والملك وو ، حيث دعوا الى التراتب الاقطاعى والنظام الابوى ، ودافعوا عن نظام الدرجات للحكام الارستقراطيين . اما موه تسى (٤٨٠؟-٣٩٠؟ ق.م) ومريدوه فكانوا يعارضون الحروب الداخلية بين الامراء ، وظواهر الاسراف والتبذير ، واعتداء القوى على الضعيف ، واهانة الغنى للفقير ، واستخفاف الارستقراطيين بعامة الناس ، واستغفال البسطاء ؛ ويدعون الى السلم والتقشف والاخوة والمنفعة المتبادلة . ويعكس ذلك تفكير الفلاحين واصحاب الحرف اليدوية والتجار الصغار الذين عانوا من الاضطهاد وافتقروا الى روح المقاومة . وكان اتباع مدرسة لاو تسى وتشوانغ تسى (٣٦٥؟-٢٩٠؟ق.م) يعارضون التحول الاجتماعى ، ويدعون الى العودة الى المجتمع البدائى . ومن الواضح ان هذه الدعوة تعكس تفكير طبقة الارستقراط الآفلة . اما اتباع المدرسة الشرائعية مثل شانغ يانغ (٣٩٠؟-٣٣٨ق.م) وهان فى (٢٨٠؟-٢٣٣ق.م) فكانوا يدعون الى انشاء سلطة مركزية تستند الى حكم القانون (الشرائع) ، معبرين بذلك عن المطالب السياسية لطبقة ملاك الاراضى الناشئة . وتعكس هذه المدارس الفكرية صراع الطبقات المختلفة حول مصالحها الخاصة .

وشهدت العلوم الطبيعية فى هذه الفترة تقدما كبيرا . فقد عرف علماء الفلك الصينيون الكواكب الرئيسية واستطاعوا تقدير حركات الشمس والقمر والكواكب الخمسة وهى عطارد والزهرة والمريخ والمشترى والزحل . وقام المهندسون الهيدرولوجيون مثل لى بينغ وتشنغ قوه ببناء مشاريع الرى ، وحققوا انجازات كبيرة فى ذلك . وبفضل تطور المواصلات ، بدأ علماء الجغرافيا يدركون ان الصين ليست العالم كله ، واخذوا يتحدثون عن جغرافيا الاراضى الاخرى خارج الصين . كما احرز تقدم فى علم الفيزياء ، فوردت فى « مؤلفات موه

تسى » بعض المبادئ الاساسية عن الضوء والميكانيكا .

ونشر عدد كبير من الكتب التاريخية ، ودونت « حوليات الربيع والخريف » بقلم تسوه تشيو مينغ و« الحديث عن الدول » و« السجلات عن الممالك المتحاربة » و« كتب شرائح الخيزران عن الاحداث التاريخية » ، وقد الفت جميع هذه الكتب تقريبا فى عصر الممالك المتحاربة . اما فى حقل الادب فوجدت الكتابات النظرية المطولة الى جانب التعليقات على الاحداث . وظهرت « قصائد تشو » الغنائية الطويلة لتشيوى يوان (حوالى ٣٤٠–٢٧٨ق.م) شاعر تشو العبقرى . وتعتبر « قصائد تشو » و« كتاب الاغانى » جزءا من التراث الفريد للأدب الصينى .

٢– امبراطورية تشين وامبراطورية الهان
والممالك الثلاث وامبراطورية جين
والمملكتان الجنوبية والشمالية
(القرن الثالث ق.م – القرن السادس م)

امبراطورية تشين (٢٢١–٢٠٧ ق.م)

قضى شى هوانغ دى (٢٤٦–٢١٠ق.م) اول امبراطور فى الصين على الممالك الست وهى الهان وتشاو ووى وتشو ويان وتشى ، ووضع حدا للحكم الانفصالى الاقطاعى الذى دام اكثر من ٨٠٠ سنة ، وأسس اول امبراطورية اقطاعية ذات سلطة مركزية فى تاريخ الصين .

ان ظهور هذه الامبراطورية الكبيرة يعتبر انتصارا تاريخيا لطبقة ملاك الاراضى . فقد حصلت هذه الطبقة على ملكية الاراضى من ايدى الامراء

فى عصر الممالك المتحاربة ، واخذت تسيطر بالتدريج على الاقتصاد ، وتطالب بانهاء حالة التجزئة وانشاء حكومة مركزية تمارس فيها دكتاتورية طبقة ملاك الاراضى .

واعلنت حكومة امبراطورية تشين الغاء نظام الاقطاعات للأمراء ، وتطبيق نظام المقاطعات والمحافظات ، والغاء ملكية الاراضى للارستقراطيين ، والسماح بالاتجار الحر فى الارض ؛ ووحدت مقاييس الاطوال والكيل والوزن ، وحققت وحدة العملة والقوانين واللغة المكتوبة ، كما وحدت اطوال العجلات واشكال الملابس والتقاويم ؛ وازالت كل القلاع والاسوار الحاجزة بين الممالك السابقة ، فأصبحت شيانيانغ فى شنشى عاصمة امبراطورية تشين مركز المواصلات الذى تتفرع منه شبكة طرق الى انحاء البلاد ، واستطاعت السفن التجارية ان تصل الى مقاطعة قوانغدونغ النائية . وظهر عدد كبير من المدن التجارية الكبيرة فى الاقاليم الجيدة المواصلات حيث كانت التجارة تجرى فى حرية .

ومن اجل توطيد الحكم الجديد ، جمع الامبراطور شى هوانغ دى كل الاسلحة التى فى حوزة الشعب ، ودمرها ، ونفى بعض النبلاء من الممالك الست الى الاقاليم الحدودية . ومن اجل القضاء التام على ثقافة الارستقراطيين القدامى ، امر شى هوانغ دى فى ٢١٣ (ق.م) باشعال النار فى الكتب ماعدا كتب الطب والفلك والزراعة . اما المثقفون الذين ناصبوا الحكم الجديد العداء والذين شجبوا الحاضر ودافعوا عن الماضى ، فقد دفنهم احياء .

كان شى هوانغ دى وخلفه الامبراطور الثانى الذى حكم ٢٠٩-٢٠٧ (ق.م) يستغلان القوة العاملة للشعب بلا حدود ، فجبيا ثلثى محصولات الفلاحين كايجارات للأرض . ونتيجة لذلك نفذت قطع كبيرة من الارض من ايدى الفلاحين الى ملاك الاراضى والتجار . كما سخرا ٣٠٠٫٠٠٠ رجل

لبناء السور العظيم وارسلا ٥٠٠ر٠٠٠ رجل ليقيموا كحامية فى لينغنان (قوانغدونغ) . وبالاضافة الى ذلك ، استخدم ٧٠٠ر٠٠٠ رجل لبناء القصور ، وعدد مماثل من الرجال لبناء ضريح شى هوانغ دى ، وعشرات الآلاف من الرجال لشق الطرق . وبسبب تفاقم اجراءات السخرة والتجنيد ، لم يجد الفلاحون وقتا للزراعة فى حقولهم ولم تجد نساؤهم وقتا للغزل والنسج . وكان من نتيجة ذلك ان نشبت فى ٢٠٩ (ق.م) انتفاضة فلاحية كبرى بزعامة تشن شنغ (؟–٢٠٨ق.م) ووو قوانغ (؟–٢٠٨ ق.م) حيث دمر الفلاحون المنتفضون بالمجارف والهراوات حكم امبراطورية تشين .

تأسيس امبراطورية الهان الغربية وتوسعها (٢٠٦ق.م – ٢٤م)

فى ٢٠٦ (ق.م) قام ليو بانغ (٢٥٦–١٩٥ق.م) احد زعماء الفلاحين المنتفضين والذى عرف فيما بعد باسم الامبراطور قاو دى ، ببسط نفوذه على جميع انحاء الصين ، واسس امبراطورية الهان القوية ، واتخذ من تشانغآن المعروفة اليوم باسم شيآن عاصمة لها ، وقد عرفت هذه الامبراطورية فى التاريخ باسم الهان الغربية .

كان تأسيس الهان الغربية نتيجة لانتفاضة فلاحية . ومن خلال تاريخ الصين ، نرى انه كان بامكان الانتفاضات الفلاحية ان تسقط حاكما ولكنها لم تستطع القضاء على النظام الاقطاعى بحيث ان قادة الانتفاضات الفلاحية لا يلبثون ان يصبحوا ملاكا للأراضى ويضطهدوا الفلاحين .

ان نظم الهان الغربية كانت على غرار نظام امبراطورية تشين ، وكان هدفها هو الحفاظ على ممتلكات طبقة ملاك الاراضى وسلطتها السياسية ، والاستمرار فى اضطهاد الفلاحين . وقد اجبرت قوة الفلاحين فى الانتفاضات

الحكام الجدد على تقديم بعض التنازلات السياسية والاقتصادية ، وكانت هذه التنازلات تخدم بدورها تطور الاقتصاد لصالح الحكام الجدد ، اذ لا يمكن تأسيس امبراطورية متمكنة وناجحة بدون اقتصاد متطور . ففى سبيل انعاش الاقتصاد الريفى ، اتخذت الحكومة المركزية فى الهان الغربية بعض الاجراءات ضد الاحتكار والمضاربات التجارية ، وحرمت التجار من التوظف فى الدولة ، مما دفعهم الى التواطؤ مع الامارات المحلية والوقوف الى جانب الانفصاليين فى تحدى الحكومة المركزية .

وخلال نصف قرن بين ١٩٤–١٤١ (ق.م) من عهد الامبراطور هوى دى الى عهد الامبراطور جينغ دى ، ظل الصراع مستمرا بين الانفصاليين والسلطة المركزية . ثم تمكن الامبراطور جينغ دى من وضع حد للتمرد فى سبع امارات ، وعزز بذلك وحدة البلاد . وتحت حكم الامبراطور وو دى (١٤٠–٨٧ق.م) ، وصلت الهان الغربية اوج قوتها ، واصبحت تتمتع بسلطة غير محدودة . وازداد نفوذ الكونفوشية التى تمثل افكار وآراء السلطة المركزية ، وتعرضت الاتجاهات الفكرية الاخرى للكبت . فكانت الكتب الكلاسيكية الخمسة التى يقوم بتدريسها اساتذة الكونفوشية مقررة رسميا فى الاكاديمية الامبراطورية ، واصبح للكونفوشية منذ ذلك الحين مكانة رفيعة فى تاريخ الفكر الصينى .

واثناء السنوات الاولى من حكم الهان الغربية ، بدأ الاقتصاد الريفى يتحسن ويتخلص من آثار الحروب السابقة . ففى فترة حكم وو دى ، جاب استقرار الحكومة المركزية واستقرار الاقتصاد الازدهار والثراء للتجار وملاك الاراضى . وفى نفس الوقت جلب هذا التطور مزيدا من تركز ملكية الاراضى فى يد فئات معينة . فقد اتسعت الصناعة التى كانت لا تزال فى طورها اليدوى ، وتمكن التجار من تجميع ثروات طائلة عن طريق صناعة الحديد وانتاج

الملح . وكان يشتغل لدى بعض العائلات التجارية حوالى الفى شخص ، وكانت مصانع الحديد فى تشانغآن وفى المحافظات مشاريع حكومية ، وكذلك مناجم الذهب والفضة فى سيتشوان ومعامل النسيج فى تشانغآن فى يد الدولة . وكانت اشغال البرونز والطلاء واعمال التطريز والصباغة والتقطير على مستوى اعلى مما كانت عليه فى العصور السابقة سواء من حيث المهارة ودقة الصنع او كمية الانتاج . وقد ساهم تطور الصناعات اليدوية فى تقوية النشاط التجارى ، فكانت تشانغآن مركزا رئيسيا للتجارة ، ولويانغ وتشنغدو وهاندان ولينتسى ونانيانغ مدنا تجارية مزدهرة ونشطة .

وقد انشغل كبار التجار فى المدن بالمضاربات ، وفتح التجار المتوسطون والصغار المتاجر واصبحوا يشترون البضائع بأثمان بخسة ويبيعونها بأسعار عالية . كما تحقق قدر كبير من التكامل الاقتصادى ، فنقلت العربات والقوارب البضائع من منطقة الى اخرى .

وصاحب النمو فى الاقتصاد نمو فى العلاقات الاقتصادية والاجتماعية بين مختلف القوميات فى البلاد . وخلال حكم وو دى ، اسست محافظات فى قوانغدونغ وفوجيان فى الجنوب والجنوب الشرقى لتشديد السيطرة على هذه المناطق . وفى الشمال والشمال الغربى شنت سلسلة طويلة من الحروب الواسعة ضد شيونغنو التى كانت تشن الغارات على الحدود . وقد استمرت الحروب ضد شيونغنو مدة تسعين عاما من بداية حكم وو دى (١٤٠ق.م) حتى نهاية عهد شيوان دى (٧٣–٤٩ق.م) . وبقيادة الضابطين المشهورين : وى تشينغ (؟ -١٠٦ق.م) وهوه تشيوى بينغ (؟–١١٧ق.م) ، احرزت جيوش الهان الغربية انتصارات حاسمة . .وفى عام ٥١ (ق.م) استسلمت شيونغنو وتحولت اراضيها الى اقطاعة تابعة للهان الغربية ولم تعد خطرا يهددها من الشمال .

ولكن شيونغنو استطاعت حينذاك الاستيلاء على بعض الدويلات الصغيرة

الواقعة الى الغرب . وفى ١٣٨ (ق.م) اوفد وو دى مبعوثه تشانغ تشيان (؟-١١٤ق.م) الى تلك الانحاء حيث اكتشف بلدانا غنية ومزدهرة . وفى ١٢١(ق.م) شقت قوات الهان الغربية طريقا الى المناطق الغربية عبر ممر قانسو . وبعد ذلك ، سحقت قوات الهان حكم شيونغنو فى شمال وجنوب جبال تيانشان ، ووضعت جميع الدويلات هناك تحت سيطرتها .

ومن وقت لآخر ، كان التجار من الهان الغربية وآسيا الوسطى يرسلون البضائع الصينية وخاصة الحرير الى اقصى الغرب * مثل مناطق داوان وكانغجيوى وداشيا وبلاد فارس والهند والمدن الرئيسية فى الامبراطورية الرومانية . كما كانوا يجلبون من هناك المنتجات التى يحتاجها حكام الهان الغربية وشعب السهول الوسطى . وقد بلغت الهان الغربية قمة مجدها بعد قضائها على شيونغنو ، وفتحها المناطق الغربية .

تركز ملكية الارض ايام الهان الغربية وانتفاضات الفلاحين

شهد نصف القرن التالى لحكم يوان دى (٤٨-٣٣ق.م) تفكك الهان الغربية . فقد ساد الفساد البلاط الامبراطورى ، واصبح اصهار العائلة الامبراطورية والوزراء المقربون من الاباطرة ، شخصيات سياسية هامة ، وحازوا الثروات الطائلة عن طريق الاختلاس والابتزاز والسرقة وقبول الرشوة واساءة استعمال الامتيازات . فمنذ فترة حكم وو دى ، تعددت الضرائب واصبحت مرهقة للناس ، بينما الدخل السنوى للامبراطور من ضرائب الارض والسكان والخدمة العسكرية والتبغ والاعمال التجارية ، ومن الضرائب على الممتلكات ،

* يطلق اسم الغرب فى الصين قديما على العالم الواقع غرب الصين سواء كان آسيويا او اوروبيا ، ويشمل فيما يشمل الهند وايران والشرق العربى الى جانب اوروبا.

ومن احتكارات الملح والحديد التى شرعها وو دى ، كان يفوق آلاف الملايين من القطع النقدية . وكان كل فلاح مجبرا على السخرة مدة تسعين يوما فى السنة ، بالاضافة الى ما يدفعه من الضرائب . ومثل هذا الاستغلال الخالى من الشفقة حرم الفلاح من ثمرة جهوده .

وفى ٥٠ (ق.م) اشتدت مشكلة ملكية الارض حدة ، مما ارغم الحكومة على القيام بتأجير الاراضى البور واراضى الدولة المحيطة بالحدائق الامبراطورية للفلاحين ليزرعوها ، ولكن الاقتصاد الريفى كان قد تدهور بسبب الكبت السياسى المقرون باستغلال الفلاحين عن طريق الربا . وكان ملاك الاراضى البيروقراطيون يضعون ايديهم على مساحات شاسعة . ففى احدى المناسبات منح الامبراطور احد وزرائه المقربين مائتى الف مو .*

وحسب احصاء اجرى فى عام ٢م ، كان مجموع سكان الصين ٦٠ مليونا ومساحة الارض المزروعة ١٢٠ مليون مو . وقد دفع الاستغلال القاسى كثيرا من الفلاحين الى هجر اراضيهم ليصبحوا بلا مأوى ، وكان بعضهم يساق ويباع مع قطعان المواشى ، ولم يكن لدى البعض الآخر من بد سوى ان يبيعوا أنفسهم عبيدا . وزاد عدد العبيد المنزليين على ١٠٠ر١٠٠ شخص ، ولم يكونوا يقومون بأعمال منتجة ، فصاروا بدورهم عبئا على الفلاحين .

ومنذ عام ٣٠ (ق.م) ، نزلت الكوارث الطبيعية الكثيفة على مناطق واسعة من الريف ، مما ادى الى نشوب انتفاضات الفلاحين والصناع اليدويين . ومع ان هذه الانتفاضات قمعت ، الا ان الازمة الاجتماعية بقيت على حالها . ففى احدى سنوات المجاعة القاسية فى المناطق المحيطة بتشانغآن ، جرت مقايضة ما يزيد على نصف الكيلوغرام من الذهب ببضعة كيلوغرامات من الفاصوليا ، ودفعت المجاعة الناس الى حافة اليأس .

---

* المو وحدة مساحة فى الصين تساوى ٠٦٦٧ر٠ هكتار .

ومن اجل تخفيف حدة التناقضات الاجتماعية ولانقاذ حكم طبقة الملاك ، قام وانغ مانغ (٤ق.م -٢٣م) وهو صهر امبراطور ى ، بعرض برنامج اصلاحى فى عام ٩م بعد ان تولى العرش . وتضمن ما يلى :

(١) تكون جميع الاراضى ملكا للدولة ويمنع بيعها وشراؤها .

(٢) يمنع الاتجار بالعبيد .

(٣) يعين فى كل من تشانغآن والمدن الرئيسية الاخرى (لويانغ وهاندان وليتشى ونانيانغ وتشنغدو) ، موظف مسؤول عن الاسعار وتقديم قروض للفلاحين بفوائد قليلة .

(٤) تتولى الدولة الاشراف على الملح والحديد والخمر وسلع اخرى ، بغية منع التجار من المضاربة بها .

(٥) القيام باصلاح نقدى .

وكان الهدف من هذه الاصلاحات فرض بعض الضغط على الملاك والتجار لتخفيف حدة التناقضات الاجتماعية . ولكن وانغ اعتمد على الملاك والتجار فى تنفيذ هذه الاصلاحات ، واضطر الى تعديلها مرة تلو الاخرى ، فلم يستفد منها الفلاحون شيئا . وفى عام ٢٢م قامت سلسلة من الانتفاضات الفلاحية على يد جماعات عرفت بأسماء شينشى وبينغلين والحواجب الحمر والخيول البرونزية ، وذلك فى حوض كل من نهر اليانغتسى والنهر الاصفر ، ونجحت قوات الفلاحين فى اقتحام العاصمة والاطاحة بحكومة وانغ مانغ .

قيام الهان الشرقية ونموها (٢٥-٢٢٠م)

فى غمار حروب الفلاحين ، قام ليو شيو (٥ق.م-٥٧م) ابن احد الملاك بانشاء قوة فى نانيانغ بخنان ، وقمع قوات الفلاحين المتمردة ، وتخلص من كثير من الزعماء المحليين الذين استغلوا فرصة الاضطرابات لاقامة مناطقهم

الخاصة . وفى عام ٢٥ اقام امبراطورية الهان الشرقية ، متخذا لويانغ عاصمة لها .

كان ليو شيو الذى عرف بالامبراطور قوانغ وو دى ، مصمما على جمع ضريبة الارض بالكامل ، فأمر باجراء مسح جديد للأراضى ، ثم اصدر قرارا بتحرير جميع العبيد ، حتى يعود الفلاحون الذين انفصلوا عن الانتاج الى الزراعة . ولكن هذه الاوامر لم تنفذ على نحو جيد بسبب معارضة ملاك الاراضى ، ومع ذلك فان انتفاضة الفلاحين اجبرت الملاك على تقديم بعض التنازلات . ونتيجة لذلك ، بدأ الاقتصاد الاجتماعى بالتحسن منذ عهد مينغ دى الذى حكم فى ٥٨–٧٥م ، واعيدت عملية صيانة مشاريع الرى التى سبق ان اهملت . وفى منطقة رونان ، على سبيل المثال ، كانت شبكة من البرك تستخدم كخزانات تمتد حوالى ٢٠٠ كيلومتر ، وبلغت تكاليف اصلاحها فى سنة واحدة ٣٠ مليونا من القطع النقدية . واصبح حوض نهر اليانغتسى اكثر تطورا ونموا . وبشكل عام ازدهرت الزراعة كما كانت فى عصر الهان الغربية . وقد تحسنت تقنية الحرف اليدوية وبدأ استعمال الطاقة المائية فى تشغيل مصاهر الحديد .

وفى هذه الحقبة تم اختراع الورق عام ١٠٥ على يد تساى لون ، كما بدأت صناعة الخزفيات .

واصبحت المدن اكثر ازدهارا ، وحلت لويانغ محل تشانغآن كمركز سياسى وتجارى للبلاد . وبينما استمرت المدن القديمة فى النمو تحت الحكم الجديد ، اصبحت فانيوى (قوانغتشو) وشيويون (فى قوانغدونغ) ميناءين للتجارة الخارجية .

وفى السنوات الاولى للهان الشرقية ، انقسمت شيونغنو الى فريقين متناحرين شمالى وجنوبى ، وصمم كل فريق على تدمير الآخر ، فتحالف الفريق

الجنوبى مع الهان الشرقية لمهاجمة خصمه الشمالى الذى اندحر عام ٧٣ امام جيوش الهان الشرقية حيث اعيد فتح الطريق المؤدى الى الغرب . وبعد الهجمات المتكررة على شيونغنو الشمالية من قبل شيانبى من الشرق والهان الشرقية من الجنوب ، وقعت شيونغنو فى عزلة ، وخضع بعضها للهان الشرقية والبعض الآخر رضخ لسلطة شيانبى ، واجبر الباقون على الهجرة باتجاه الغرب . وارسلت حكومة الهان الشرقية مبعوثها بان تشاو (٣٢-١٠٢م) فى مهمة سياسية الى الغرب . وقد مكنت هيبة الهان الشرقية المبعوث بان تشاو من مد سلطتها الى تلك الانحاء . فعاد التجار الصينيون اليها يحملون الحرير والحديد . وفى عام ٩٧ ارسل بان تشاو مبعوثه قان ينغ فى محاولة لاقامة العلاقات مع داتشين (روما) ، وقد افلح هذا المبعوث فى الوصول الى الخليج الفارسى ، لكنه لم يصل روما .

الصراعات داخل الطبقة الحاكمة وانتفاضة العمامة الصفراء وانهيار الهان الشرقية

اضطرت الحرب ضد شيونغنو سلطة الهان الشرقية الى تجنيد اعداد كبيرة من الرجال ، مما اوصل الفلاحين الى حافة الافلاس . ورغم ان الحرب جلبت كميات كبيرة من المغانم ، الا ان الثروة والاموال لم تدخل جيوب الفلاحين ، وانما وقعت فى ايدى الارستقراطيين البيروقراطيين وملاك الاراضى والتجار .

وادى تدمير الاقتصاد الريفى الى اضعاف حكم الهان الشرقية ، لذا لم يكن مستغربا ان يحدث التمرد عليها فى الارجاء النائية ، فكانت قبيلة تشيانغ تقطع ممر قانسو المؤدى الى الغرب ، معرضة سلطة الهان الشرقية لتهديد خطير . وقد استمرت الحرب ضد قبيلة تشيانغ لمدة تقارب اربعين

عاما . ومع ان الاخيرة انهزمت فى النهاية ، الا ان الحرب كلفت الهان الشرقية اموالا ضخمة ، وانهكت بذلك الدولة والشعب ، فلم تسترد قوتها السابقة نتيجة ذلك . وكانت الحروب المتتالية قد ابرزت الازمة الاقتصادية وزادت من حدة التناقضات السياسية ، ودفعت الهان الشرقية نحو السقوط بسرعة .

ومنذ التسعينات من القرن الاول بدأت تتشكل فئات متنافسة من اصهار البلاط وخصيانه . وحاولت كل فئة ان تدمر الاخرى فى الصراع على السلطة ، فمارسوا الرشوة والاختلاس علنا وافسدوا القانون والقضاء . وبينما استغلوا الفقراء ابتزوا الاموال من الاغنياء ، ولم يكتفوا بسرقة خزينة الدولة ، بل تعدوا ذلك الى السطو على المارة ، وابعدوا كثيرا من ذوى الكفاءة والموهبة عن المناصب الرسمية . وكل ذلك زاد من شدة الصراع داخل الطبقة الحاكمة .

وتسلط الخصيان على النبلاء والموظفين وخاصة الموظفين ذوى الرتب الدنيا وطلاب الاكاديمية الامبراطورية . فاتحد هؤلاء جميعا وشكلوا فئة سياسية مناهضة لهم ، واخذ الطلاب ينتقدون الخصيان والوزراء ، وعبأوا الرأى العام ضدهم ، ونظموا مظاهرات الى القصر الامبراطورى ، مطالبين بمعاقبة الخصيان . ولكنهم فشلوا فى ذلك ، اذ قام الخصيان باجراءات قاسية ضدهم ، فقتلوا المئات منهم وسجنوا الالوف .

وبينما كان الصراع داخل الطبقة الحاكمة قائما كان هناك صراع عنيف بين الطبقات الاخرى ، حيث تجددت انتفاضات الفلاحين التى توجت عام ١٨٤ بانتفاضة العمامة الصفراء التى قادها تشانغ جياو (؟–١٨٤م) وعمت البلاد كلها . ومع ان هذه الانتفاضة قضى عليها فى نهاية الامر من قبل قوات طبقة الملاك ، الا ان بقايا قوات العمامة الصفراء وقوات الانتفاضات الاخرى واصلت النضال ضد طبقة الملاك ، منتهية بذلك بالهان الشرقية الى الانهيار .

الانجازات الثقافية فى عصر الهان الغربية والشرقية

سجلت الثقافة تقدما ملموسا فى عصر الهان الغربية والشرقية . ففى حقل التاريخ ، كانت « المدونات التاريخية » من تأليف سيما تشيان (١٤٨ ق.م-؟) شكلا جديدا من اشكال السيرة الذاتية . وكان « تاريخ الهان » الذى كتبه بان قو (٣٢-٩٢م) بداية لتسجيل التاريخ حسب توالى الأسر الحاكمة . وكلتا الطريقتين كانت اسلوبا شائعا لكتابة التاريخ خلال الفى سنة تلت عهد الهان . وفى حقل الادب ، ظهر كتاب نوابغ مثل سيما شيانغ رو (١٨٠-١١٨ ق.م) وتشانغ خنغ (٧٨-١٣٩م) . وفى مجال الدراسات الفلسفية ، كان الفيلسوف المادى وانغ تشونغ (٢٧-؟م) جريئا على نقد وشجب الافكار الخرافية التى كانت مدعومة من البلاط الامبراطورى . اما تماثيل البشر الحجرية والنقوش على القبريات ، والرسوم على اوانى الخزف ، فقد شغلت مكانة هامة فى تاريخ الفن الصينى . وقد اخترع العالم تشانغ خنغ كرة فلكية تعمل بالطاقة المائية ، وجهازا لقياس الزلازل وآلة لتحديد اتجاه الرياح . كما اكتشفت خواص المغناطيس القطبى فى السنوات الاولى من الهان الشرقية . وكان كل ذلك برهانا على تقدم ملحوظ فى مجال العلم الفلكى فى ذلك الحين .

من مجابهة الممالك الثلاث الى تأسيس امبراطورية جين الغربية

كان ملاك الاراضى ينظمون قواتهم المسلحة ضد انتفاضة العمامة الصفراء ويتقاتلون فى آن واحد . وقد تبقى منهم فى النهاية ثلاثة قادة هم تساو تساو (١٥٥-٢٢٠م) الذى احتل حوض النهر الاصفر واسس مملكة وى (٢٢٠-٢٦٥م) واتخذ لويانغ عاصمة لها ؛ والثانى ليو بى (١٦١-٢٢٣م) الذى

سيطر على سيتشوان واسس مملكة شو (٢٢١–٢٦٣م) واتخذ تشنغدو عاصمة لها . اما الثالث فهو سون تشيوان (١٨٢–٢٥٢م) الذى احتل الحوض الاسفل والاوسط لنهر اليانغتسى واسس مملكة وو (٢٢٢–٢٨٠م) ، وكانت عاصمتها نانجينغ . وعرفت هذه الحقبة التى امتدت من ٢٠٠ الى ٢٨٠م بعصر الممالك الثلاث المتحاربة .

ونتيجة للحروب المستمرة بين امراء الحرب فى اواخر الهان الشرقية ، تعرض حوض النهر الاصفر – مهد الاقتصاد الصينى والحضارة الصينية ، للتخريب المروع . فالقرى التى كانت مزدهرة ومكتظة بالسكان زالت من الوجود ، والمدن المزدهرة تحولت الى انقاض ، وآلاف الفلاحين قتلوا او ماتوا جوعا اومرضا . وتناقص عدد السكان عما كان عليه ايام الهان الغربية والشرقية .

وبالرغم من الحروب المتواصلة فى عصر الممالك الثلاث ، الا ان الاقتصاد الريفى قد تحسن تدريجيا ، لأن حكام هذه الممالك طبقوا نظام المستوطنات العسكرية لضمان كميات كافية من الحبوب لقواتهم . وبموجب هذا النظام ، توجب ان يقوم الجند بزراعة الارض وانتاج الحبوب . وبسبب المتطلبات العسكرية حظيت الصناعة اليدوية الحربية باهتمام كبير . ومثالا على ذلك، فان تشوقه ليانغ (١٨١–٢٣٤م) كبير الوزراء والمخطط الاستراتيجى فى مملكة شو ، اخترع قوسا بامكانها ان ترمى عشرة اسهم فى آن واحد . كما ابتكر عربة خفيفة لنقل الحبوب . وقام ما جيون الذى عاش فى مملكة وى بتحسين عربة مدفع تستطيع قذف كرات حجرية . وبنى سون تشيوان حاكم وو سفنا كبيرة ونظم اسطولا مشحونا بعشرة آلاف رجل وابحر الى جزر البحر الجنوبى وشبه جزيرة لياودونغ . كما جرى تحسين المناسج فى الشمال . وفى سيتشوان ، كان الغاز الطبيعى يستعمل فى غلى مياه البحر لاستخراج الملح . وقد ساعدت هذه الانجازات تطور الاقتصاد تطورا فعالا .

وبلغ الادب مرحلة متقدمة فى تطوره مثلها تساو تساو وابنه تساو تشى (١٩٢–٢٣٢م) والنحارير السبعة البارزون : كونغ رونغ ، تشن لين ، وانغ كان ، شو قان ، روان يو ، ينغ يانغ وليو تشن . وكانت تعاليم كونفوشيوس لا تزال تحتل مركز الصدارة فى عالم الفكر بالرغم من وجود اهتمام بالدراسات الميتافيزيقية .

ومع تحسن الاقتصاد الاجتماعى وخاصة النمو السريع نسبيا فى حوض النهر الاصفر ، بدأ ملاك الاراضى الذين تتزعمهم عائلة سيما ، يناضلون من اجل تأسيس حكم موحد . فقام السيميون بالقضاء على مملكتى شو ووى ، وأسسوا امبراطورية جين (٢٦٥–٣١٦م) . وفى عام ٢٨٠ شنت جين هجوما على مملكة وو وقضت عليها ، وانهت وضع الانقسام الذى كان سائدا ايام الممالك الثلاث ، وتأسست ثانية دولة موحدة .

وفى السنة التى منيت فيها مملكة وو بالهزيمة ، طبق الامبراطور وو دى (٢٣٦–٢٩٠) نظام توزيع الاراضى على اولئك الفلاحين الذين فقدوا اراضيهم والزموا بزراعة هذه الاراضى ودفع ضريبة مقررة والقيام بأنواع متعددة من الخدمات العامة .

ومن خلال تطبيق هذا النظام حصلت اغلبية الفلاحين على نصيبها من الارض ، مما خلق الاستقرار والطمأنينة فى البلاد فى المدة ما بين ٢٨٠–٢٩٠ . ومع ذلك فقد انغمس الاقوياء فى ضم الاراضى وتقويض نظام التوزيع . وكانت الطبقة الحاكمة بزعامة وو دى تعيش حياة مسرفة وتبدد الثروات الطائلة التى اخذوها من الفلاحين . ويستفاد من وقائع التاريخ ان التبذير فى تلك المدة كان اخطر من الكوارث الطبيعية .

وهكذا تعرضت الوحدة التى تحققت فى عصر جين للتخريب . وبعد موت وو دى ، نشبت صراعات على السلطة بين الارستقراطيين . وارتوت اقاليم

حوض النهر الاصفر بالدماء طوال ثمانية عشر عاما من الحروب المتواصلة التى انهكت الامبراطورية واضعفت قدرتها الدفاعية .

الممالك الست عشرة

وخلال الحقبة بين ٣٠٤–٤٣٩ ، تعرض شمال الصين لدمار خطير ، فقد اطيح بأمبراطورية جين على يد شيونغنو ، وتلا ذلك احتلال الجزء الاوسط من الصين على ايدى قبائل مختلفة مثل قبيلة جيه وشيانبى ودى وتشيانغ ، بينما سيطرت قبائل اخرى على الانحاء الحدودية . واسس كل منها دويلة لم يدم عمرها طويلا . وعرفت هذه الحقبة فى تاريخ الصين بحقبة الممالك الست عشرة . وقد استمر هذا الوضع الى ان تمت الوحدة فى شمال الصين على يد وى الشمالية عام ٣٨٦ .

بدأ البدو الذين يعيشون فى نواحى الحدود الشمالية والشمال — غربية ، يتدفقون الى داخل الصين منذ ايام الهان الشرقية . وكانت الطبقة الحاكمة فى امبراطورية جين تستغل وتضطهد هؤلاء البدو ، وتعاملهم بقسوة . وكان من بينهم جماعات من شيونغنو انتقلوا الى حوض نهر فنخه وعاشوا فى شظف منذ حكم وى ، وازداد وضعهم سوءا فى جين . وقد صار بعضهم فلاحين مستأجرين لدى ملاك الاراضى ، وبعضهم الآخر عبيدا للحكام . وهذا ادى فى اواخر جين الى تمردهم بقيادة زعيمهم ليو يوان (؟–٣١٠م) ، فسيطروا على لويانغ وتشانغآن وقضوا على حكم جين فى حوض النهر الاصفر ، واسسوا مملكة الهان التى سميت فيما بعد باسم " تشاو " وهى المعروفة تاريخيا باسم تشاو الاولى لتمييزها عن تشاو اللاحقة .

ولقيت قبيلة جيه مصير شيونغنو نفسه ، فعومل افرادها كالعبيد لدى حكام جين ، وبيعوا كقطعان المواشى . ثم نهض شى له (؟–٣٣٣م) احد افراد

قبيلة جيه بحشد كبير للتمرد على حكم جين فى خنان ، وكان ذلك اثناء انتفاضة شبونغنو . وقد ازدادت قواته واتسع نفوذه ، وأسس مملكة تشاو اللاحقة التى قضت على تشاو الاولى ، واحتلت الجزء الرئيسى من شمال الصين .

وفى ٣٥١ نهضت قبيلة دى فى شنشى واسست مملكة تشين الاولى . وبزعامة ملكها فو جيان (٣٣٨ -٣٨٥) قضت على مملكة يان الاولى فى الشرق ، وعلى مملكة ليانغ الاولى فى الغرب . وبذلك اعادت الوحدة الى شمال الصين . وفى ٣٨٣ تقدم فو جيان نحو الجنوب فى غارة على جين الشرقية ، ولكنه منى بهزيمة منكرة فى حوض نهر فيشوى . وخلال النصف الثانى من هذا القرن حدثت حروب متتالية ، وظهرت ممالك كثيرة لم يدم حكمها طويلا .

وفى ذلك الاوان هاجر عدد كبير من الارستقراطيين وملاك الاراضى والتجار الى حوض نهر اليانغتسى هاربين من ظلم الاقليات القومية . اما الذين بقوا فى الشمال من ابناء قومية الهان فشكلوا قواتهم الدفاعية ، وحفروا الخنادق وبنوا الثكنات والاستحكامات ، ولكن مقاومتهم سحقت تحت وطأة قوات الاقايات التى استعانت عليهم بملاك الاراضى الهانيين . وقد عانى الفلاحون الهانيون اضطهادا مزدوجا من قبل الغزاة والملاك ، وتعرض الاقتصاد والحضارة فى شمال الصين لدمار خطير .

امبراطورية جين الشرقية والامبراطوريات الجنوبية

عندما كان الجزء الشمالى من الصين منقسما الى دويلات ، قام يوان دى بتأسيس امبراطورية جين الشرقية (٣١٧—٤٢٠) بمساعدة كبار ملاك الاراضى فى حوض نهر اليانغتسى . وقد انقسمت امبراطوريته فيما بعد الى اربع امبراطوريات هى : سونغ (٤٢٠-٤٧٩) وتشى (٤٧٩—٥٠٢) وليانغ (٥٠٢—٥٥٧) وتشن (٥٥٧—٥٨٩) ، والتى عرفت بالامبراطوريات الجنوبية .

وكان عماد جين الشرقية السياسى هو الملاك الارستقراطيين المهاجرين من الشمال الذين حظوا بدعم من كبار الملاك الجنوبيين .

عزز الملاك الشماليون قوتهم السياسية وتمسكوا بمبدأ الانتخاب فى تعيين الموظفين لمنع الملاك الجنوبيين من استلام المناصب الرفيعة ، ومارسوا تفرقة عنصرية ضد المثقفين من ذوى الاصول الاثنية المتواضعة ، ومنعوا انشاء الصداقات والتزاوج معهم .

ونتيجة لذلك وقع صدام حاد على المصالح بين الملاك الشماليين والملاك الجنوبيين ، ونشب صراع طويل الامد داخل الطبقة الحاكمة . واستقر بعض المهاجرين من الشمال فى المناطق الواقعة جنوب نهر هوايخه او شمال نهر اليانغتسى وقاموا باستصلاح الاراضى هناك . واصبح بعضهم الآخر عبيدا لدى الملاك الارستقراطيين . وكان الجزء الاكبر من الارض فى جنوب نهر اليانغتسى قد تم الاستيلاء عليه من قبل الملاك الجنوبيين . اما الملاك الشماليون فحصلوا على الاراضى عن طريق الشراء او المنحة الامبراطورية واستصلاح البور والاستيلاء على المناطق الجبلية بقوة .

وبالرغم من ان الفلاحين قد امتلكوا مساحات صغيرة من الارض، الا انهم تحملوا عبئا ثقيلا من الضرائب والخدمات الاخرى . وادى ذلك الى حدوث انتفاضتين فلاحيتين احداهما فى ٣٩٩ بقيادة سون ان (؟-٤٠٢) ، والثانية فى ٤٨٥ بقيادة تانغ يوى تشى .

جلب الشماليون اساليب زراعية متقدمة الى جنوب نهر لليانغتسى ولعبوا دورا هاما فى تنمية اقتصاده . وكان التقدم فى الزراعة وانتشار انتاج الشاى وصناعة الخزف قد خلقا ظروفا مؤاتية لنمو الحرف اليدوية وتطور التجارة . فمنذ عصر جين الشرقية الى امبراطورية تشن ، استغلت الطبقة الحاكمة امتيازاتها الخاصة فى ممارسة للتجارة ، وظهرت مدن تجارية كثيرة على ضفاف نهر

اليانغتسى حينذاك ، واصبحت ضرائب التجارة والضرائب البادية ورسوم الجمارك مصدرا مهما للدخل الحكومى .

وبسبب هجرة عائلات مثقفة كثيرة نحو الجنوب ، اصبحت جيانكانغ (نانجينغ حاليا) مركزا سياسيا للامبراطوريات الجنوبية ومركزا ثقافيا للصين كلها طوال القرن الرابع والخامس والسادس . فظهر فيها الشعراء والرسامون والعلماء ، وازدهر الادب والفن ، وتحققت انجازات علمية . وعلى سبيل المثال فان تسو تشونغ تشى (٤٢٩–٥٠٠) توصل الى اكتشاف النسبة بين محيط الدائرة وقطرها بدقة متناهية .

الامبراطوريات الشمالية

اثناء فترة الانقسامات الكبيرة فى الشمال ، نهضت قبيلة طوبا من قومية شيانبى فى شمالى شانشى . وبعد ان احتكت طوبا بثقافة الهان ، تغيرت تشكيلة مجتمعها من البدائى الى العبودى ، ومنه الى الاقطاعى . وبفضل سلاح الفرسان وبعد القيام بعدة حروب ، تمكنت طوبا من توحيد الشمال واسست امبراطورية وى الشمالية (٣٨٦–٥٣٤) . وفى ٤٨٥ طبق الامبراطور شياو ون دى الذى حكم خلال ٤٧١–٤٩٩ ، نظام التوزيع المتساوى للأراضى ، الذى اعطى الحق لكل شخص يبلغ سن الرشد ان يملك مقدارا محددا من الارض ، وقدمت الاراضى البور الى الفلاحين الذين لا يملكون ارضا ليزرعوها لفترة معينة . كما اجرى تعداد للسكان ، ومنع الملاك الكبار من تملك الفلاحين ، والزموا بدفع الضرائب بموجب القانون . ومن اجل تخفيف معارضة كبار الملاك اعترف نظام التوزيع بحق ملكية الاراضى التى كانت بحوزتهم ، ومنحت اراض اخرى لعبيدهم .

وبعد تطبيق هذا النظام زادت مساحة الاراضى المزروعة وتطورت الزراعة

حثيثا . وقد سجل كتاب « مبادئ هامة فى تعليم الشعب » بقلم جيا سى شيه ، الاساليب المستخدمة فى الزراعة وتربية الدواجن ، واوضح تطور فنون الزراعة فى ذلك الوقت .

كان السكان من قومية الهان يشكلون الاغلبية تحت حكم وى الشمالية . ومن اجل اغرائهم ، اختارت وى الشمالية بعض ملاك الاراضى الهانيين لاشراكهم فى السلطة . وقد قام الامبراطور شياو ون دى بتبنى الثقافة الهانية وذلك من اجل تقوية حكمه بتعاون الملاك الهانيين . فنقل العاصمة الى لويانغ فى ٤٩٤ ، وطبق قوانين شبيهة بتلك التى طبقت فى الامبراطوريات الجنوبية ، وشجع كبار ملاك شيانبى على الزواج من عائلات هانية . ووثقت هذه الاجراءات العلاقة بين ملاك شيانبى وملاك الهان ، ولكن تعاونهم فى اضطهاد الفلاحين جعلهم يواجهون صراعات مريرة من هذه الطبقة الفلاحية التى تألفت منها اغلبية السكان .

وبسبب وجود قبيلة روران من هضبة منغوليا واثارتها القلاقل على حدود وى الشمالية ، أقامت الاخيرة ستة مراكز للحراسة على طول الحدود . ومع انتقال العاصمة الى لويانغ انتقل مركز البلاد السياسى الى الجنوب ، فلم يعد قادة المراكز الستة وجنودها يحظون باهتمام من البلاط الامبراطورى ، فأعلنوا التمرد فى ٥٢٤ . وتحت تأثيرهم ، حدثت انتفاضة كبيرة قام بها فلاحو شيانبى والهان . ورغم ان الانتفاضة اخفقت ، الا ان وى الشمالية انشطرت الى وى الشرقية (٥٣٤—٥٥٠) ووى الغربية (٥٣٥—٥٥٧) . وفيما بعد تمكن قاو يانغ من الاطاحة بحكم وى الشرقية وأسس تشى الشمالية (٥٥٠—٥٧٧) ؛ وتمكن يو ون تشيوه من الاستيلاء على سلطة وى الغربية وأسس تشو الشمالية (٥٥٧—٥٨١). وكان حكام تشى الشمالية ظالمين فاسدين ، فأثاروا الاستياء والحقد لدى الشعب . وعلى العكس من ذلك ، فان حكام

تشو الشمالية قاموا باصلاحات سياسية وشجعوا الانتاج، مما زاد من قوة الدولة . وفى آخر الامر تغلبت تشو الشمالية على تشى الشمالية ، مهيئة بذلك ظروفا صالحة لتوحيد الصين .

تأثير البوذية على السياسة والاقتصاد والثقافة فى الامبراطوريات الجنوبية والشمالية

دخلت البوذية الى الصين على يد دا يوه دى مع بداية التاريخ الميلادى ، وانتشرت تدريجيا خلال الهان الشرقية والممالك الثلاث. ولما صارت الدراسات الميتافيزيقية رائجة فى ايام وى وجين ، انتشرت البوذية بين الطبقة الارستقراطية من خلال دراستها للميتافيزيقيا . ومع نهاية عصر جين الشرقية ، حصل اندماج بين البوذية والطقوس الكونفوشية التى كانت تسود المجتمع الاقطاعى . وكانت الافكار البوذية المتعلقة بالبعث والجزاء مقبولة على نطاق واسع . وقد تقوت السلطة الامبراطورية نتيجة هذا الاندماج بين البوذية والطقوس الكونفوشية الاقطاعية .

ولقد اضعف انتشار البوذية تأثير التاوية التى فشلت فى مجابهتها فكريا ، لكن السجال بين البوذية والكونفوشية كان مستمرا . وفى عهد الامبراطور وو دى (حكم حوالى ٥٠٢ ـــ ٥٤٩) ، اعلن الكونفوشى فان شن نظرية فناء الروح مؤكدا بأن الروح تولد مع الجسد وتفنى بفنائه ، وعارض بذلك فكرة البعث والجزاء . لكن الطبقة الحاكمة للأمبراطوريات الجنوبية كانت فى حاجة الى تعاليم البوذية من اجل عزائهم الروحى وخدع الشعب .

وقد اهتم الامبراطور وو دى بالتبشير للبوذية ، وكان هو نفسه راهبا . وخلال عهد امبراطورية ليانغ كان فى جيانكانغ وحدها خمسمائة معبد تضم بين جدرانها مائة الف راهب وراهبة .

وانتشرت البوذية ايضا فى الشمال بدعم من الطبقة الحاكمة . ومع ان حكام وى الشمالية دمروا المعابد والتماثيل البوذية لصالح التاوية فى ٤٤٦ ، لكن البوذية استطاعت البقاء ، ثم عادت تنتشر على شكل اوسع . فأنفق حكام الامبراطوريات الشمالية مبالغ طائلة لبناء المعابد وترميمها . ويبين الاحصاء الذى اجرى فى ٥٣٤ انه كان فى لويانغ ١٫٣٦٧ معبدا ، وفى الصين كلها ٣٠ الف معبد ، واكثر من مليونى راهب . وكانت الظروف فى تشى الشمالية وتشو الشمالية مشابهة لتلك التى كانت سائدة فى وى الشمالية ، فاستأثرت المعابد بأراض واسعة واستأجرت عددا كبيرا من الفلاحين .

ومع انتشار البوذية احرز فن النحت والرسم تقدما ملموسا . وبنيت كهوف دونهوانغ وبينغلينغشى ومايجيشان ويونقانغ ولونغمن فى عصر وى الشمالية وهى من كنوز الفن الصينى الثمينة .

٣ــ امبراطورية سوى وامبراطورية تانغ والامبراطوريات الخمس وامبراطورية سونغ وامبراطورية يوان (القرن السادس ــ القرن الرابع عشر)

امبراطورية سوى وسقوطها (٥٨١ــ٦١٨)

استولى يانغ جيان (٥٤١ــ٦٠٤) كبير وزراء تشو الشمالية على السلطة ، فأسس امبراطورية سوى ، وعرف بالامبراطور ون دى . ثم قهر امبراطورية تشن ــ احدى الامبراطوريات الجنوبية فى ٥٨٩ ، ووحد الصين التى بقيت مجزأة منذ جين الشرقية .

وقد ابقت امبراطورية سوى نظام توزيع الاراضى المتبع منذ وى الشمالية ،

كما خففت من اعباء السخرة والضرائب عن الفلاحين . فكان من نتيجة ذلك ان حصل تقدم فى الانتاج الزراعى وزيادة فى السكان . وقامت سوى كذلك بتحسين النظام المالى وتوحيد المقاييس . وقد اوجد توحيد الشمال والجنوب اسواقا جديدة ، فازدهرت الحرف اليدوية وانتعشت التجارة .

ونفذ الامبراطور الثانى يانغ دى (٦٠٥–٦١٨) مشاريع بناء على نطاق واسع ، فحشد مليونى شخص لاعادة انشاء مدينة لويانغ ، ومليونا آخر لترميم وتطويل السور العظيم ، وقام بحفر القناة الكبرى التى تربط بين هانغتشو فى الجنوب وتشوجيون (بكين حاليا) فى الشمال . وقد لعبت هذه القناة دورا مرموقا فى الازدهار الاقتصادى والثقافى .

وفى زحمة الاعمال الاجبارية قام الامبراطور يانغ دى بحملات ضد قبيلة توقوهون وضد كوريا ايضا . وجند اعدادا كبيرة من الرجال وخصص كميات ضخمة من الحبوب لتسيير الحملات فى وقت كانت النكبات الطبيعية تتوالى فيه . واثار بذلك سلسلة من انتفاضات الفلاحين .

ومن اجل تفادى هذه الانتفاضات ، اصدر كل من ون دى ويانغ دى اوامر بمنع الفلاحين من حيازة الاسلحة ، ولكن انتفاضات الفلاحين كانت مستمرة طوال السنوات الاخيرة من حكم يانغ دى . وقد سجلت مصادر التاريخ اكثر من مائة انتفاضة جماهيرية ضمت بين صفوفها ملايين الفلاحين . وفى خضم هذه الانتفاضات اطيح بأمبراطورية سوى التى دامت ثلاثين عاما .

قيام امبراطورية تانغ (٦١٨–٩٠٧) وايام قوتها

فى غمرة الانتفاضات الفلاحية نهض لى يوان (٥٦٥–٦٣٥) واسس امبراطورية تانغ فى ٦١٨ بعد ان احتل تشانغآن ، ونصب نفسه امبراطورا عرف فى التاريخ بالامبراطور قاو تسو .

وكان الامبراطور تاى تسونغ الذى حكم بين ٦٢٧–٦٤٩ ، حاكما بارزا نجح فى اعادة النظام الاقطاعى واحرز انجازات عظيمة فى المجالين السياسى والعسكرى .

وفى الفترة ما بين حكم الامبراطور السابق الذكر وحكم الامبراطور شيوان تسونغ (٧١٢–٧٥٦) ، كان لمعظم الفلاحين قدر معين من الارض وتطورت مشاريع الرى وازدهر الاقتصاد الريفى ثانية .

وأنشأت الدولة عدة معامل لنسج القماش المطرز والسجاد والصباغة ودور للسك . وقد استخدمت هذه المعامل عمالا دائمين او موسميين او عمالا اجراء . وكان من اشهر الصناعات فى ذلك الحين بناء السفن وصنع المرايا البرونزية فى يانغتشو ، والتطريز واستخراج الماح فى سيتشوان ، وصناعة الاوانى الخزفية فى جيانغشى ، والاوانى النحاسية فى شانشى . وفى مجال التعدين تحقق تطور اكبر ، فكان فى آنهوى وتشجيانغ وجيانغشى ٥٨ مصهرة للفضة و٩٦ للنحاس و٥ مناجم للحديد ومنجمان للقصدير و٤ مناجم للرصاص . ويدل كل ذلك على تفوق اسرة تانغ فى الصناعات اليدوية على الممالك السابقة .

وقد حظيت التجارة بتسهيلات ، اذ اقيمت مراكز نقل كثيرة وشقت القناة الكبرى التى اتاحت ظروفا مؤاتية لتدفق البضائع . فأصبحت تشانغآن ولويانغ ويانغتشو وقوانغتشو مراكز تجارية كبيرة ، الى جانب وجود مدن اخرى شهدت ازدهارا فى ظل تطور التجارة .

ومن اجل التغلب على الازعاج من قبل الاتراك فى انحاء الشمال الغربى ، شنت تانغ هجوما عليهم وشتتتهم ، وارسلت قواتها الى تشيوتسى (كوتشار فى شينجيانغ حاليا) ويوتيان (خوتان الحالية) وشولى (كاشى شى حاليا) وسوييه . وعززت تانغ بهذه الاجراءات علاقاتها الثقافية والاقتصادية مع المناطق الغربية والمناطق الوسطى .

وفى اوائل القرن السابع ، حقق سونغتسان قامبو (؟-٦٥٠) زعيم شعب توبو ، وحدة القبائل المشتتة فى هضبة التبت . وكانت هذه الفترة تمتاز بازدهار وقوة فى تاريخ التبت . وفى عهد الامبراطور تاى تسونغ ، زوجت الاميرة الهانية ون تشنغ (؟-٦٨٠) من سونغتسان قامبو ، واخذت الاميرة معها الى توبو كثيرا من الفنيين مع مصادر عن فنون الانتاج ، كما حملت معها بذور الخضروات والمنتوجات اليدوية والادوية . وقد ساهم هذا الزواج فى توثيق العلاقات الاقتصادية والاجتماعية بين قوميتى الهان والتبت .

وخلال هذه المدة وصل التجار الصينيون الى وسط وغرب آسيا ، كما جاء الى الصين تجار وبعثات دينية من العالم العربى ، حتى بلغ عدد الاجانب فى تشانغآن ما بين اربعة آلاف وخمسة آلاف من بينهم عدد كبير من العرب . واصبحت تشانغآن التى سماها العرب حمدان،مركزا للتجارة الدولية والتبادل الثقافى ، مما اغنى الحياة الثقافية والمادية للشعب الصينى . وقد نمت المدن الواقعة على طول ضفتى نهر اليانغتسى وعلى السواحل . وبذلك وصلت امبراطورية تانغ اوج قوتها وازدهارها . وخلال هذه المدة انتشرت الثقافة الصينية الى كوريا واليابان وانتقلت صناعة الورق الصينية الى آسيا الوسطى ، ثم الى اوربا على يد العرب . وهكذا قدمت الصين مساهمة كبرى فى نمو الثقافة الغربية .

الصراع داخل الطبقة الحاكمة

اشتد النضال الطبقى والصراع داخل الطبقة الحاكمة الى حد كبير فى اوائل حكم شيوان تسونغ (٧١٣-٧٤١) ، وآل الى تمرد قام به فى ٧٥٥ آن لو شان قائد القوات الامبراطورية المرابطة فى يوتشو ، واحتل العاصمة تشانغآن. وبعد موته تمكن احد الضباط التابعين له وهو شى سى مينغ ، من مواصلة قيادة القوات المتمردة . وقد عرف هذا التمرد فى التاريخ بتمرد آن شى . ومع

انه منى بالانحدار فى نهاية الامر تحت ضربات قوات البلاط الامبراطورى ، الا ان الاقتصاد الاجتماعى تعرض للتخريب الشديد ، كما تعرضت تشانغآن ولويانغ والمدن الاخرى فى اثنائه للدمار .

كان هدف انشاء نظام الولايات العسكرية توطيد حكم امبراطورية تانغ ، ولكن هذه الولايات اصبحت قوى مستقلة بعد تمرد آن شى ، حيث نظمت جيوشها الخاصة واقتطعت حصصا من رسوم الدولة .

كانت الحكومة الامبراطورية فى قبضة خصيان البلاط الذين سيطروا على القوات العسكرية ، فتحكموا فى الجيش وتعيين وعزل الموظفين ، حتى تمكنوا من عزل الامبراطور وتنصيب غيره . وقد اختير ثمانية من الاباطرة التسعة بعد شيان تسونغ (٨٠٦–٨٢٠) من قبل الخصيان .

الغت امبراطوريتا سوى وتانغ نظام اختيار الموظفين لتولى المناصب الرسمية عن طريق التزكية من قبل الارستقراطيين ، ولجأتا الى تطبيق نظام الامتحان الامبراطورى . فتمكن كثير من الشبان من ابناء ملاك الاراضى المتوسطين والتجار العاديين ، من دخول الحكومة . وبسبب ذلك نشبت الخصومات بين الموظفين الجدد والقدامى . وانقسم الموظفون الى فئات مختلفة تنازعت على السلطة مدة طويلة .

الانتفاضة الفلاحية الكبرى

وقع الفلاحون فريسة الافلاس والبؤس بعد ان استولى الارستقراطيون البيروقراطيون وملاك الاراضى والتجار على اراضيهم بينما فرضت عليهم الدولة دفع ضرائب الخريف والضرائب المتنوعة الاخرى . فلم يكن امام الفلاحين سوى المقاومة ، فكانت الانتفاضة الفلاحية عام ٨٦٠ بزعامة تشيو فو (؟–٨٦٠). ثم الانتفاضة الكبرى عام ٨٧٤ بزعامة وانغ شيان تشى (؟–٨٧٨) ، وانتفاضة

محافظة تشانغيوان فى مقاطعة خنان التى اندلعت على صدى نداءات وانغ شيان تشى . وفى السنة التالية ، قاد هوانغ تشاو (؟–٨٨٤) انتفاضة اخرى ، وقد استطاعت القوات الفلاحية فك الحصار الذى فرضته قوات الحكومة عليها ، وتقدمت من شاندونغ الى خنان وهوبى . وفى ٨٧٨، قتل وانغ شيان تشى فى معركة ، وخلفه هوانغ تشاو زعيما لجيوش الانتفاضات . فقادها فى القتال من شاندونغ الى خنان وآنهوى وهوبى ، ومنها الى سواحل جنوب شرقى الصين ، حتى وصل مع جيوشه الى قوانغدونغ ثم قوانغشى . وبعد ان مر بهونان وهوبى وجيانغشى وجيانغسو عاد الى آنهوى وخنان . وفى ٨٨٠ احتل هوانغ تشاو تشانغآن عاصمة امبراطورية تانغ ، واقام حكما بزعامته .

وبعد سنتين واربعة اشهر من الاستيلاء على تشانغآن ، انسحبت قوات الانتفاضة منها تحت الضغط المشترك من قبل حكومة تانغ وشا توه احدى قبائل الاتراك الغربيين ، ثم تشتتت تحت ضرباتها . ولكن امبراطورية تانغ انهارت بعد مدة ليست طويلة .

الامبراطوريات الخمس والممالك العشر

فى ٩٠٧ ، اسقط تشو ون امبراطورية تانغ واسس امبراطورية ليانغ اللاحقة . وفيما بعد تأسست على التوالى فى حوض النهر الاصفر تانغ اللاحقة وجين اللاحقة والهان اللاحقة وتشو اللاحقة . وتسمى كل هذه الامبراطوريات فى التاريخ بالامبراطوريات الخمس التى كان عمرها نصف قرن (٩٠٧–٩٦٠). وفى الوقت نفسه كان هناك عشر امارات اقطاعية فى الاجزاء الاخرى من البلاد عرفت بالممالك العشر .

وخلال هذه المدة نهضت مملكة خيتان (٩١٦ – ١١٢٥) فى حوض نهر لياوخه فى الشمال الشرقى ، واستولت فيما بعد على ١٦ ولاية فى شانشى

وشمال خبى ، ثم اعادت تسمية مملكتها باسم امبراطورية لياو ، واتخذت يانجينغ (بكين اليوم) عاصمة لها ، واصبحت تدريجيا دولة قوية .

منذ اواخر تانغ ، تعرض الاقتصاد لتخريب كبير ناجم عن الحرب ، بحيث فر عامة الناس الساكنين فى ضواحى تشانغآن الى الوديان الجبلية تاركين حقولهم لسنوات متتالية ، واحرقت معظم القصور والمعابد البوذية والمبانى الحكومية والمساكن فى تشانغآن . وتبعثرت الجثث فى شوارع لويانغ ، حتى انخفض عدد العوائل فيها الى اقل من مائة . وعم الركود والوحشة بقية المناطق ايضا . وقد ورد فى السجلات التاريخية فى وصف هذه الحال ان " الطيور تفرقت والاسماك هلكت ، وخلت الديار من اهاليها وعم الخراب كل مكان . "

ورغم ان حكام الممالك حاولوا اعادة الانتظام الاقتصادى ، الا انهم ظلوا يستغلون الشعب ، فصادروا الاموال منه لتعزيز قواتهم وتوطيد سلطانهم ، وفرضوا الضرائب المختلفة والسخرة على الفلاحين ، مما القى الارياف فى فقر مدقع .

الادب والفن والاديان فى امبراطورية تانغ

احتل الشعر مكان الصدارة فى ادب امبراطورية تانغ . ويرجع تاريخ الشعر الصينى الى العصور القديمة ، وقد وصل اوج تألقه فى زمن تانغ حيث برز عدد من مشاهير شعراء الصين مثل لى باى (٧٠١ — ٧٦٢) ودو فو (٧١٢ — ٧٧٠) وباى جيوى يى (٧٧٢ — ٨٤٦) ، وقد وصلتنا من نتاجهم الغزير خمسون الف قصيدة . وتتميز قصائد لى باى بالحيوية والتدفق ، وقصائد دو فو بالحماس والمهابة . اما قصائد باى جيوى يى فتمتاز بسلاسة اللغة والجرأة على رصد الفضائح الاجتماعية .

وكان هان يوى (٧٦٨ — ٨٢٤) مفكرا وكاتبا كبيرا ، دعا الى الكتابة

المنثورة وعدم الاقتصار على المنظوم الذى طغى على نتاج العصور السابقة : وكان منحازا لأفكار المدرسة الكونفوشية ومناوئا لكل من البوذية والتاوية .

وفى زمن تانغ ، ارتقى الفن الى مستوى عال جدا ، فظهر عدد من النوابغ فى مجالى الرسم والنحت مثل وو داو تسى المعروف برسم الاشخاص ، ووانغ وى (٦٩٩ — ٧٥٩) المشهور برسم الطبيعة . وتنتمى الى تلك الاسرة جداريات كثيرة فى كهوف دونهوانغ البوذية . اما فى النحت فاشتهر يانغ هوى تشى بتماثيله المترعة بالحياة ، وما زال عدد ضخم من اعماله محفوظا فى كهوف دونهوانغ . كما احرزت فنون الرقص والموسيقى تقدما ملحوظا .

وفى اسرة تانغ وصل الى الصين عدد من الاديان ، منها الزرادشتية والمسيحية النسطورية والاسلام والمانوية . ولكن اكثر الاديان انتشارا كانت هى البوذية والتاوية . وقد رحل كثير من الرهبان الى الهند لدراسة التعاليم البوذية ، ومنهم الراهبان المشهوران شيوان تشوانغ (٥٩٦ — ٦٦٤) ويى جينغ (٦٣٥ — ٧١٣) اللذان عادا من الهند بكثير من النصوص البوذية ، وترجماها الى اللغة الصينية .

كانت المعابد البوذية تملك ثروة طائلة جمعتها من التبرعات ونهب الاراضى والمزارع وتقديم القروض بالربا الفاحش . وكانت معفاة من الضرائب ، مما كان له تأثير سلبى على دخل الدولة . فاضطر الامبراطور وو تسونغ (٨٤١ — ٨٤٦) الى اصدار الامر باعادة الرهبان الى الحياة الدنيوية . ولكن خليفته الامبراطور شيوان تسونغ (٨٤٧ — ٨٥٩) سمح لهم بالعودة الى المعابد ، فاستعادت البوذية مكانتها .

توحيد الصين على يد امبراطورية سونغ (٩٦٠—١١٢٦)

فى ٩٦٠ ، تمرد تشاو كوانغ ين (٩٢٧—٩٧٦) القائد العام لقوات تشو

اللاحقة واستولى على السلطة وانشأ امبراطورية سونغ الشمالية متخذا من كايفنغ عاصمة لها .

وفى اوائل سونغ ، اخضع تشاو كوانغ ين ممالك جينغنان وشو والهان الجنوبية وتانغ الجنوبية ووو يوه ، ثم قهر الهان الشمالية فى شمال شانشى . فأنهى بذلك حالة التجزئة التى اوجدتها الامبراطوريات الخمس والممالك العشر .

كان تشاو كوانغ ين يدرك ان اشد المطالب الحاحا هو تحقيق الوحدة السياسية . لذلك وضع سياسة تقضى بتفادى الانشقاق فى داخل الطبقة الحاكمة ، وقمع مقاومة الشعب مع اتباع نهج دفاعى فى العلاقات الخارجية .

ومع ان اسرة سونغ لم تكن قوية تماما ولكنها شكلت حكومة اكثر تمركزا من حكومة تانغ . ففى زمن تانغ كان الحكم يتميز بطابع سياسى ارستقراطى ، ولكن حكومة سونغ تشكلت على اساس الخط البيروقراطى سواء فى المجال العسكرى او المالى .

لجأت حكومة سونغ الى الوسائل المختلفة لانعاش الاقتصاد الريفى مثل تحسين مشاريع الرى وتشجيع استصلاح البور .. الخ ، ولكن الاقتصاد الريفى بقى فى حالة من الركود ، ويرجع ذلك الى عدم تغيير ملكية الارض التى كانت فى ايدى الملاك منذ اسرة تانغ والامبراطوريات الخمس . فظل الارستقراطيون والبيروقراطيون وملاك الاراضى والتجار يستولون على معظم الاراضى المزروعة دون ان يدفعوا اية ضريبة او يؤدوا اية خدمة عامة . وكذلك كان الرهبان يتمتعون بحق الاعفاء من الضرائب واداء الخدمات . فوقع عبء الضرائب الثقيل على كاهل الفلاحين الذين يملكون قطعا صغيرة من الارض ، وعلى عمال الحرف اليدوية والتجار المتوسطين والصغار ؟

تطور الصناعة والتجارة

تم استخراج الذهب والفضة والنحاس والحديد والقصدير والرصاص على نطاق واسع فى عصر سونغ ، واستخدم الفحم كوقود استخداما واسعا . وكان هناك اكثر من ٢٠٠ مؤسسة للاشراف على استخراج المعادن . وشهدت صناعة السفن تقدما كبيرا وبدأ استخدامها للغرض العسكرى ، كما استخدمت البوصلة فى الملاحة والبارود فى الحرب . وقد احرز تقدم اكثر فى الغزل والنسيج وصنع الورق وصنع الادوات اللكية وفن الطباعة الذى ظهر الى الوجود فى ايام سوى وتانغ ،وصناعة الاوانى الخزفية المحسنة فى عهد جين . وبلغ عدد العاملين فى معامل التعدين والغزل والنسيج والاساحة ، مئات او آلاف الاشخاص .

واصبحت المدن التى بدأت تزدهر فى ايام الامبراطوريات الخمس والممالك العشر اكثر ازدهارا . وكدس التجار ثروات طائلة من المتاجرة بالشاى والملح والرز بين المدن . واثناء حكم تشن تسونغ (٩٩٨–١٠٢٢) بدأ استخدام النقد الورقى المتعدد الاشكال .

اصلاحات وانغ آن شى (١٠١٩–١٠٨٦) وفشلها

ظل الاقتصاد الريفى يتعرض للتخريب بسبب ضم الاراضى وكثرة الضرائب والسخرة والربا . فحدثت مجاعة فى خبى وشاندونغ اثناء حكم رن تسونغ ، واثار الفلاحون الجياع اضطرابات فى كل مكان . وفى نفس الوقت ، تفاقم التهديد من خيتان . فواجهت امبراطورية سونغ وضعا خطرا داخليا وخارجيا . ولذا اصبح الاصلاح الذى دعا اليه وانغ آن شى مطلبا ملحا .

ان وانغ آن شى من الساسة البارزين فى تاريخ الصين . وبفضل ادراكه لطبيعة التناقضات الاجتماعية وقتئذ ، عقد العزم على القيام باصلاحات تستجيب لمطالب الفلاحين والصناع وصغار التجار وملاك الاراضى ، مع الحد من نفوذ كبار ملاك الاراضى والتجار . وقد استصدر قانونا يقضى بمسح

الارض والمساواة فى دفع الضرائب ، واجبار كبار ملاك الاراضى على دفع الضرائب حسب مساحة اراضيهم ؛ وشرع قانون تسويق السلع لمنع كبار التجار من كسب الارباح الفاحشة على حساب الدولة والشعب ؛ ومنع القانون الزراعى ملاك الاراضى والتجار من استغلال الفلاحين بالربا ، فسهل على الفلاحين الحصول على القروض المنخفضة الفوائد ؛ وبموجب قانون الاعفاء من الخدمات الاجبارية ، ارغم كبار ملاك الاراضى على دفع الجزية مقابل استثنائهم من هذه الخدمات ؛ اما القانون التجارى فكان يهدف الى منع التجار من التحكم فى الاسعار . وفضلا عن ذلك ، اصدر وانغ آن شى قوانين للميليشيا وسلاح الفرسان . كما اعاد تنظيم الجيش مع صنع الاسلحة الجديدة ، وانشأ ٣٦ قاعة عسكرية فى شمال النهر الاصفر لتعزيز الدفاع الوطنى . ومن الواضح ان وانغ آن شى كان يحاول باصلاحه كبت كبار ملاك الاراضى والتجار من اجل تخفيف حدة التناقضات الطبقية وحشد القوى لمقاومة العدوان من الخارج .

لكن القوانين الجديدة لقيت مقاومة شديدة من كبار ملاك الاراضى بزعامة سيما قوانغ (١٠١٩ — ١٠٨٦) لما الحقته من الضرر بمصالحهم . والغيت هذه القوانين بعد وفاة الامبراطور شن تسونغ . وبالرغم من ان الوزراء الذين عينهم الامبراطور هوى تسونغ (١١٠١ — ١١٢٥) ، دعوا الى اجراء الاصلاح وصاغوا " القوانين الجديدة " ، الا انهم كانوا يرمون بها الى تشديد استنزاف الفلاحين وتقديم الخدمات لكبار ملاك الاراضى . فظلت التناقضات فى تفاقم ، حتى اندلعت انتفاضة فلاحية بزعامة سونغ جيانغ وفانغ لا (؟—١١٢١).

انهيار سونغ الشمالية

خلال حكم سونغ الذى دام ٣٢٠ سنة ، نهضت عدة قبائل بدوية فى

الشمال ، واصبحت تتقوى يوما بعد يوم ، وكانت اسبقها نهوضا قبيلة خيتان ، ثم تبعتها نيويتشن واخيرا المغول .

اتبع الامبراطور تاى تسو مؤسس سونغ وخلفاؤه سياسة قمع فى الداخل وتنازلات فى الخارج . فدفعوا اتاوة سنوية الى خيتان تتألف من ١٠٠٫٠٠٠ تايل من الفضة و ٢٠٠٫٠٠٠ لفة من الحرير .

وفى الوقت نفسه احتل فرع من قبيلة تشيانغ جزءا من نينغشيا وقانسو وشنشى ، وانشأ مملكة شيا الغربية (١٠٣٨ – ١٢٢٧) التى كانت تقوم دائما باستفزازات فى مناطق الشمال الغربى ضد امبراطورية سونغ ، ولكن سونغ لجأت الى التنازل والتراجع ايضا تجاه شيا الغربية بتقديم الفضة والحرير لها .

وفى ١١١٥ ، نشأت قبيلة نيويتشن فى حوض نهر هيلونغ فى الشمال الشرقى ، واسست امبراطورية جين (١١١٥ – ١٢٣٤) : فاتصل حكام سونغ بنيويتشن لشن هجوم مشترك على خيتان من اجل اعادة يانجينغ ، ولكن ، بعد هزيمة خيتان ، وقعت يانجينغ فى ايدى نيويتشن . ثم اتجهت نيويتشن نحو الجنوب محاولة القضاء على امبراطورية سونغ التى كان امبراطورها هوى تسونغ وزمرته الحاكمة فى حالة انحطاط وفساد شديدين ، فصاروا عاجزين عن صد العدوان من الخارج . واستولت قوات نيويتشن على كايفنغ عاصمة سونغ فى ١١٢٦ ، واسرت الامبراطورين هوى تسونغ وتشين تسونغ : فانتهت امبراطورية سونغ الشمالية .

تأسيس سونغ الجنوبية (١١٢٧–١٢٧٩)

فى ١١٢٧ ، نزح الامبراطور قاو تسونغ مع موظفيه السياسيين والعسكريين الى جنوب نهر اليانغتسى ، واسس فى لينآن (هانغتشو اليوم) امبراطورية سونغ

الجنوبية :

فى السنوات الاولى من تأسيس سونغ الجنوبية ، تعرض حوض النهر الاصفر للغزو والنهب من قبل قوات نيويتشن . فهب الفلاحون هنالك يحملون الاسلحة ضد الغزاة . وفى نفس الوقت ، ظهر بين صفوف ضباط سونغ ابطال وطنيون فى مقاومة الغزو مثل يوه فى (١١٠٣ — ١١٤١)، ولكن حكومة سونغ الجنوبية كانت وقتئذ فى قبضة المستسلمين بزعامة تشين قوى الذى قدم الى نيويتشن رقعة واسعة من الارض تمتد من شمال نهر هواى شرقا الى ممر داسانقوان غربا ، بغية كسب سلم وقتى فى جنوب نهر اليانغتسى ، بينما امتنع عن تأييد القوات الفلاحية العاملة فى مؤخرة العدو ، وغدر بالبطل الوطنى يوه فى ، ثم سحب القوات من الجبهة الامامية ، ارضاء للعدو .

ولكن نيويتشن لم تكتف بذلك ، وانما واصلت هجومها حتى استولت على ضفاف نهر اليانغتسى فى ١١٦١ . وبفضل مقاومة الجيش والشعب فى الجنوب ، تمكنت سونغ الجنوبية من توطيد حكمها فى حوض نهر اليانغتسى . ثم نزح البيروقراطيون وملاك الاراضى والتجار من الشمال الى الجنوب حيث عادوا يعيشون عيشة انحطاط وفساد مثل حالتهم فى الشمال ، وفرضوا الخدمات المرهقة والضرائب الباهظة على كاهل الشعب هناك .

ونتيجة انتقال المركز السياسى الى الجنوب ، تطورت لينآن عاصمة سونغ الجنوبية الى مدينة كثيفة السكان . وظهرت الى جانبها مدن اخرى كبيرة وبعض الموانئ التجارية التى توافد عليها كثير من التجار الاجانب . وصارت تشنغدو وجيانغلينغ وسوتشو مدنا تجارية مزدهرة ايضا ، واقيمت فيها مختلف معامل الحرف اليدوية التابعة للدولة او للأفراد :

سقوط سونغ الجنوبية

فى ١٢٠٦ ، نهض المغول الذين كانوا يعيشون فى حوض نهر اونان فى شمال شرقى هضبة منغوليا بقيادة زعيمهم المشهور جنكز خان (١١٥٥—١٢٢٧)، واصبحوا قوة تهز العالم . وخلال اكثر من ٣٠ عاما بين ١٢١٨ و١٢٥٣ ، قهروا جميع الدول الكائنة الى الغرب ، وتغلبوا على شيا الغربية ، ثم زحفوا الى الغرب البعيد ، واستولوا على آسيا الوسطى وروسيا وبعض بلدان اوربا الشرقية . وفى ١٢٣٤ ، دمروا امبراطورية جين التى أسستها نيويتشن فى حوض النهر الاصفر ، وبدأوا تهديد سونغ الجنوبية .

وفى خلال ٤٦ سنة ابتداء من ١٢٣٤ ، كانت سونغ الجنوبية تتعرض للتحرشات المنغولية . وقد لجأ المغول الى استراتيجية التطويق قبل ان يشنوا هجوما مباشرا على سونغ الجنوبية ، فاحتلوا يونان والتبت عن طريق تشينغهاى ، ثم دخلوا فيتنام ، ثم استولوا على سيتشوان . وفى ١٢٧٦ ، استولوا على لينآن عاصمة سونغ الجنوبية بقيادة كوبلاى خان الذى حكم من ١٢٦٠ الى ١٢٩٤ وعرف فى تاريخ الصين بالامبراطور شى تسو فى اسرة يوان . ورغم مقاومة الجيش والشعب فى ظروف صعبة تحت قيادة الابطال الوطنيين الثلاثة ون تيان شيانغ (١٢٣٦ — ١٢٨٢) وتشانغ شى جيه (؟ — ١٢٧٩) ولو شيو فو (١٢٣٨ — ١٢٧٩) ، الا انهم اندحروا تحت ضربات العدو الشرس . وفى ١٢٧٩ ، استولت القوات المنغولية على قوانغدونغ وابادت ما تبقى من قوات سونغ الجنوبية ، ونشرت سيطرتها على انحاء الصين .

فن الطباعة وتطور الثقافة

كان اختراع الطباعة احد الاحداث الهامة فى اسرتى سوى وتانغ . ومنذ اختراع الطباعة ، اصبح نشر الثقافة امرا اسهل . فقبل ذلك كانت الكتب الصينية تنسخ باليد . وفى اواخر القرن السادس ظهرت المطبوعات بالألواح

الخشبية المحفورة . وفى المدة ما بين ٨٦٠ – ٨٧٣ من اسرة تانغ ، نشرت الكتب المقدسة البوذية الجميلة التى طبعت بالألواح الخشبية . وفى زمن الامبراطوريات الخمس ، شهد فن الطباعة بالألواح الخشبية تقدما كبيرا واستعمالا اوسع . ففى ٩٣٢ ، طبعت حكومة تانغ اللاحقة تسعة مجاميع من الكتب الكونفوشية . وبالاضافة الى ذلك ، تمت طباعة كتب كثيرة فى سيتشوان وجنوب نهر اليانغتسى . وفى ٩٨١ ، طبع الكتاب المقدس البوذى « دا تسانغ جينغ » الذى يقع فى ٥٫٠٤٨ كراسة . وصار فن الطباعة فى غاية الدقة فى عهد رن تسونغ (١٠٢٣ – ١٠٦٣) من اسرة سونغ ، حيث اخترع بى شنغ طريقة الطباعة بالحروف المتحركة . ومنذ ذلك الحين ، ظهرت النسخ المطبوعة للكثير من الكتب الضخمة مثل « الموسوعة الامبراطورية فى عهد تاى بينغ » و« المختارات الادبية فى اواخر امبراطورية ليانغ » .. الخ . ويضم كل منها ١٫٠٠٠ كراسة .

ونتيجة اختراع الطباعة ، ازداد عدد الكتب المطبوعة اكثر فأكثر ، اذ بلغ تعداد الكتب العامة فى سونغ الشمالية اكثر من ٧٠٫٠٠٠ مجلد ، والكتب الخاصة فى اوائل سونغ الجنوبية اكثر من ١٠٠٫٠٠٠ مجلد .

ومع ازدياد الكتب ، تطورت العلوم المختلفة . ففى مجال علم الطبيعة ، دونت فى كتاب الاقراباذين الذى تم تأليفه فى عهد هوى تسونغ من اسرة سونغ ، ٨٩٣ نوعا من العقاقير مع شرح لخواصها . ويقدم كتاب « الطرق الهندسية » الذى الفه لى جيه ، شرحا تفصيليا لفن العمارة فى الصين منذ تانغ . واشتمل كتاب « مجموعة من اهم التقنيات العسكرية » الذى تم تأليفه فى حكم رن تسونغ من اسرة سونغ ، على طريقة صنع البارود . وفى ميدان الانسانيات ، ظهرت مدرسة كونفوشية جديدة تبحث فى الفلسفة العقلية ، كان من اقطابها تشنغ يى (١٠٣٣ – ١١٠٧) وتشو شى (١١٣٠ – ١٢٠٠) . وفى علم التاريخ ،

تم تأليف عدد من الكتب التاريخية المشهورة ، منها « تاريخ الامبراطوريات الخمس الجديد » للمؤلف اويانغ شيو (١٠٠٧ — ١٠٧٢) ، و« مرآة التاريخ » لسيما قوانغ (١٠١٩ — ١٠٨٦) ، و« جامع التواريخ » لتشنغ تشياو (١١٠٤— ١١٦٢) ، و« سجلات الحوادث التاريخية » ليوان شو (١١٣١ — ١٢٠٥).
وبرز فى اسرة سونغ كثير من الشعراء، اشهرهم شين تشى جى (١١٤٠ — ١٢٠٧) والشاعرة لى تشينغ تشاو (١٠٨١—٢) .

اسرة يوان (١٢٧١—١٣٦٨)

انشأ كوبلاى خان المغولى امبراطورية يوان فى ١٢٧١ ، وقهر سونغ الجنوبية فى ١٢٧٩ . ومنذ ذلك الحين بدأ ابناء الشعب من قومية الهان والقوميات الاخرى يعانون من الاضطهاد المزدوج الطبقى العنصرى الذى استمر ٨٩ سنة تحت الحكم المغولى . وقد قسم حكام يوان السكان الى اربع درجات : المغول فى الدرجة الاولى ، وشعب سمو (من المناطق الغربية) فى الثانية ، وشعب الهان فى الثالثة ، وشعب الهان الجنوبى فى الاخيرة .
وقد حرم الهانيون من المناصب العسكرية والادارية العليا ، ووضع العاملون منهم فى الوظائف المحلية تحت مراقبة موظف مغولى او سموى ، بالاضافة الى منعهم من الاحتفاظ بالأسلحة .
وخلال حكم كوبلاى خان ، شهد الاقتصاد الزراعى فى الشمال بعض الانتعاش . ولكن الاقتصاد الوطنى بشكل عام ظل معوقا تحت حكم الارستقراطيين المغول .
وكان نهب المغول للأراضى فظيعا ليس له مثيل فى تاريخ الصين . وقد تحولت مساحة كبيرة من الاراضى العامة الى مراع خاصة فى شمال النهر الاصفر. ويستفاد مما ورد فى السجلات التاريخية ان حكام يوان وزعوا كل الاراضى

المسلوبة من خيتان وسونغ الجنوبية على الارستقراطيين المغول . وبلغت المساحة التى منحت لكل ارستقراطى مغولى حوالى ٢٠ تشينغ (وحدة مساحة صينية تساوى ٦٦ر٦ هكتار) او ٣٠ تشينغ او ٥٠٠ او ٥٠٠٠ . كما وزعوا الاراضى المساوية من الفلاحين على القوات المساحة او المعابد . واثناء حكم الامبراطور وو تسونغ (١٣٠٨ — ١٣١١) ، كانت الاراضى التى منحت للقوات المساحة ، تنتشر فى مائتى موضع ، وبلغت مساحتها ١٧٢ الف تشينغ . وكانت مساحات الارض التى وزعت على المعابد ، كبيرة الى حد مدهش . وعلى سبيل المثال فان مساحة الارض الممنوحة من الامبراطور شون دى (١٣٣٣— ١٣٦٨) الى معبد هو شنغ ، وصلت الى ١٦٢ الف تشينغ . وقد قام الامراء والموظفون والرهبان بالاستيلاء المستمر على اراضى الفلاحين ، بينما استولى ملاك الاراضى الهانيون فى مناطق نهر اليانغتسى على الارض دون رادع .

وقد صادر حكام يوان خيول الفلاحين واستخدموها فى الاغراض العسكرية ، ففقد الفلاحون حوالى ٧٠٠ الف حصان كانوا يستخدمونها فى جر العربات وحراثة الارض ، مما الحق ضررا كبيرا بالانتاج الزراعى والمواصلات فى الارياف .

وفى شمال الصين ، اصبح معظم الفلاحين عبيدا لدى الارستقراطيين المغول ، وقاموا لهم مرغمين ، بالأشغال المختلفة بلا مقابل . وفى بعض المناطق كان لملاك الاراضى الحق فى بيع عبيدهم او تأجيرهم للملاك الآخرين . وفرض على الفلاحين الذين تمكنوا من البقاء فى ارضهم ، ان يدفعوا ضريبة الارض وضريبة الرؤوس ، وان يؤدوا الخدمة الالزامية . ودفعت الضرائب المرهقة والسخرة بالفلاحين الى تقديم اراضيهم للأرستقراطيين المغول والعمل عندهم كمستأجرين .

الصناعة والتجارة فى اسرة يوان

فى اسرة يوان تطورت الصناعات اليدوية التى كانت تزود الطبقات الارستقراطية بالبضائع . وكان للصناعات اليدوية الحكومية اقسام متخصصة متعددة شملت صناعة الذهب والفضة والنحاس والحديد والخيزران والخشب والحجارة وما الى ذلك .

وطرأ تطور ملموس على الصناعات اليدوية الخاصة . وطبقا لما ذكر فى « رحلات ماركوبولو » ، قد انشئ كثير من المعامل الخاصة الكبيرة فى مدينة هانغتشو . وصار الآلاف من العمال الذين يشتغلون فى المعامل الحكومية عبيدا ، فتردت حالتهم الى درجة ان اجورهم كانت لا تكفيهم لسد الروق .

وفى حكم كوبلاى خان ، حفرت قناة هويتونغ فى شاندونغ . وكان العالم المشهور قوه شو جينغ (١٢٣١ — ١٣١٦) مسؤولا عن مشروع حفر قناة تونغهوى من تونغتشو الى بكين والتى ربطت بكين بالمدينة المزدهرة هانغتشو فى الجنوب ، وسهلت الاتصال بين الشمال والجنوب . كما فتح طريق بحرى من نهر اليانغتسى الى بايخه مرورا بشبه جزيرة شاندونغ . وقد نشأت بتأثير هذا المشروع بعض المدن مثل قوانغتشو وتشيوانتشو وتشينغيوان وشانغهاى وقانبو وونتشو وهانغتشو كمراكز تجارة بحرية . وجاء الى الصين كثير من الاجانب الغربيين الذين حملوا معهم الثقافة الغربية ، كما نقلوا الثقافة الصينية الى الغرب . وقد اورد الرحالة ماركوبولو الذى امضى خمسة عشر عاما فى الصين ، معلومات مفصلة عن عظمة الصين ، واثار بذلك رغبة الغربيين فى معرفة الحضارة الصينية .

الادب والدين فى عهد يوان

بلغت الفنون المسرحية فى اسرة يوان مستوى عاليا من التطور . وبناء على سجلات يوان التاريخية ، كان هناك مائة كاتب مسرحى مثل قوان هان

تشينغ ووانغ شى فو وما تشى يوان ، وعدد من الكتاب المغول . وفى الوقت نفسه بدأت الرواية تتطور ، وكان اشهرها فى تلك الفتره هى « ابطال على شاطئ البحيرة » للكاتب شى ناى يان . وبتأثير من ثقافة الهان ، قدم المغول وشعب سمو مساهمات كبيرة فى تنمية الادب . وتبنى المغول سياسة التسامح مع الاديان المختلفة . فرغم انهم كانوا يؤمنون بالبوذية ويقدسون اللامات (الرهبان البوذيين) ، الا انهم سمحوا بنشر الدين الاسلامى والدين المسيحى . وقلما اتخذوا موقفا عدائيا تجاه التاوية .

انتفاضــات الفلاحيــن الكبرى للاطاحة بحكم المغول فى الصين

بلغت امبراطورية يوان اوج قوتها اثناء حكم كوبلاى خان ، ولكنها بدأت بالانحدار بعد وفاته . فوقع صراع عنيف بين الامراء على وراثة العرش ، حتى نشبت عدة انقلابات قاموا بها لنفس الغرض . وخلال المدة ما بين ١٣٠٧ و١٣٣٣ ، تعاقب ثمانية اباطرة على العرش . وتفاقم الوضع فى ظل طغيان النبلاء وكبار الموظفين والاقطاعيين ، وتحت ضغط الكوارث الطبيعية كالفيضانات والجفاف والمجاعة ، حتى لم يعد الشعب قادرا على ان يواصل الحياة بأدنى المستويات . فحدثت انتفاضة فلاحية كبرى فى عهد الامبراطور شون دى آخر اباطرة يوان . والحقيقة انه منذ سقوط سونغ الجنوبية والفلاحون من قومية الهان لم يتوقفوا عن القيام بالانتفاضات المسلحة ضد حكم يوان . ويسجل « تاريخ اسرة يوان » مائتى انتفاضة خلال العشر سنوات التى اعقبت اخضاع المناطق الواقعة على جنوب نهر اليانغتسى ، واربعمائة اضطراب قام بها الفلاحون . ومع ان هذه الانتفاضات قد سحقت ، الا انها عادت الى الظهور فى ١٣٥١ بقيادة ليو فو تونغ (؟ — ١٣٦٣) وشيوى شو هوى (؟ —

١٣٦٠) وقوه تسى شينغ (؟ — ١٣٥٥)، ثم تشن يو ليانغ (١٣٢٠ — ١٣٦٣) وتشانغ شى تشنغ (١٣٢١ — ١٣٦٧) . وبذلك صارت البقاع الواسعة الممتدة على حوض النهر الاصفر ونهر هوايخه ونهر اليانغتسى تضج بالانتفاضات الفلاحية ضد حكام يوان واتباعهم — ملاك الاراضى الهانيين . واستمرت الانتفاضات عشرين سنة ، تكرست خلالها حالة التجزئة التى حاول فيها كل من قادة الانتفاضات تدعيم حكمه المستقل . وفى النهاية ، تمكن تشو يوان تشانغ (١٣٢٨ — ١٣٩٨) قائد القوات التابعة لقوه تسى شينغ ، من الاطاحة بحكم يوان وتصفية خصومه الآخرين واسس اسرة مينغ .

٤— امبراطورية مينغ وامبراطورية تشينغ
(القرن الرابع عشر — القرن التاسع عشر)

امبراطورية مينغ (١٣٦٨—١٦٤٤)

اسس تشو يوان تشانغ اسرة مينغ فى ١٣٦٨ ، متخذا من نانجينغ عاصمة لها ، وتسمى هو بالامبراطور تاى تسو . ثم ارسل قواته لطرد شون دى امبراطور يوان والارستقراطيين المغول من بكين ، منهيا بذلك حكم يوان القاسى .

وبعد طرد الارستقراطيين المغول ، قتل تشو يوان تشانغ كثيرا من قواده الذين شك فى انهم يتآمرون ضده . فأمسك بكل السلطة فى قبضته ومارس حكما استبداديا قاسيا . وفصل الشؤون العسكرية عن الشؤون السياسية التى اناطها بالوزراء ، بينما تولى هو الشؤون العسكرية والسياسية معا .

وبعد موت تشو يوان تشانغ ، استولى على العرش ابنه الرابع المعروف بالامبراطور تشنغ تسو (١٣٦٠ — ١٤٢٤) ، ونقل العاصمة الى بكين . وخلال

حكم تشنغ تسو وشيوان تسونغ ، بلغت مينغ اوج قوتها . فقد قام تشنغ خه (١٣٧١ — ١٤٣٥) احد خصيان البلاط الامبراطورى ، بسبع رحلات بحرية مع اسطوله الكبير الى جزر البحر الجنوبى والمحيط الهندى حتى سواحل شرق افريقيا ، واقام علاقات تجارية وثقافية مع هذه المناطق ، فذهب كثير من الصينيين اليها وقدموا مساهمات فى تطوير اقتصادها .

وخلال الخمسين سنة الاولى من حكم مينغ ، ارسلت قوات مينغ اشن الهجومات على المغول من اجل منع عودتهم ، ولكنها لم تكسب انتصارا حاسما . وفى ١٤٤٩ ، قاد الامبراطور ينغ تسونغ جيشه لمقاومة غزوات المغول ، ولكنه اندحر ووقع اسيرا فى ايدى المغول . واستمرت المجابهة بين مينغ والمغول مدة طويلة . وكان حكام يوان قد اقاموا مقاطعات وحاميات وادارات عسكرية هناك لاحكام سيطرتهم على قبائل الحدود فى الشمال الشرقى :

تركز الارض وبداية دفع الضرائب بالفضة

فى السنوات الاولى من حكم مينغ ، سعى الامبراطور تاى تسو الى اعادة تطوير الاقتصاد ، فشجع على استصلاح الاراضى البور ، وبناء مشاريع الرى ، وزراعة القطن ، ولجأ الى تخفيض الضرائب او الاعفاء منها . ونتيجة لتنفيذ هذه السياسة ، اصبحت الاراضى التى اهملت فى اثناء الحروب فى شاندونغ وخبى وخنان وحوض نهر هوايخه ، تزرع ثانية بالحبوب والمحاصيل الاخرى .

وخلال حكم مينغ ، حاول كل من الاباطرة والارستقراطيين ضم الاراضى والاستيلاء عليها . وجاء فى السجلات التاريخية ان مساحة المزارع الامبراطورية بلغت ٣٧ الف تشينغ ، وتملك اقرباء الاباطرة وخصيان البلاط الامبراطورى

٣٣٢ مزرعة بمساحة قدرها ٣٣ الف تشينغ . وامتلاك الامير فو فى عهد الامبراطور شن تسونغ ٢٠ الف تشينغ ، والامير لو ٤٠ الف تشينغ . اما مزارع النبلاء والوزراء فبلغت الواحدة منها حوالى ١٠٠ تشينغ فى المعتاد ، بالاضافة الى الاراضى التى حصلوا عليها عن طريق الشراء او المنح الامبراطورية او الاغتصاب. وقد شارك ملاك الاراضى فى حركة ضم الاراضى ، فأصبحت ملكية الارض مركزة جدا فى اواخر حكم مينغ .

وكانت الضرائب تجبى مرتين فى السنة ، مرة فى الصيف واخرى فى الخريف . وكانت تدفع بالمحصولات الزراعية او بالعملة الفضية او الورقية . وفى عهد الامبراطور شن تسونغ ، تحقق توحيد كل اصناف الضرائب ، وصارت تدفع كلها بالفضة حسب مساحة الارض المماوكة .

نمو الصناعات اليدوية وازدهار الاقتصاد المدينى ووصول الاوربيين

كانت امبراطورية مينغ متفوقة على كل الامبراطوريات السابقة فى مجال الصناعات اليدوية ، وذلك يرجع الى تحرر العمال اليدويين من وضع العبودية ، ونقل كثير من الفنون اليدوية من المناطق الغربية اثناء حكم يوان .

وقد احرزت صناعة الحديد وبناء السفن والغزل والنسيج والطباعة وانتاج الأوانى الخزفية تقدما تقنيا ملموسا . وكان من اشهر الصناعات صناعة الحديد فى تسونهوا فى مقاطعة خبى ، والطباعة فى بيلينغ (ووجين فى جيانغسو) ، والغزل والنسيج فى سوتشو وهانغتشو ، وصناعة الزجاج فى بيدو فى شاندونغ ، وبناء السفن فى قوانغدونغ وفوجيان . وكان لصناعة الاوانى الخزفية فى جينغدتشن بجيانغشى شهرة اوسع حيث كانت تنتج سنويا عشرات الآلاف من القطع الخزفية ، وبلغ عددها ١٥٩ الف قطعة فى عام ١٥٩١ . وهذه الصناعات

اليدوية لم يكن بالامكان ان تؤسس بالاعتماد على الجهود الفردية ، وانما نشأت فى شكل جماعى ذى طابع رأسمالى بدائى . ويمكن القول ان الصين التى دخلت مع تشو الغربية بداية مرحلة الاقطاع ، قد وصلت فى اواسط اسرة مينغ الى الطور الاخير منه .

ونتيجة للأوامر التى اصدرها الامبراطور تاى تسو للفلاحين بوجوب زراعة القطن ، اصبح غزل ونسج القطن عملا رئيسيا لهم . ومنذ القرن السادس عشر ، اقام التجار علاقات مباشرة مع الغزالين والنساجين الريفيين ، مثبتين طلبات شراء منتوجاتهم القطنية . ومع بداية القرن التالى ، اصبح بامكان الغزالين والنساجين فى الارياف الحصول على الآلات والمواد الخام من التجار ، وصنع المنسوجات لهم لقاء اجور على شكل مكافآت .

وبدأ الصناع اليدويون فى تشكيل روابط مهنية لحماية مصالحهم المشتركة ، ولكنها كانت بشكل رئيسى لحماية الحقوق الخاصة لرؤساء الروابط ، بينما قدمت الخدمات للحكومة ايضا مثل ترتيب السخرة وجمع التبرعات . وفى عهد مينغ ، ظهرت الى الوجود ٣٣ مدينة تجارية كبيرة ، منها بكين ونانجينغ ، وثمان منها فى الشمال واحدى عشرة فى تشجيانغ وجيانغسو .

وكان للتجار تنظيمات خاصة بهم ، بعضها فى شكل روابط مفتوحة لمن يمارسون نفس النوع من التجارة ، وبعضها الآخر فى شكل دور تجارية تضم التجار القادمين من نفس المقاطعة او المدينة .

ووصلت التجارة الخارجية مستوى رفيعا فى الايام الاولى لأسرة مينغ : وقد وصلت السفن التجارية البرتغالية الى قوانغدونغ فى ١٥١٦ ، مفتتحة بذلك خطا بحريا بين الصين واوربا . ثم قدم التجار الاسبان فى ١٥٥٧ وتبعهم الهولنديون فى ١٦٠٦ ، فالانجليز فى ١٦٣٧ ، ثم جاءت البعثات التبشيرية . ففى ١٥٨١ وصل المبشر اليسوعى الايطالى ماتيوريتشى (١٥٥٢ — ١٦١٠)

الى قوانغدونغ للتبشير بالمسيحية ، ثم تبعته بعثات كاثوليكية عديدة الى الصين :

الانتفاضات الفلاحية وسقوط امبراطورية مينغ

كانت امبراطورية مينغ فى كامل ازدهارها لمدة ٦٠ عاما . وخلال القرن (١٥٢١ – ١٦٢٧) الذى تلا حكم شى تسونغ ، بدأت فى هبوطها السريع . فقد تعرضت لغزو التتار من الشمال الغربى ، وضغط اليابانيين على الشمال الشرقى . وفى ١٦١٦ عندما اسس المنشويون مملكتهم فى الشمال الشرقى ، تفاقم الخطر المحدق بها .

وكان حكم مينغ بأيدى خصيان البلاط الامبراطورى الذين ابعدوا كل خصومهم عن المناصب ، مما سبب معارضة شديدة من المثقفين المنتمين الى منظمة دونغلين ، فاشتد الصراع حدة بين صفوف الطبقة الحاكمة . وازداد الوضع السياسى سوءا ، وعم الفساد كل اجهزة الدولة . وبحجة تقوية الدولة فرضت الحكومة عبئا جديدا من الضرائب على الفلاحين ، فانفجرت عدة انتفاضات فلاحية فى ١٦٢٨ . وقعت الاولى فى شمال شنشى حيث انتشرت مجاعة شديدة . واعلنت القوات المرابطة فى يانآن وسويده والتى عانت من الجوع ايضا ، التمرد على حكم مينغ ، ثم انضمت الى صفوف الفلاحين المنتفضين . وكان لى تسى تشنغ (١٦٠٦ – ١٦٤٥) وتشانغ شيان تشونغ (١٦٠٦ – ١٦٤٦) من اشهر زعماء الانتفاضات الفلاحية . وفى ١٦٣٥ ، تجمع قادة الانتفاضات كلهم فى ينغيانغ بمقاطعة خنان حيث توحدت ١٣ منظمة و٧٢ وحدة . وقاد تشانغ شيان تشونغ قواته مقاتلا من خنان وآنهوى وهوبى وهونان الى سيتشوان . وتقدم جيش الفلاحين بقيادة لى تسى تشنغ متجها الى الشمال عبر النهر الاصفر فى ١٦٤٤ ، واجتاز تاييوان وداتونغ وممر جيويونغقوان حتى دخل بكين . فانتهى حكم مينغ بانتحار الامبراطور

تشونغ تشنغ (١٦٢٨ – ١٦٤٤) شنقا على تلة جينغشان خلف القصر الامبراطورى .

الروح الجديدة فى ثقافة مينغ

فى اواسط اسرة مينغ ضعفت الكونفوشية الجديدة التى كانت مدعومة من حكام سونغ ويوان ومينغ ، وفقدت مكانتها فى بعض الاوساط الفكرية ، وظهرت مدرسة جديدة على يد الفيلسوف وانغ شو رن (١٤٧٢ – ١٥٢٨) تبنت شعار " وحدة المعرفة والعمل " . وكان وانغ اشهر كونفوشى جديد فى اسرة مينغ ، وقد سادت فلسفته طوال المدة من اواسط مينغ حتى الايام الاولى لامبراطورية تشينغ . وكان الى جانبها مدرستان فكريتان ، اولاهما عرفت بالدعوة الى التعليم الشامل والاطلاع الواسع ؛ وشددت الثانية على ضرورة دراسة التاريخ والكلاسيكيات مع الاهتمام بالممارسة فى المسائل السياسية والاجتماعية . وفى هذا الخصوص ، يجدر بالاشارة الى كتاب « الطبيعة تطور المصادر » بقلم سونغ ينغ شينغ وكتاب « الموسوعة الطبية الصينية » بقلم لى شى تشن (١٥١٨ – ١٥٩٣) . فالكتاب الاول يوضح التقدم الصناعى بالتفصيل ، بينما الثانى يقدم خلاصة فى علم الحيوان والنبات والتعدين ، ويركز على تصنيف النباتات . وفى الوقت نفسه ، دخلت العلوم الغربية الى الصين مثل الرياضيات والفلك والتقويم والرى والميكانيكا والجغرافيا والفسيولوجيا . وبدأ بعض العلماء الصينيين دراسة هذه العلوم وهم شيوى قوانغ تشى (١٥٦٢ – ١٦٣٣) ولى تشى تساو (؟ – ١٦٣٠) . ومع بدايات الرأسمالية فى عهد مينغ ، ظهرت ثقافة جديدة تتمشى مع العناصر الاقتصادية الجديدة . واحرزت انجازات جديدة ايضا فى مجال الادب ، وكانت صفات الادب المميزة فى تلك الفترة هى كتابة الروايات باللغة الحديثة مثل « قصص الممالك الثلاث » و« الحج الى

الغرب » و« تقديس الآلهة » و« الاوتس الذهبى » .

دخول المنشويين عبر ممر شانهايقوان ونضال شعب الهان ضدهم

كان المنشويون يعيشون على مصب نهرى مودان وسونغهوا بالاعتماد على الزراعة وتربية المواشى ، وكانوا متخلفين ثقافيا .

وفى ١٥٨٠ ، ضم المنشويون ، بقيادة زعيمهم نرهاشى ، قبائل كثيرة اليهم ، واسسوا مملكة جين اللاحقة فى ١٦١٦ ، وعدلوا اسمها فيما بعد الى امبراطورية تشينغ .

وفى ١٦٢١ ، استولى نرهاشى الذى عرف فى التاريخ بالامبراطور تاى تسو ، على مدينة لياويانغ التى كانت تحت حكم مينغ ، وجعلها عاصمة لامبراطوريته ، واخيرا نقل العاصمة الى شنيانغ . وتوفى فى ١٦٢٦ ، وخلفه على العرش ابنه الامبراطور تاى تسونغ ، فاحتل منغوليا ، ثم قام بعدة حروب استولى خلالها على عدة مدن ومناطق ريفية فى الشمال الشرقى . وحين دخل زعيم الفلاحين الثائرين لى تسى تشنغ الى مدينة بكين ، كانت قوات الامبراطور تاى تسونغ عند بوابة ممر شانهايقوان حيث يلتقى السور العظيم بالبحر . وارتكب وو سان قوى قائد قوات مينغ فى الممر خيانة قومية بالسماح لقوات المنشويين باختراق السور العظيم الى داخل الممر . ثم توفى الامبراطور تاى تسونغ ، وخلفه ابنه فو لين . واستطاع المنشويون ، بالتواطؤ مع الخائن وو سان قوى ، دحر القوات الفلاحية التى يقودها لى تسى تشنغ . وبعد الاستيلاء على بكين ، نصب فو لين نفسه امبراطورا عرف بالامبراطور شى تسو الذى كان على العرش من ١٦٤٤ حتى ١٦٦١ . واستسلم بعض القواد والموظفين فى بلاط مينغ الامبراطورى لحكام تشينغ ، وبذلوا جهودا كبيرة فى خدمتهم وساعدوهم على قمع مقاومة شعب الهان ، بينما قام بعضهم الآخر بعدة حملات

ضد قوات تشينغ بمعاونة الشعب ، برز فيها كثير من الابطال الوطنيين ، ومنهم شي كه فا (؟ — ١٦٤٥) وتشنغ تشنغ قونغ (١٦٢٤ — ١٦٦٢) ، الى جانب الابطال من القوات الشعبية مثل لى جين (؟ — ١٦٤٩) ولى لاى هنغ (؟ — ١٦٦٤) ولى دينغ قوه (؟ — ١٦٦٢) . واستطاع لى دينغ قوه ان يصد القوات المنشوية دفاعا عن الجنوب الغربى لمدة ثلاثة عشر عاما . وظل تشنغ تشنغ قونغ يقاوم المنشويين فى تايوان حتى ١٦٨٣ .

ازدهار وانحطاط امبراطورية تشينغ (١٦٣٦—١٩١٢)

كانت امبراطورية تشينغ فى قمة ازدهارها خلال قرن ونصف قرن بعد تأسيسها . ولما كان حكام المانتشو فئة ضئيلة بالنسبة الى سكان الصين ، قد عاشوا خائفين من مقاومة شعب الهان ، فلم يجرؤوا على ممارسة الاستغلال المفرط ، فلقيت القوى المنتجة الاجتماعية تطورا مستمرا ، وازدهر الاقتصاد الريفى ، واتسعت مساحات الارض المزروعة ، وزاد عدد السكان الى ٤٠٠ مليون ، وتضاعف دخل الدولة ايضا . وخلال حكم الامبراطورين كانغ شى (١٦٦٢ — ١٧٢٢) وتشيان لونغ (١٧٣٦ — ١٧٩٥) ، تعززت وحدة الصين . ومع نهاية القرن السابع عشر ، قامت حكومة تشينغ بثلاث حملات ضد تسونقار — احد فروع المغول ، واحبطت تمرده ، ثم ارسلت قواتها لحراسة الدالاى لاما السادس اثناء عودته الى لاسا — مدينة اللامات المقدسة فى التبت . واجرت حكومة تشينغ بعض الاصلاحات فى التبت ايضا ، فبسطت سلطانها عليها .

تميزت امبراطورية تشينغ فى عهد الامبراطور تشيان لونغ بقوتها وازدهارها . ومنذ ١٧٥٦ ، عادت قواتها الى شن الهجوم على تسونقار ، ثم على الويغور فى شينجيانغ . وفى نفس الوقت ، ضاعفت حكومة تشينغ قواتها فى التبت ،

وعززت من ساطة موظفيها هناك ، وبذلك دعمت حكمها فى التبت وشينجيانغ .
ولكن الفساد استشرى منذ السنوات الاخيرة من حكم الامبراطور تشيان لونغ ، واندلعت الثورات الشعبية بعد ان اعتلى الامبراطور جيا تشينغ العرش ، مما جعل امبراطورية تشينغ تسير فى طريقها الى الانحطاط .

وفى ١٧٧٤ ، رفع وانغ لون علم الانتفاضة ضد تشينغ ، وتبعه المسلمون الصينيون فى القيام بالانتفاضة فى قانسو ، ثم انتفضت قومية مياو فى هونان وقويتشو . وفى عهد جيا تشينغ ، وقعت انتفاضات تحت قيادة جمعية اللوتس الابيض وجمعية القوة السماوية ، واستمرت انتفاضة اللوتس الابيض تسع سنوات ، مجتاحة هوبى وسيتشوان وشنشى ، واضعفت حكم تشينغ الى حد كبير . وفى الجنوب ، قامت جمعية الارض والسماء وجمعية الاخوة الشيوخ بانتفاضات فى اماكن عديدة . ومع نهاية حكم داو قوانغ (١٨٢١ — ١٨٥٠) انفجرت ثورة الفلاحين الكبرى التى قام بها جيش تايبينغ .

نظام اسرة تشينغ

كان التنظيم السياسى لامبراطورية تشينغ موروثا عن تنظيم امبراطورية مينغ ، الا انه كان اشد تمركزا . وكان هناك هيئة مركزية ذات سلطة كبيرة ، وهى المجلس الاستشارى العسكرى الذى يتولى الامور السياسية والعسكرية تحت الاشراف المباشر من الامبراطور . وكانت مهمة الوزراء ان ينفذوا اوامر هذا المجلس .

وقد طبقت تشينغ سياسة قمع شديد على ابناء الهان ، فوضعت قواتها فى الاماكن الاستراتيجية وفرضت سيطرة عسكرية على البلاد . وحاولت القضاء على الافكار المعادية لها بانزال العقوبات على كثير من الكتاب ، بحجة انهم يستعملون لغة غير لائقة ضد المنشوريين . ومع ان حكومة تشينغ كانت

تسمح لأفراد قومية الهان باستلام بعض المناصب الرسمية مركزيا او اقليميا ، الا انهم حرموا من بعض المناصب الاخرى . ومع ان التمييز ضد شعب الهان فى اسرة تشينغ ، لم يكن واضحا كما كان خلال حكم المغول ، ولكن الاجراءات التى اتخذت ضد الهانيين فى حكم تشينغ ، كانت اوسع واكثر خداعا .

واستولى حكام تشينغ ، شأن حكام يوان ، على الاراضى بدون حدود ، وصادروا كل المزارع التى كانت فى حوزة بلاط مينغ الامبراطورى والارستقراطيين ، ووزعوا بعضها على الارستقراطيين المنشويين وجنودهم . وطبقا لما ورد فى « قوانين اسرة تشينغ» و« موجز وثائق وسجلات اسرة تشينغ » ، قد كان للبلاط الامبراطورى ٨٦٨ مزرعة ، وللقبائل الامبراطورية للرايات الثمانى ١٫٤٠٧ مزارع كبيرة و٢٥٩ مزرعة صغيرة و٣٧٥ بستانا كبيرا و١٠٢ بستان صغير ، بالاضافة الى اكثر من ثلاثة ملايين مو من الارض التى اغتصبتها حاميات الرايات الثمانى من الفلاحين واستخدمتها لأغراض عسكرية .

وفى بداية حكم تشينغ اتبعت السياسة الضريبية التى وضعتها حكومة مينغ . وفى ١٧٢٥ تم توحيد الضرائب المتنوعة فى ضريبة واحدة عرفت بضريبة الارض والرؤوس .

الصناعة والتجارة قبل حرب الافيون

تطورت صناعة التعدين كالذهب والفضة والحديد والنحاس والقصدير وغيرها من المعادن تطورا ملحوظا قبل حرب الافيون . فكان فى قوانغشى ما يزيد على عشرة مناجم يشتغل فى كل منها حوالى عشرة آلاف عامل ، وفى يوننان ٤٥ منجما . وكان بعضها حكوميا والبعض الآخر فرديا . وكان من اشهر

الصناعات فى ذلك الوقت استخراج الملح فى سيتشوان ، وصناعة الخزف فى جينغدتشين ، وصناعة الشاى فى قوانغدونغ ، وصناعة الحرير فى جيانغسو وتشجيانغ . . . الخ .

وكانت التجارة الخارجية فى تشينغ اكثر تطورا منها فى مينغ . وقد جرى تبادل رسمى بين الصين وروسيا القيصرية خلال ١٦٥٥ – ١٦٦٠ . وتلا ذلك توقيع معاهدة نيرتشينسك فى ١٦٨٩ ومعاهدة كياتشتا فى ١٧٢٧ اللتين ثبتتا الحدود فى الجزء الاوسط والشرقى بين البلدين ، فتأسست علاقات تجارية منتظمة بينهما .

واستمرت التجارة البحرية مع البرتغاليين والاسبان والهولنديين . وفى ١٦٨٥ انشأ الانجليز مكتب التجارة فى قوانغتشو ، وبدأت شركة الهند الشرقية تمد نفوذها داخل الصين . وفى ١٧٩٣ وصل المبعوث البريطانى اللورد مكارتنى الى الصين ليطلب من حكومة تشينغ السماح للتجار البريطانيين باستعمال موانئ تشوشان ونينغبوه وتيانجين ، ولكن طلبه قوبل بالرفض . وحرصا على تعزيز النظام الاقطاعى ، اتبعت حكومة تشينغ سياسة الباب المغلق فى التجارة الخارجية التى لم يكن مسموحا بها الا فى ميناء قوانغتشو .

فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر ، بدأت الرأسمالية الاوربية بمد نشاطاتها التجارية الى كافة انحاء العالم . ولما كانت الصين دولة كبيرة المساحة وكثيفة السكان وغنية بالموارد الطبيعية ، قد اصبحت سوقا صالحة لترويج البضائع الاجنبية . وفى ١٨٤٠ ، استعمل البريطانيون السلاح لاجبار الصين على فتح بابها فى اثناء حرب الافيون . ثم نشأ حلف بين الرأسمالية الاجنبية وقوى الاقطاع الصينية للحيلولة دون تطور الرأسمالية الصينية . وهكذا تحولت الصين الى مجتمع شبه اقطاعى وشبه مستعمر .

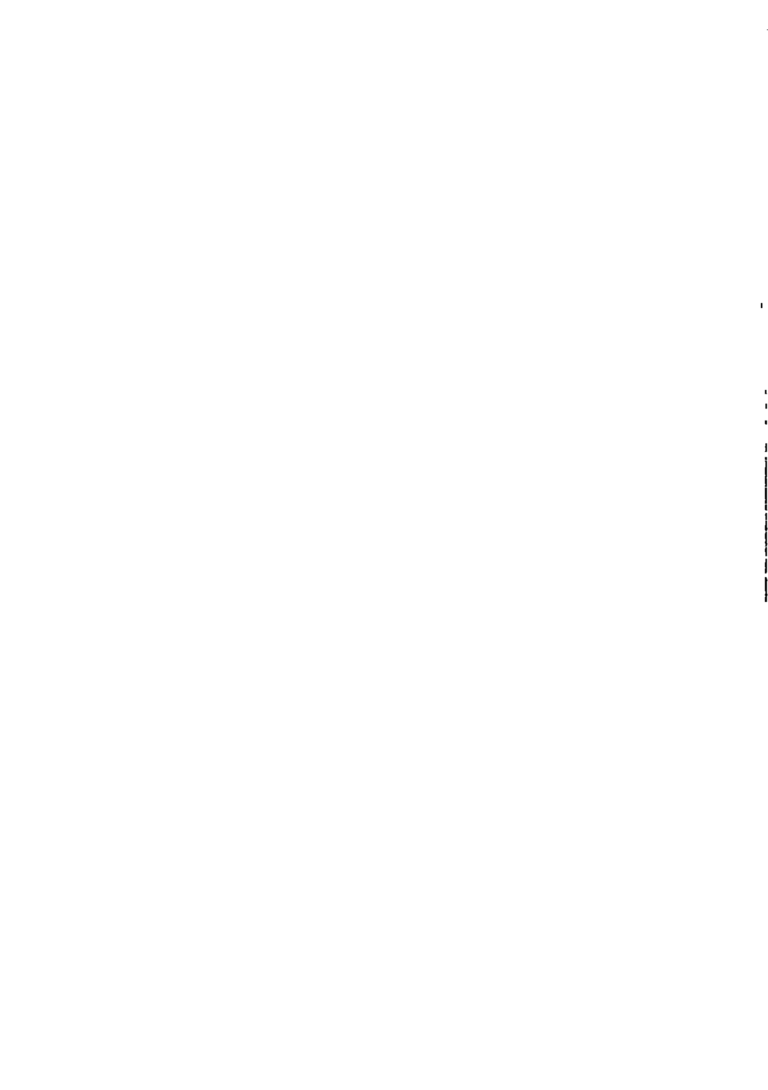
الثقافة قبل حرب الافيون

مع انحلال المجتمع الاقطاعى بالتدريج فقدت مدرسة وانغ شو رن الفلسفية نفوذها ، وكانت فلسفة سائدة خلال المرحلة الاخيرة من المجتمع الاقطاعى الصينى . ورغم انه ظهر فى نهاية مينغ وبداية تشينغ ، فلاسفة مثل هوانغ تسونغ شى (١٦١٠ – ١٦٩٥) يتابعون وانغ شو رن ، الا ان ذلك كان مجرد صدى خافت لتلك المدرسة . وكان هناك معارضون لهم مثل قو يان وو (١٦١٣ – ١٦٨٢) الذى دافع عن آراء تشنغ يى وتشو شى ؛ ووانغ فو تشى (١٦١٩ – ١٦٩٢) الذى احتوت فلسفته على افكار مادية . وكان وانغ فو تشى مفكرا عظيما تقترب افكاره من المدرسة البرجوازية فى بواكيرها .

وفى عهد الامبراطور كانغ شى ، قام المبشر فيرديناند فيربيست (من بلجيكا) وبعثات كاثوليكية اخرى بنشر المعارف العلمية الغربية ومساعدة حكومة تشينغ على مراجعة الكتب التاريخية . كما قام الباحثون الصينيون من امثال وانغ شى تشان (١٦٢٨ – ١٦٨٢) ومى ون دينغ (١٦٣٣ – ١٧٢١) ، بدراسة علوم الغرب .

واثناء حكم الامبراطورين تشيان لونغ وجيا تشينغ (١٧٣٦ – ١٨٢٠) ، احجم كثير من الباحثين الصينيين عن دراسة افكار هوانغ تسونغ شى وقو يان وو ووانغ فو تشى وغيرهم بسبب التحريم الذى فرض على كتابات هؤلاء المفكرين ، فتحولوا الى البحث فى نصوص الكتب الكلاسيكية ، وحققوا نتائج ملحوظة فى هذا الشأن .

وفى الايام الاولى من تشينغ كانت دراما كونتشيانغ ما تزال شائعة ، ولكن بعد حكم تشيان لونغ ، حلت محلها بالتدريج اوبرا بكين كشكل درامى رئيسى . وكتب الادباء كثيرا من الروايات باللغة الحديثة ، مثل « حلم المقصورة الحمراء » و« المثقفون » .



الصين فى المرحلة الحديثة
(مرحلة الثورة الديمقراطية القديمة)

١ـ حرب الافيون

فى المدة ما بين اواخر القرن الثامن عشر وثلاثينات القرن التاسع عشر ، واصل الشعب الصينى انتفاضاته التى اعطت دليلا على ان نظام حكم ملاك الاراضى الاقطاعى لأسرة تشينغ يواجه ازمة تتفاقم يوما بعد يوم . وفى ذلك الوقت بدأت الرأسمالية الاجنبية تغزو الصين من خلال تجارة الافيون :

تجارة الافيون غيـر المشروعــة
وحظرها على يد لين تسه شيوى

وفى ارياف الصين الاقطاعية كانت الحرف اليدوية المنزلية مرتبطة ارتباطا وثيقا بالمزارع الصغيرة ، مما منع المنسوجات البريطانية من ايجاد اسواق كبيرة فى الصين . ولم تكن شركة الهند الشرقية التى سيطرت على التجارة مع الصين تحت اشراف الحكومة البريطانية ، راغبة فى ان تدفع اموالا نقدية لشراء الحرير والشاى من التجار الصينيين فى قوانغدونغ ، فتواطأت مع حكام قوانغدونغ ، خلال عشرات السنين منذ اواخر القرن الثامن عشر ، فى تهريب الافيون الى الصين عن طريق الرشوة ، لكى تنهب الثروات الصينية . كما شارك التجار من الولايات المتحدة والدول الاخرى فى هذه التجارة الشائنة .

فبلغ معدل تصدير الافيون سنويا الى الصين اكثر من ثلاثين الف صندوق بقيمة عشرين مليون دولار . ونتيجة لذلك ، تدفقت كمية كبيرة من الفضة الى خارج الصين ، واصبحت الاعباء الملقاة على اكتاف الشعب الصينى ثقيلة جدا ، وتعرض الانتاج الاجتماعى للتخريب الخطير .

وقد اضطرت حكومة تشينغ الى التفكير فى هذه المشكلة الخطرة . وكانت القوى الرجعية داخل الطبقة الحاكمة لا تؤيد حظر الافيون ، لكن بعض المسؤولين سعوا الى ذلك بالحاح ، وكان فى مقدمتهم لين تسه شيوى (١٧٨٥-١٨٥٠) الذى اضطر البلاط لتعيينه مفوضا امبراطوريا لمكافحة تجارة الافيون فى قوانغتشو عام ١٨٣٩ . وبالاعتماد على قوى الجماهير هناك ، شن لين تسه شيوى نضالا حازما ضد تجار الافيون الاجانب والموظفين والتجار المحليين الذين جنوا ثروات طائلة من هذه التجارة اللعينة . واضطر التجار البريطانيون ممثلين فى الكابتن تشارلس اليوت القنصل البريطانى ، الى تسليم اكثر من مليون كيلوغرام من الافيون احرقت فى هومن فى ٣ يونيو ١٨٣٩ . ومن اجل القضاء على تهريب الافيون ، اعلن لين تسه شيوى انه يجب على كل سفينة تجارية اجنبية ان توقع تعهدا بعدم شحن الافيون الى الصين عندما تدخل ميناء صينيا . ولكن تجار الافيون رفضوا التقيد بهذه الاجراءات واصروا على مواصلة هذه التجارة الاجرامية . وبعث اليوت الى الحكومة البريطانية يطالب ارسال قوات الى الصين ، كما امر جميع التجار البريطانيين بأن ينسحبوا من قوانغتشو .

الحروب بين ١٨٤٠و١٨٤٢

وبفضل المقاومة الحازمة تحت قيادة لين تسه شيوى ، لم تجرؤ القوات البريطانية على مهاجمة قوانغتشو ، فاتجهت نحو الشمال فى يونيو ١٨٤٠

ووصلت شيامن حيث واجهت مقاومة القوات الصينية بقيادة دنغ تينغ تشن (١٧٧٥ – ١٨٤٦) نائب الامبراطور فى فوجيان وتشجيانغ . وفى يوليو ، تقدمت القوات البريطانية الى تشجيانغ واستولت على دينغهاى ، ثم واصلت التقدم شمالا حتى وصلت مصب نهر هايخه بالقرب من تيانجين . وعند ذاك تراجعت حكومة تشينغ للغزاة البريطانيين ، فأبعدت لين ودنغ عن منصبيهما ، وارسلت تشى شان نائب الامبراطور فى تشيلى (مقاطعة خبى اليوم) الى قوانغتشو من اجل الصلح مع البريطانيين ..

وفى ١٨٤١ ، دمر تشى شان منشآت دفاعية فى قوانغتشو ، ووافق بدون اذن الحكومة على التخلى عن هونغ كونغ لبريطانيا ، ودفع التعويضات للبريطانيين عن الخسائر الناتجة عن حرق الافيون . ولكن الامبراطور داو قوانغ لم يصادق على هذه التنازلات المخزية ، فطرد تشى شان من منصبه ، واعان الحرب على بريطانيا . وفى ٢٥ فبراير ، شنت القوات البريطانية هجوما على هومن ، وصمد القائد قوان تيان بى مع رجاله الذين لا يزيدون كثيرا على ٤٠٠ ، امام الهجوم البريطانى ، حتى استشهدوا جميعا قبل ان تستطيع السفن الحربية البريطانية دخول هومن . وبعد ثلاثة اشهر عقد القائد يى شان صلحا مع بريطانيا يدفع بموجبه ٦ ملايين دولار تعويضا للقوات البريطانية ، بشرط ألا تدخل مدينة قوانغتشو .

اثارت الفظائع التى اقترفتها القوات البريطانية ، والخيانات التى ارتكبها كبار الموظفين فى حكومة تشينغ ، غضبا شديدا وسط الجم الغفير من ابناء الشعب ، فانضوى عشرات الآلاف من اهالى سانيوانلى بشمال غربى قوانغتشو تحت لواء بينغ ينغ توان (فيالق ابادة البريطانيين) . وفى ٣٠ مايو ، زحفوا على حصن سيفانغ حيث كان البريطانيون يعسكرون ، وهاجموهم . كما نهضت المنظمات الشعبية واحدة تلو الاخرى فى مقاومة القوات الغازية ،

مما جعل المعتدين عاجزين عن التحرك كما يحاو لهم فى قوانغدونغ .

وعلى امتداد عام كامل بدءا من اغسطس ١٨٤١ ، قامت القوات البريطانية بالغارات المتكررة على سواحل جنوب شرقى الصين ، والحقت بمقاطعتى جيانغسو وتشجيانغ تخريبات شديدة ، حتى توغلت الى مشارف نانجينغ ، الا انها واجهت مقاومة على طول الطريق من قبل القوات المسلحة الشعبية . كما اظهر بعض الموظفين الحكوميين والقادة العسكريين روحهم الوطنية فى هذه الحرب ، فقد ضحى يوى تشيان حاكم مقاطعات جيانغسو وآنهوى وجيانغشى بحياته فى الدفاع عن تشنهاى فى تشجيانغ ، وصمد القائد تشن هوا تشنغ ضد الغزاة فى حصن ووسونغ حتى استشهد . ولكن ، بسبب فساد قوات تشينغ وضعف قياداتها ، بدت مقاومتهم ضعيفة للغاية ، واخيرا تخلى حكام تشينغ بزعامة الامبراطور داو قوانغ عن كل مقاومة وانحنوا فى ذل امام الغزاة البريطانيين .

معاهدات نانجينغ ووانغشيا وهوانغبو

نصت " معاهدة نانجينغ " التى وقعت فى ٢٩ اغسطس ١٨٤٢ ، على ان تتخلى الصين عن هونغ كونغ لبريطانيا ، وتدفع لها ٢١ مليون دولار ، وتفتح الموانئ الخمسة وهى قوانغتشو وشيامن وفوتشو ونينغبوه وشانغهاى ، للتجارة الاجنبية . كما نصت المعاهدة على ان تحدد ، باتفاق ، تعرفة مناسبة منتظمة لرسوم التصدير والاستيراد على البضائع البريطانية . ان هذه النصوص ، جنبا لجنب مع السلطة القضائية القنصلية والامتيازات الاخرى المنصوص عليها فى " القوانين العامة للتجارة الصينية البريطانية فى الموانئ الخمسة " التى تم التوقيع عليها فى ١٨٤٣ ، او فى الوثائق الاخرى ، قد انتهكت سيادة الصين انتهاكا شديدا ، بينما حصلت بريطانيا والدول الاخرى على المعاملة

التفضيلية من جانب واحد . وهكذا صار الشعب الصينى مقيدا بالأغلال الاجنبية .

وجاءت الولايات المتحدة وفرنسا فى اثر بريطانيا تبحثان عن مزيد من الحقوق والامتيازات من حكومة الصين . كانت الولايات المتحدة شريكة فى العدوان البريطانى العسكرى على الصين . وفى ١٨٤٤ اجبرت حكومة تشينغ على التوقيع على " معاهدة وانغشيا " التى بموجبها حصلت الولايات المتحدة على حق الاتجار فى المناطق الساحلية ، وعلى المزيد من السلطة القضائية القنصلية . واستخدمت فرنسا السفن الحربية للتبشير بالكثلكة ، محاولة استخدام المبشرين كأداة عدوانية . وقد نصت " معاهدة هوانغبو الصينية — الفرنسية " على السماح بالتبشير فى الصين .

المقاومة البطولية للشعب الصينى

ورغم التوقيع على " معاهدة نانجينغ " ، لم يعترف الشعب في قوانغتشو بحق الأجانب فى دخول هذه المدينة . وحدثت الحالة نفسها فى فوتشو ، بحيث لم يسمح للقنصل البريطانى بدخول المدينة الا على شرط عدم رفع العلم البريطانى فى قنصليته . ونظم الشعب فى قوانغدونغ " جمعية السلام " المسلحة للقيام بالنضال الحازم ضد بريطانيا والبيروقراطيين الصينيين المستسلمين ، مما جعل البريطانيين عاجزين عن دخول قوانغتشو خلال اكثر من عشر سنوات . وفى ١٨٤٥ ، قامت الجمعية بتحرك لاقالة حاكم قوانغتشو ، وفى ١٨٤٩ ، قامت بمظاهرة ضد السفن الحربية البريطانية الراسية فى ذلك الميناء ، واحرزت فيهما انتصارا ، فازداد عدد الجمعية من عشرات الآلاف الى مئات الآلاف . وقد شنت الطبقة الحاكمة حملة شعواء ضد هذه الجمعية . وفى ١٨٥٥ ، وقعت مذبحة كبرى على يد يه مينغ شن نائب الامبراطور فى قوانغدونغ وقوانغشى ،

قتل فيها ٧٥٫٠٠٠ من اعضائها .

توسع المطامع العدوانية الاجنبية

بعد التوقيع على معاهدة نانجينغ ، تعرضت الصناعات اليدوية فى بعض انحاء الريف الصينى لمزاحمة السلع الاجنبية ، ولكن المنتجات الصناعية البريطانية وخاصة الاقمشة عجزت عن ايجاد سوق واسعة لها . فخلال اكثر من عشر سنوات ، ظلت هذه التجارة فى حالة ركود ، بينما احتلت الصين مركزا متفوقا فى التجارة الخارجية بازدياد تصدير الحرير والشاى . ولكن التجار البريطانيين صاروا اكثر جرأة على تهريب الافيون الى الصين ، حتى تجاوز حجم الافيون الذى صدروه فى ١٨٥٠ ، خمسين الف صندوق . وواصل الرأسماليون البريطانيون مطالبتهم بفتح موانئ اضافية فى شمال الصين وحوض نهر اليانغتسى ، محاولين الحصول على امتيازات اكثر فى تسويق بضائعهم . وشاركتهم الولايات المتحدة وفرنسا فى هذه المطالبة ، وبدأوا من ١٨٥٤ ، فى الضغط على حكومة تشينغ لتعديل المعاهدات . وفى ١٨٥٧ ، وصل الوزير المفوض الروسى بوتياتين الى تيانجين ، ثم الى شانغهاى فى السنة التالية ، مطالبا بالاتجار فى شتى الموانئ الساحلية . ورفضت الحكومة الصينية مطلبه، فشكلت روسيا بالتعاون مع بريطانيا والولايات المتحدة وفرنسا جبهة متحدة ضد الصين .

الحرب خلال ١٨٥٦-١٨٦٠

شنت بريطانيا متذرعة بـ " حادثة السهم " هجوما على قوانغتشو فى اكتوبر ١٨٥٦ ، فاندلعت حرب الافيون الثانية . وخلاصة هذه الحادثة ان جماعة من الضباط الصينيين كانوا فى اداء مأموريتهم للقبض على بعض

الناس على متن المركب الصينى " السهم " ، ولكن القنصل البريطانى تدخل لمنعهم مدعيا بأن هذا المركب مسجل فى هونغ كونغ بصفته مركبا بريطانيا ، مع ان شهادة التسجيل فى الحقيقة قد انتهى اجلها . وقد تجرأ القنصل البريطانى على هذا التصرف بعد ان اصيبت المقاومة الصينية الشعبية فى قوانغدونغ بضربة شديدة من حكومة تشينغ . ولكن الميليشيا الشعبية فى قوانغتشو كانت ما تزال قادرة على خوض النضال البطولى ، فألحقت هزيمة بالقوات البريطانية المعتدية . وقد نبهت هذه الحادثة الرجعيين فى الداخل الى قوة الميليشيا ، فكافحوها بشتى الوسائل حتى تفككت .

وبعد وقت ليس طويلا هاجمت القوات الفرنسية قوانغتشو بالتعاون مع بريطانيا ، واحتلتها فى ديسمبر ١٨٥٧ ، متذرعة بمقتل المبشر الفرنسى بيرى تشابديلينى الذى تسلل الى قوانغشى بصورة غير شرعية . ثم توجهت شمالا على طول السواحل ، وهاجمت داقو فى ابريل ١٨٥٨ ، ثم استولت على تيانجين. وكانت حكومة تشينغ المنشغلة بقمع الثورة الشعبية لا تود مقاومة العدوان الاجنبى اطلاقا ، وسرعان ما قبلت جميع مطالب الغزاة ، ووقعت على " معاهدة تيانجين " مع بريطانيا وفرنسا . وبموجب المعاهدة ، دفعت حكومة تشينغ تعويضات لبريطانيا وفرنسا عن خسائرهما فى الحرب العدوانية ؛ وفتحت لهما عشرة موانئ وهى نيوتشوانغ ودنغتشو وتايتان ودانشوى وتشاوتشو وتشيونغتشو وهانكو وجيوجيانغ ونانجينغ وتشنجيانغ ؛ وسمحت للأجانب ان يعملوا فى الجمارك الصينية ؛ وان يتجولوا فى داخل الصين ويقوموا بالتجارة والتبشير بصورة حرة ؛ وان ترسو السفن الحربية الاجنبية فى مختلف الموانئ الصينية . وفى ١٨٥٩ ، جرت مفاوضات فى شانغهاى انتهت الى الاعتراف بشرعية تجارة الافيون .

وفى نفس السنة ، حاول الوزيران المفوضان البريطانى والفرنسى الذهاب الى

بكين بصحبة قوة مسلحة لتبادل مذكرات معاهدة تيانجين ، وكانت حكومة تشينغ قد حددت لهما طريقا يسلكانه الى العاصمة ، لكنهما خالفاه واصرا على دخول داقو بالقوة ، الا ان قوات الدفاع الصينية ردتهما على اعقابهما . وفى اغسطس ١٨٦٠ ، انزل عدد كبير من افراد القوات البريطانية والفرنسية الى البر الصينى فاستولوا على داقو وتيانجين ، واخيرا دخلوا بكين ، واحرقوا يوان مينغ يوان (القصر الصيفى القديم) بعد ان نهبوه . فبعث الامبراطور شيان فنغ الذى هرب الى رخه ، بشقيقه الامير قونغ (١٨٣٢ - ١٨٩٨) للتفاوض مع المعتدين ، ووافق الامير على دفع ١٦ مليون تايل من الفضة تعويضا لهم ، وعلى الاعتراف بحق اقامة الدبلوماسيين الاجانب فى بكين ؛ وفتح تيانجين للتجارة ، والسماح لبريطانيا وفرنسا باستئجار الايدى العاملة الصينية لتعمل فى مناطق امتيازاتهما ؛ والتخلى عن جزء من كاولون لبريطانيا وتقديم تسهيلات اكثر للمبشرين فى داخل الصين . وكانت حكومة تشينغ تهدف بموافقتها على المطالب الحصول على دعم الاجانب فى قمع الثورة الشعبية .

وعبر حربى الافيون الاولى والثانية ، بدأت القوى الرجعية الاقطاعية الصينية تتحد مع الرأسمالية الاجنبية لخنق ثورة الشعب الصينى ، مما عوق التطور المستقل للمجتمع الصينى من الاقطاع الى الرأسمالية .

٢- ثورة تايبينغ

اندلاع ثورة تايبينغ وانتصارها

ان غزو الرأسمالية الاجنبية للصين وازدياد استيراد الافيون قد عرضا الفلاحين الصينيين لمعاناة اشد . ومن اجل دفع مقدار كبير من "التعويضات"، فرض حكام تشينغ اعباء ثقيلة على كاهل الشعب ، فدفع الفقر والافلاس

بالفلاحين الى ان ينهضوا للمقاومة ، وانتظم صغار التجار والحرفيين فى جمعيات سرية . كما انضم الى الثورة شغيلة الموانئ وتجار النقل البحرى الذين تضررت حقوقهم ومصالحهم بفتح الموانئ الجديدة وتغيير خطوط النقل القديمة ، وقد تشكلت من مجمل هذه القطاعات الشعبية على اختلافها ثورة عمت البلاد كلها هى ثورة تايبينغ .

كان قائد ثورة تايبينغ مدرسا فقيرا يدعى هونغ شيو تشيوان (١٨١٤ — ١٨٦٤) ، ولد فى عائلة ريفية فى محافظة هواشيان بمقاطعة قوانغدونغ . وتأثر فى وقت مبكر بأفكار جمعية " تيان دى هوى " (جمعية السماء والارض) المناهضة لحكومة تشينغ ، ثم تشرب ببعض المعتقدات الكاثوليكية من المبشرين الاجانب . وفى ١٨٤٣ ، انشأ " جمعية عبادة الرب " ، واتخذ من " الرب " و" يسوع " شعارا للثورة حيث صبغ بعض نظرياته فى المساواة السياسية والاقتصادية والمساواة بين الرجال والنساء بصبغة دينية اكسبته كثيرا من الاتباع وسط الفلاحين الفقراء ، كما انضم الى جمعيته بعض التجار وملاك الاراضى الذين عانوا من ظلم واضطهاد طبقة ملاك الاراضى الحاكمة . وبدءا من ١٨٤٧ ، قاد هونغ شيو تشيوان مع زعيم ثورى آخر هو فنغ يون شان (١٨٢١ — ١٨٥٢) ، جميع اتباعه فى النضال العنيف ضد القوى المسلحة لملاك الاراضى . وشكل فيما بعد كتلة قيادية متكونة من سبعة قادة ، وقاموا بانتفاضة فى قرية جينتيان بمقاطعة قوانغشى فى ١١ يناير ١٨٥١ ، حيث اسسوا مملكة تايبينغ السماوية .

وسرعان ما هزم جيش تايبينغ قوات العدو ، ثم توجه نحو قويلين وتشانغشا ، واستولى على يوتشو ووتشانغ وهانكو ، وواصل التقدم شرقا على طول نهر اليانغتسى حتى وصل الى نانجينغ . تم ذلك فى اقل من ثلاث سنوات . واتسع حجم جيش تايبينغ من عشرة آلاف فرد فى بداية الأمر الى اكثر من مليون .

واتخذ من كبار الموظفين الحكوميين والوجهاء الاشرار وملاك الاراضى والمرابين هدفا له ، فأحرق سجلات ريع الارض ومستنداتها وعقود القروض ، وصادر ثرواتهم لتوزيعها على الفقراء . وقد انضمت اليه ، بسبب ذلك ، جموع غفيرة من الفلاحين الذين شكلوا العنصر الاساسى فى جيش تايبينغ . كما انضم اليه الحرفيون وفقراء المدن الذين كانوا منتظمين فى الجمعيات السرية المعادية لحكم تشينغ .

وفى ١٨٥٣ ، انشأت تايبينغ حكومتها فى نانجينغ . واول عمل قامت به هو اصدار " نظام الارض السماوى" وهو يقضى بالغاء نظام ملكية الارض القديم الذى كانت تطبقه طبقة ملاك الاراضى ، ووجوب تهيئة قدر معين من الارض لكل فلاح لضمان معيشته . وقد اظهر ذلك من جهة روح حكومة تايبينغ الثورية المعادية للاقطاع ، وجسد من جهة اخرى احلام التوزيع المتساوى المطلق للأراضى ، وتطبيق نظام الملكية العامة على هذا الاساس . ومن الطبيعى انه يستحيل تحقيق هذه الفكرة .

وعملت مملكة تايبينغ السماوية على تطوير المشاغل فى المدن ورفع فعالية الانتاج ، بينما طبقت سياسة الاتجار الحر وتخفيف الضرائب وتبسيط اجراءاتها . وبذلك انتعشت التجارة ، وصدرت كميات كبيرة من الحرير والشاى الى خارج حدود مملكة تايبينغ ، وتم القضاء على تجارة الافيون بصورة تامة .

سقوط مملكة تايبينغ السماوية

لم تواصل مملكة تايبينغ السماوية ، بعد الاستيلاء على نانجينغ ، شن الهجوم على بكين — مركز الحكم الاقطاعى ، ولا على شانغهاى — قاعدة الرأسمالية الاجنبية ، وهو خطأ استراتيجى ارتكبته ثورة تايبينغ وساهم فى اسقاطها.

وكانت قيادة تايبينغ قد ارسلت فى ١٨٥٣ قوة مسلحة بقيادة لين فنغ شيانغ (؟ — ١٨٥٥) ولى كاى فانغ (١٨٢٤ — ١٨٥٥) لشن حملة شمالية . وبعد قتال متواصل فى عدة مقاطعات ، وصلت القوة الى تيانجين ، ولكنها عجزت عن التقدم لضعف امداداتها . وفى الوقت نفسه لقى القائد شى دا كاى (١٨٣١ — ١٨٦٣) الذى تقدم بجيشه غربا على طول نهر اليانغتسى ، مقاومة شديدة من القوات المسلحة التابعة لملاك الاراضى بقيادة تسنغ قوه فان (١٨١١ — ١٨٧٢) . وكانت قوات حكومة تشينغ قد تضعضعت حينذاك ، ولكن تسنغ قوه فان نجح فى استنفار جميع ملاك الاراضى المتوسطين والصغار ، وشكل منهم قوة ضاربة ضد جيش تايبينغ . وفى ١٨٥٦ ، حدث نزاع داخلى خطير بين قيادة مملكة تايبينغ السماوية ، فتعرض يانغ شيو تشينغ (؟ — ١٨٥٦) القائد العسكرى البارز ورجاله الى مذبحة على يد وى تشانغ هوى (؟ — ١٨٥٦) الذى ينحدر من عائلة مالك وتاجر كبير . ومع ان وى تشانغ هوى سرعان ما قتل هو الآخر ولكن القائد شى دا كاى ترك القوات الرئيسية لمملكة تايبينغ السماوية ليقاتل منفردا . واضعف ذلك القوى الثورية الى حد كبير ، وجعلها فى وضع عسكرى ضعيف . وفى السنوات الاخيرة من مملكة تايبينغ ، كان جيشها يقاتل بالاعتماد رئيسيا على القائدين الشابين لى شيو تشنغ (١٨٢٣— ١٨٦٤) وتشن يوى تشنغ (١٨٣٧ — ١٨٦٢) .

وبعد انتهاء حرب الافيون الثانية ، حصلت القوى الرأسمالية على كل ما تريده من حكام تشينغ ، فحولت قواتها المسلحة الى مواجهة جيش تايبينغ ومساعدة قوات تشينغ . وفى ١٨٦٠ ، انشأ الامريكى ف . ت. وارد قوات مسلحة من المرتزقة الاجانب فى شانغهاى لتساعد قوات تشينغ فى الهجوم على مملكة تايبينغ . ولكن المرتزقة منوا بالهزيمة عدة مرات تحت ضربات القائد لى شيو تشنغ . وفى بداية ١٨٦٣ ، اتفق لى هونغ تشانغ (١٨٢٢ —

١٩٠١) القائد الكبير فى حكومة تشينغ ، مع السلاح البرى البريطانى على اعادة تشكيل قوات المرتزقة الاجانب ، وسمحت بريطانيا للجنود الذين يؤدون الخدمة فى الجيش ، ان ينضموا الى هذه القوات . وبعد وقت غير قصير ، عينت حكومة تشينغ الضابط البريطانى س . ق . غوردون قائدا لهذه القوات تحت توجيه لى هونغ تشانغ . فاستخدموا وسائل دنيئة لاغراء بعض العناصر فى جيش تايبينغ المرابط فى سوتشو ، ثم دخلوا هذه المدينة فى ديسمبر ١٨٦٣ ، حيث قتلوا عددا كبيرا من الناس ونهبوا كل ما فى المدينة .

وقد دعمت القوات البحرية والبرية الفرنسية فى الصين قائدا آخر فى حكومة تشينغ يسمى تسوه تسونغ تانغ الذى كان يهاجم قوات تايبينغ فى مقاطعة تشجيانغ . وتحت القمع المشترك من القوى الرجعية والمعتدية ، اصبحت قوات تايبينغ عاجزة عن المقاومة . وفى يونيو ١٨٦٤ مات هونغ شيو تشيوان عليلا ، وفى ١٩ يوليو سقطت نانجينغ ، ولكن دون ان يستسلم احد من الضباط والجنود فى جيش تايبينغ .

كانت ثورة مملكة تايبينغ السماوية انتفاضة فلاحية بحتة ، الا انها تحملت مهمة مزدوجة - - مقاومة الاقطاع والمعتدين الرأسماليين معا . وقد ناضل عشرات الملايين من الفلاحين الفقراء من اجل تحرير انفسهم حتى استشهدوا فى القتال ، مجسدين بطولة الشعب الصينى امام العدو . ونظرا للطابع الخاص لهذه الحرب الفلاحية البحتة التى افتقرت الى قيادة بروليتارية ، فلا مفر لها من الفشل فى النهاية . ولكن ثورة مملكة تايبينغ السماوية قد هزت حكم تشينغ ، ووجهت ضربة الى القوى الرأسمالية التى كانت تحاول قهر الشعب الصينى بالعنف .

انتفاضات قوات نيان وجماهير الاقليات القومية

كانت قوات نيان عماد الثورة الفلاحية فى شمال الصين . ففى بداية الخمسينات من القرن التاسع عشر ، شنت هذه القوات انتفاضة مسلحة فى آنهوى وخنان . وخلال ١٨٥٦ — ١٨٦٠ ، كسبت نجاحات كثيرة فى القتال بفضل التعاون مع جيش تايبينغ ، ولكن لم تحقق هاتان القوتان الثوريتان مزيدا من الاتحاد والتعاون ، اذ ان قوات نيان كانت تفتقر الى الانضباط والتنظيم ، فكانت عرضة لتمردات داخلية مستديمة . وبعد فشل مملكة تايبينغ السماوية ، ركزت حكومة تشينغ كل قواها لمواجهة قوات نيان التى ابيدت فى ١٨٦٨ .

فرضت حكومة تشينغ حكمها القمعى على الاقليات القومية ، ولكن الاخيرة لم تخضع لها ، بل نهضت للمقاومة ضدها . وقد تركت ثورة مملكة تايبينغ السماوية تأثيرات مباشرة وغير مباشرة على مختلف الاقليات القومية حفزتها على النهوض بمقاومة مسلحة على نطاق واسع . وكانت فى مقدمة هذه الاقليات قومية مياو وقومية هوى المسلمة .

وقد دامت الانتفاضة الواسعة النطاق التى شنها ابناء قومية مياو فى قويتشو ، حوالى ٢٠ سنة (١٨٥٤ ١٨٧٢) ، وكلفتهم مليون قتيل ذبحوا على يد الرجعيين .

كما قامت الاقليات القومية فى مقاطعة يوننان بانتفاضات قتالية ضد اضطهاد تشينغ . ففى ١٨٥٥ ، انتفض ابناء قومية هوى المسلمون بقيادة المسلم دو ون شيو (؟ — ١٨٧٣) ، وسرعان ما اتسع نفوذ الانتفاضة الى كل المقاطعة بمختلف قومياتها ، تحت هدف مشترك هو الاطاحة بحكم تشينغ . وفى ١٨٦٧ ، ارسل دو ون شيو قواته المتكونة من ٢٠٠,٠٠٠ مقاتل للهجوم على كونمينغ . وبعد حوالى السنتين ، فى نهاية ١٨٦٩ ، فقد القسم الاكبر من قواته قرب تلك المدينة ، فتراجع من الهجوم الى الدفاع . وفى ١٨٧٣ ، انتحر

دو ون شيو بالسم فور سقوط مدينة دالى التى حررتها قواته من قبل . ودخلت جيوش تشينغ يونان ، ففتلت من ابنائها خلقا عظيما .

وخلال ١٨٦١ — ١٨٦٣ ، تحرك ابناء قومية هوى المسلمون فى مقاطعتى شنشى وقانسو تلبية لنداء مملكة تايبينغ السماوية . وبعد فشل تايبينغ ، ارسلت حكومة تشينغ القائد تسوه تسونغ تانغ (١٨١٢ — ١٨٨٥) بقوات ضخمة الى شنشى حيث ابعد قوات الانتفاضة الى شمال شنشى وحاصرها ، ثم اقتحمها وقضى على المناضلين فيها . وتوجه بعدها الى قانسو ، ودمر كل قواعد الانتفاضة خلال خمس سنوات . وفى ١٨٧٣ ، تعرض المسلمون فى سوتشو — الموقع الاخير للانتفاضة ، لابادة جماعية على يد تسوه تسونغ تانغ كادت ان تستأصلهم تماما .

واستمر نضال ابناء الاقليات القومية فى شينجيانغ ضد الحكم الرجعى من ١٨٦٤ الى ١٨٧٦ . وتولى القائد تسوه تسونغ تانغ قمع الانتفاضة ، لكنه فى نفس الوقت قضى على القوى الرجعية المحلية التى كانت تحت رعاية بريطانيا فى جنوب شينجيانغ . واستطاع بذلك تخليص المنطقة من النفوذ الامبريالى . وكانت هذه خدمة اسداها تسوه تسونغ تانغ للشعب الصينى من حيث لا يريد .

٣— الوضع فى سبعينات وثمانينات القرن التاسع عشر

تحويل الصين الى شبه مستعمرة

اخذت الصين ، بعد هزيمتها فى حرب الافيون ، تكتسب خصائص بلد شبه مستعمر . وقد تفاقمت هذه الحالة مع تزايد انضمام القوى الرجعية المحلية

الى القوى الرجعية الاجنبية لقمع مقاومة الشعب الصينى المتعاظمة . وقد هزت ثورة تايبينغ اركان حكومة تشينغ ، فضاعف الحكام من قمعهم للشعب ، وزادوا من تواطئهم مع الامبرياليين — الرأسماليين الأجانب . واعتمد النظام الاقطاعى بزعامة الامبراطورة الأم تسى شى على مؤازرة امراء حرب هونان بقيادة تسنغ قوه فان ، وامراء حرب آنهوى بقيادة لى هونغ تشانغ ، من اجل السيطرة على الدولة . وكان لى هونغ تشانغ قد سيطر ، لأكثر من عشرين سنة منذ ١٨٧٠ ، على القوات البرية والبحرية ، وفرض القمع ضد الشعب .

بدأ الانتاج الزراعى الصينى ، فى ثمانينات القرن التاسع عشر ، يستعيد عافيته من آثار سنوات الحرب الطويلة التى سببت مآسى شنيعة فى الارياف ، لكن طبقة الملاك واصلت سياستها القديمة فى ضم الاراضى ، مما سبب هبوط مستوى معيشة عامة الشعب . وفرض بلاط تشينغ المتفسخ والمتداعى اعباء جديدة على الفلاحين وصغار التجار والصناع ، بغية سد العجز المالى المتفاقم . وفى نفس الوقت ، جاب الرأسماليون الاجانب كميات طائلة من الغزل والسلع القطنية والكيروسين والتبغ ، مما اجبر الفلاحين على بيع انتاجهم الزراعى بأسعار زهيدة وادى فى نفس الوقت الى ضرب الانتاج الحرفى فى البلاد . فتضاعف حجم الاستيراد والتصدير من ١٠٠ مليون الى ٣٠٠ مليون تايل جمركى ، فى المدة ما بين ١٨٦٤ — ١٨٩٤ . وكان الافيون والسلع الصناعية هى المستوردات الرئيسية . اما الصادرات فهى الشاى والحرير والقطن ومواد خام اخرى . واحتكرت السفن الاجنبية النقل التجارى البحرى والنهرى ، وسيطر مفتش عام اجنبى على مصلحة الجمارك وحراسة السواحل . كما سيطرت البنوك الاجنبية مثل مؤسسة هونغ كونغ وشانغهاى المصرفية البريطانية على المالية الصينية . وجثم الاستغلال الاقطاعى والاسترقاق الاقتصادى الاجنبى على الشعب الصينى مثل جبلين ضخمين .

حركة التغريب بين البيروقراطيين الاقطاعيين والبدايات الاولى للرأسمالية الصناعية الحديثة فى الصين

فى هذا الوقت ، تبنى قسم من امراء الحرب والمسؤولين الكبار ما سمى بـ " التغريب " ، وكان الهدف منه اعتماد الصين على البلدان الرأسمالية والاستفادة من تقنياتها لتدعيم حكمهم المتداعى . وكان امراء حرب هونان وآنهوى قد تصدروا تلك الحركة ، فأسسوا تحت شعار " صين قوية " صناعات حربية مولتها الحكومة وادارها البيروقراطيون الكومبرادور خلال الستينات والسبعينات. واستخدم فى ذلك فنيون اجانب واستوردت الآلات الاجنبية لأجل الانتاج الحربى اساسا . وكانت هذه المؤسسات تدار على اساس مماثل للصناعات الحكومية الاقطاعية .

واتجه زعماء حركة " التغريب " ايضا الى بناء السفن . وكان من اشهر المؤسسات فى هذا القطاع الشركة الصينية للملاحة البحرية التى اسسها لى هونغ تشانغ فى ١٨٧٢ . وكانت الشركة تحت السيطرة الكاملة لأمراء الحرب والكومبرادور الاقطاعيين ، فلم يكن لحملة الأسهم اى صوت فى ادارة شؤونها .

وفى ثمانينات القرن التاسع عشر ، راج نوع من المؤسسات العاملة تحت مراقبة الحكومة وادارة التجار ، منها مصنع شانغهاى لغزل ونسيج القطن الذى انشئ فى ١٨٨٢ ، وبدأ الانتاج الفعلى بعد عشر سنوات . وغالبا ما عانت هذه المؤسسات من خسائر فادحة فى ظل الفساد والعجز الادارى ، ففقدت هيبتها ، ولم يرغب احد فى استثمار امواله فيها .

وفى سبعينات القرن التاسع عشر ، بدأ بعض الرأسماليين يقيمون مصانع تعدين صغيرة الحجم ومصانع للورق والكبريت والحرير فى قوانغدونغ وشانغهاى

ووهان ومناطق اخرى بالبلاد . وتؤشر هذه المؤسسات البدايات الاولى للرأسمال الوطنى الصينى ، ولكن لم يكن امامها الا فرصة ضئيلة للتطور فى ظل الضغط المزدوج للرأسمالية الاجنبية والاقطاعية المحلية . وقد سيطر " التغريبيون " على كل الصناعات ، هادفين الى احتكار الصناعة لأنفسهم ، وبذلوا كل ما فى وسعهم لمنع تشكل ونمو برجوازية وطنية .

ادت الاحوال الاجتماعية التى ظهرت فيها بدايات الرأسمالية الصناعية فى الصين ، ببعض المثقفين المعاصرين الى تبنى اصلاحات سياسية برجوازية . فوضع تشنغ قوان ينغ ، وهو رجل اعمال يملك مؤسسات تجارية فى شانغهاى وما جاورها ، كتابا بعنوان « شنغ شى وى يان » (تحذيرات صالحة فى زمن السلم والازدهار) طرح فيه وجهة نظره القائلة بوجوب تعلم التقنية الصناعية الغربية . وحض كثير من الاعيان — اصحاب الاراضى بمقاطعة تشجيانغ على اقامة مجلس نيابى ، وكان هذا المطلب يعكس التوجهات الديمقراطية الاصلاحية لبعض ملاك الاراضى الاقطاعيين بمنطقة تشجيانغ — جيانغسو ، الذين بدأوا يتحولون الى برجوازية وطنية .

تكثيف العدوان الرأسمالى الاجنبى على مناطق الحدود

لم يعرف جشع الرأسماليين الاجانب حدودا . ان افتتاح قناة السويس فى ١٨٦٩ قد قصر طريق النقل التجارى والعسكرى بين الدول الرأسمالية الاوربية والصين . وادى تدفق المواد المستوردة الناجم عن ذلك الى اضعاف الحركة الاقتصادية فى شانغهاى ومدن اخرى . وفى نفس الوقت ، كان الرأسماليون الاجانب يبحثون عن مزيد من الاسواق لسلعهم . وبالتالى ، شرعت كل دولة رأسمالية فى سلسلة من الهجومات العدوانية الجديدة على حدود الصين ، سعيا الى الحصول على نقطة ارتكاز تحتكر منها السوق الصينية .

وقد تواطأت الولايات المتحدة مع اليابان فى العدوان على تايوان ، علاوة على تأييدها لليابان فى غزوها لليوتشيو . وفى ابريل ١٨٧٤ ، انضم س . و . لى جندر ، قنصل امريكى متقاعد ، وعدد من الضباط النظاميين فى السلاحين البرى والبحرى الامريكيين ، الى الجنرالين اليابانيين — اوكوما وسايغو ، فى توجيه القوات اليابانية الى لانغتشياو بالطرف الجنوبى من تايوان . فقاومهم ابناء تايوان مقاومة عنيدة ، واوقفوا تقدمهم . وفى ١٨٧٩ ، عرض رئيس امريكى سابق هو غرانت الذى تصرف كوسيط بين الصين واليابان ، تقسيم ليوتشيو بين البلدين . فعارضت الصين هذا الطلب ، لكن اليابان احتلت ليوتشيو كلها فى ١٨٨١ .

وقامت بريطانيا التى ضمت بورما ، بمد نفوذها العدوانى الى مقاطعة يوننان . وفى ١٨٧٦ اجبرت حكومة تشينغ على توقيع معاهدة تشيغو التى حصلت بريطانيا بموجبها على تسهيلات لتوسيع نشاطاتها العسكرية والاقتصادية فى يوننان وسيتشوان والتبت وتشينغهاى وقانسو .

وكانت فرنسا تواصل تغلغلها العدوانى فى فيتنام ، ومن هناك حاولت ان تتقدم الى يوننان . وادى العدوان الفرنسى المتزايد الى الحرب الصينية الفرنسية من ١٨٨٣ الى ١٨٨٥ ، وكان "جيش الراية السوداء" بقيادة ليو يونغ فو (١٨٣٧ — ١٩١٦) دعامة المقاومة . وكان ليو يونغ فو قد تزعم انتفاضة فلاحية فى قوانغشى ، ثم ارغم على الانسحاب الى الحدود الصينية الفيتنامية . وقد انضم اليه قائد متمرس يدعى فنغ تسى تشاى (١٨١٨ — ١٩٠٣) ، سبق له ان الحق هزيمة قاتلة بالمعتدين الفرنسيين فى ممر تشننانقوان (ممر الصداقة حاليا) ، وذلك فى مارس ١٨٨٥ ، بحيث ادى الى سقوط الحكومة الفرنسية . لكن لى هونغ تشانغ صاحب النفوذ الاقوى فى حكومة تشينغ آنذاك تراجع امام الفرنسيين ، ووقع معاهدة مذلة معهم .

برهنت الحرب الصينية الفرنسية على الاخفاق التام لعملية "التغريب" الجارية منذ ٢٠ عاما . وازداد هذا الاخفاق وضوحا بعد عشر سنوات حين نشبت الحرب الصينية اليابانية ١٨٩٤ .

٤- الحرب الصينية اليابانية وازمة تقسيم الصين بين الدول الامبريالية

مطامع اليابان فى الصين وكوريا

ظلت كوريا فى علاقتها مع الصين مثل الشفاه مع الاسنان . فخلال الفى سنة عاش شعبا البلدين فى اطار علاقات ثقافية واقتصادية وثقى . ولما تعرضت كوريا لغزو الجيش اليابانى بقيادة هيديوشى ، فى اواخر القرن السادس عشر ، هب الكوريون يصدون العدوان بقيادة لى سون سين وبمساعدة الامدادات العسكرية الصينية ، مما زاد وحدة الشعبين قوة ومتانة .

ومع تطور الرأسمالية فى اليابان فى سبعينات القرن التاسع عشر ، بعد اصلاح ميجى ، تطورت خطط الغزو اليابانية التى كشف عنها فيما بعد رئيس الوزراء تاناكا ، لتمتد الى غزو تايوان الصينية وكوريا وشمال شرقى الصين ومنغوليا واخيرا كل الصين والعالم قاطبة ، خطوة فخطوة . وقد تزامن غزو اليابان لكوريا مع محاولتها الاستيلاء على ليوتشيو الصينية ففى ١٨٧٥ ، دخلت سفينة حربية يابانية مياه جزيرة جيانغهوا عنوة ، لارغام كوريا على قبول مطلب اليابان فى فتح الموانئ التجارية والقيام بمسح حر للساحل الكورى على يد اليابانيين . وقامت حكومة تشينغ بتقديم النصح الى كوريا سرا بأن تقيم علاقات تجارية مع بريطانيا والولايات المتحدة وفرنسا والمانيا ، بدلا من مساعدتها على مقاومة العدوان اليابانى . وكان مأمولا ان يؤدى اتخاذ

هذه الخطوة الى كبح اليابان ، ولكن العدوان الياباني اتسع نطاقه مع مرور الايام .

ثم حدث انقلاب عسكرى فى صفوف الطبقة الحاكمة الكورية فى ١٨٨٢ ، فانتهزت اليابان الفرصة لارسال قواتها الى كوريا ، واحتلت القصر الملكى الكورى فى ١٨٨٤ . وفى هذه المرة ، قاتل الجنود الصينيون الى جانب الشعب الكورى ، والحقوا معا الهزيمة باليابانيين . وقد حاولت حكومة تشينغ اغراء روسيا القيصرية لصد اليابان ، ولكن اليابان واصلت توسيع نفوذها فى كوريا بالاعتماد على مساندة الولايات المتحدة .

الحرب الصينية اليابانية ١٨٩٤ — ١٨٩٥

فى ١٨٩٤ انتفض الشعب الكورى بقيادة جمعية تونغهاك (جمعية التعلم الشرقية) ضد الاضطهاد الاقطاعى والعدوان الامبريالى . وطلبت الحكومة الكورية العون من حكومة تشينغ ، فانتهزت اليابان هذه الفرصة لغزو كوريا . ولما وصلت القوات الصينية الى كوريا كانت الانتفاضة قد انتهت ، وارسلت حكومة تشينغ مذكرة الى الحكومة اليابانية تقترح فيها انسحاب القوات الصينية واليابانية معا من كوريا . فرفض اليابانيون الانسحاب ، واعتقلوا الملك الكورى واحتلوا كل النقاط الاستراتيجية المؤدية الى سئول . فاندلعت الحرب بين الصين واليابان نتيجة للاستفزاز اليابانى .

وقد اظهر كثير من الضباط والجنود الصينيين بطولات خارقة فى المعارك . وخاض الضابط تسوه باو قوى والضابط البحرى دنغ شى تشانغ وجنودهما ، قتالا باسلا ضد العدو . وضحى الضابطان بحياتهما فى ميدان القتال عام ١٨٩٤ . وقد حاول انصار المقاومة بزعامة الامبراطور قوانغ شيوى (دام حكمه ١٨٧٥ — ١٩٠٨) ووزير المالية ونغ تونغ خه (١٨٣٠ - ١٩٠٤)، استخدام الحرب

كوسيلة لبسط نفوذهما ، ولم يكن بحوزتهما خطط عملية لخوض الحرب .
اما الاستسلاميون بزعامة الامبراطورة الأم تسى شى ولى هونغ تشانغ ، فكانوا
غير مستعدين للحرب مطلقا ، وكانوا يأملون دفع روسيا وبريطانيا لكبح
اليابانيين . وقد صارت للاستسلاميين اليد الطولى ، فعجل هذا فى هزيمة
الصين . وكانت النتيجة ان احتل اليابانيون كوريا وشبه جزيرة لياودونغ وويهايوى.
وفى ١٨٩٥ ، اجبرت اليابان حكومة تشينغ على توقيع معاهدة شيمونوسيكى
التى تخلت بموجبها عن شبه جزيرة لياودونغ وتايوان وجزر بنغهو لليابان ؛
ودفعت لها تعويضا مقداره ٢٠٠ مليون تايل من الفضة لتغطية نفقات الحرب ؛
ومنحت الاذن للمواطنين اليابانيين باقامة مشاريع صناعية فى موانئ الصين .

واصل ابناء الشعب فى تايوان ، ملتفين حول ليو يونغ فو ، القتال ضد
اليابانيين لمدة ستة اشهر اخرى ، حال سماعهم نبأ التخلى عن تايوان . وقد
قدم الشعب فى البر الصينى دعمه المادى والمعنوى للأشقاء فى تايوان . لكن
حكومة تشينغ حاصرت تايوان ومنعت وصول المساعدات اليها . وقد ظل ابناء
تايوان مع ذلك يواصلون النضال ضد الحكم اليابانى ، ومن اجل عودتها الى
الوطن الام ، طوال الخمسين سنة التالية ، من ١٨٩٥ الى ١٩٤٥.

ضمنت روسيا تعاون المانيا وفرنسا فى ارغام اليابان على اعادة شبه جزيرة
لياودونغ للصين ، اذ كان الاحتلال اليابانى لكوريا وشبه جزيرة لياودونغ عقبة
فى وجه مخططات روسيا القيصرية فى شمال شرقى الصين . وكانت بريطانيا
غير مرتاحة لرؤية اليابان تحصل على اى ارض فى البر الصينى ، مع ان
السياسة البريطانية كانت تهدف الى مساعدة اليابان ضد روسيا القيصرية .
وعليه ، فقد اتخذت مسلكا محايدا حيال الخطوة الروسية . ولم يكن امام
اليابان خيار ، فى ظل هذه الظروف ، سوى ارجاع شبه جزيرة لياودونغ الى
الصين ، شريطة ان تحصل على تعويض اضافى من الصين مقداره ٣٠ مليون

تايل من الفضة .

مناطق النفوذ للدول الامبريالية

كانت الرأسمالية العالمية فى ايام الحرب الصينية اليابانية قد وصلت الى مرحلة الاستعمار . وحل الاحتكار محل المنافسة الحرة ، واكتسب تصدير الرأسمال اهمية خاصة . وقد مكنت معاهدة شيمونوسيكى التى وقعت بعد الحرب الصينية اليابانية ، كل الامبرياليين ان يستثمروا اموالهم فى الصين بحرية . ومنذ ذلك الوقت ، اصبح تصدير الرأسمال الى الصين هو الشكل الاساسى للعدوان الامبريالى . وبدأت مختلف الدول الامبريالية منذ ١٨٩٥ تقطيع اوصال الصين الى مناطق نفوذ ، بغية تسهيل استثماراتها المالية ، مما عرض الصين لخطر التجزئة .

طلبت فرنسا الحصول على منطقتى منغوو ووده فى يوننان فى ١٨٩٥ ، ومدت سكة حديد فيتنام الى يوننان وقوانغشى ، وبحثت ايضا عن حق استغلال المناجم فى يوننان وقوانغدونغ وقوانغشى . وفى ١٨٩٧ ، انتزعت بيانا من حكومة تشينغ ، وافقت بموجبه على ان لا تؤجر جزيرة هاينان او الاراضى المقابلة لها الى اى دولة اخرى . وفى ١٨٩٨ ، ضمنت فرنسا " استئجار " خليج قوانغتشو .

وطالبت بريطانيا غير الراغبة فى ان ترى يوننان وقوانغدونغ وقوانغشى تصبح مناطق خاصة للنفوذ الفرنسى ، بالتنازل لها عن يرنشان فى يوننان ، وافتتاح ووتشو ومدن اخرى على نهر شيجيانغ فى قوانغشى كموانئ تجارية . ونجحت ايضا فى " استئجار " ويهايوى فى شاندونغ للتوازن مع روسيا ، كما ضمنت " استئجار " شبه جزيرة كولون ومختلف الجزر بجوار هونغ كونغ وخليجى دابنغ وشنتشن للتوازن مع فرنسا .

وحققت المانيا بالقوة "استئجار" خليج جياوتشو في ١٨٩٧ ، وبنت سكة حديد جياوتشو — جينان . كما حصلت على حق فتح مناجم فى نطاق ١٥ كيلومترا من خط السكة ، وبنت بالاشتراك مع بريطانيا سكة حديد تيانجين — بوكو .

واستولت روسيا القيصرية ، منتهزة فرصة حرب الافيون الثانية ، على اجزاء واسعة من الارض الصينية ، بما فيها مناطق شمال نهر هياونغجيانغ ، وشرق نهر ووسولى ، وكذلك الاراضى على طول حدود مقاطعة شينجيانغ فى الشمال الغربى . وبلغ مجموع مساحتها ٥ر١ مليون كيلومتر مربع . وفى ١٨٩٨ ، حصلت على حق "استئجار" لويشون ودااليان ، وحق بناء سكة حديد شرق الصين . وضمنت حق بناء خطى حديد بكين — هانكو ، تشنغدينغ — تاييوان (اشتركت بلجيكا فى التفاوض نيابة عنها فى الخط الاول) . وقامت بريطانيا ، ردا على ذلك ، بتقديم قرض لحكومة تشينغ لبناء خط حديد خارج السور العظيم . فاحتدم التنافس البريطانى الروسى احتداما شديدا . ولكن بريطانيا وروسيا توصلتا ، فى ١٨٩٩ ، الى اتفاقية حول مناطق بناء الخط ، اعطت حوض اليانغتسى لبريطانيا ، واراضى شمال السور العظيم الى روسيا .

هكذا توزعت مناطق النفوذ فى الصين على الدول الامبريالية بالصورة التالية : لروسيا القيصرية شمال السور العظيم ؛ ولبريطانيا حوض اليانغتسى ؛ ولألمانيا شاندونغ ؛ وجزء من مقاطعات يوننان وقوانغدونغ وقوانغشى لبريطانيا وجزء آخر منها لفرنسا ؛ واختصت اليابان بفوجيان . وكان ذلك تمهيدا لتقسيم كل الصين .

تبنت الولايات المتحدة التى لم يكن لها نفوذ فى الصين ، ما يسمى "سياسة الباب المفتوح" فى ١٨٩٩ . وكان هدفها توزيع مناطق النفوذ على الدول الامبريالية والتمتع بالفرص والامتيازات المتساوية فى استغلال الصين

وشعبها . وطالبت الولايات المتحدة ايضا بأن تكون الصين مفتوحة لاستثمارات رساميل الدول الامبريالية دون استثناء ، اى ان تصبح مستعمرة مشتركة لهذه الدول . وكانت بريطانيا هى اول من رحب بهذه السياسة ، وتلتها الدول الامبريالية الاخرى . وبهذا الاسلوب البشع ، بدأت الولايات المتحدة نشاطاتها العدوانية الهادفة الى السيطرة على الصين .

حكومة تشينغ خادمة الاستعمار

كان البعض من ملاك الاراضى البيروقراطيين بزعامة الامبراطورة الأم تسى شى يحرصون على استيراد السلع الاجنبية اللازمة لرفاهيتهم الخاصة ، ويعارضون فى نفس الوقت كل ما يؤدى الى رسملة الصين . وقد شكلت هذه الجماعة حزبا متعنتا . وخدمت جماعة اخرى من كبار ملاك الاراضى بزعامة لى هونغ تشانغ ، الدول الامبريالية كطبقة كومبرادور ، وكانت تحبذ التعامل من الامبرياليين حتى تخدمهم على نحو افضل فى مقابل مكافآت اعظم . واصبحت هذه الجماعة معروفة باسم طغمة " التغريب " . ونشبت خلافات كثيرة بين الجماعتين ، ولكن شيئا واحدا كان يجمع بينهما وهو خدمة الدول الامبريالية .

استثمر الامبرياليون اموالا طائلة فى بناء المصانع وخطوط السكك واستخراج المعادن ، بعد توقيع معاهدة شيمونوسيكى ، مما اتاح لهم سيطرة شديدة على الاقتصاد الصينى . وقدمت بريطانيا وروسيا القيصرية قروضا للصين وصلت الى ٣٧٠ مليون تايل من الفضة ، وضمنتا خلال ذلك قدرتهما على التلاعب بمالية حكومة تشينغ ، اذ قدمت القروض بضمانة عائدات الجمارك .

كان لى هونغ تشانغ احد المنفذين المخلصين لرغبات الدول الامبريالية ، فقد ذهب الى روسيا فى ١٨٩٦ لحضور تتويج القيصر ، وبعد ذلك زار

انجلترا وفرنسا والمانيا والولايات المتحدة . وقبل رشوة من قيصر روسيا ، فوقع اتفاقية سرية ادت الى بيع شمال شرقي الصين لروسيا . وكان نائبا الامبراطور القويان تشانغ تشي دونغ (١٨٣٧ — ١٩٠٩) وليو كون يي (١٨٣٠ — ١٩٠١) خصمين لدودين لسياسة لى هونغ تشانغ الموالية لروسيا ، لأن ولاءهما كان لبريطانيا والولايات المتحدة وفرنسا والمانيا واليابان ، وتنازلا عن كثير من الحقوق الصينية لتلك البلدان .

لقد فعلت الدول الامبريالية ، مستفيدة من الطبقة الحاكمة الفاسدة فى الصين اقصى استفادة ، ما طاب لها ، ونهبت الصين بأحقر الوسائل . والقت هذه الحالة المزرية بالشعب الصينى فى حضيض الشقاء ، بينما ادت فى المقابل الى تطوير الوضع الثورى فى الداخل .

٥ — حركة الاصلاح السياسى البرجوازى فى ١٨٩٨

ظهور افكار الاصلاح السياسى البرجوازى

ظهرت افكار الاصلاح البرجوازى التى كسبت مرتكزات لها فى شانغهاى وقوانغدونغ ، فى بداية ثمانينات القرن التاسع عشر تحت حافز الحرب الصينية اليابانية . وقد قدم كانغ يو وى (١٨٥٨ — ١٩٢٧) وهو مثقف من قوانغدونغ كان ينتظر الامتحان الامبراطورى فى بكين ، مذكرة الى الامبراطور قوانغ شيوى فى ١٨٩٥ قبيل توقيع معاهدة شيمونوسيكى ، يعارض فيها المعاهدة. ويطرح مقترحات من اجل الاصلاح السياسى . ووقع على مذكرته ١٫٣٠٠ مثقف آخر أتوا الى بكين لنفس الامتحان . وهكذا بدأت الحركة الاصلاحية .

وطفقت ظواهر جديدة تظهر على المسرح الاقتصادى والاجتماعى الصينى ، بعد الحرب الصينية اليابانية . فاضطرت الصناعات الممولة من الحكومة

والتى كانت تسيطر عليها آنذاك مجموعة من كبار رجال البلاط من دعاة " التغريب " ، الى ان تفتح نافذة لاستثمار الرأسمال الخاص ، بينما حاولت الحكومة الاقطاعية الاستبدادية وكبار موظفيها احتكار كل الصناعات ، وحظرت تطوير المؤسسات الخاصة ، لأكثر من ثلاثين سنة . وقد اظهرت هزيمة الصين فى الحرب الصينية اليابانية عدم جدوى انشاء صناعات العتاد الحربى الحديثة الممولة حكوميا ، وتحديث الجيش والاسطول .

ثم اضطرت حكومة تشينغ ، بعد ان سمحت للأجانب باقامة الصناعات بكل حرية بموجب المعاهدات ، ان تعترف قانونيا بالمؤسسات الصناعية الخاصة . فأوعزت الى مختلف السلطات فى المقاطعات بتشجيع تطوير صناعة الغزل والنسيج ، بل وشجعت الرأسمال الخاص على اقامة مصانع اسلحة فى ١٨٩٨ .

بدأت الرأسمالية الوطنية بالنمو بعد ١٨٩٥ ، وانتشرت مصانع غزل ونسيج جديدة فى شانغهاى ونينغبوه ووشى وسوتشو وهانغتشو ونانتونغ . وبحاول سنة ١٨٩٧ ، كان هناك ٣٠ معمل غزل ونسيج فى مقاطعات جيانغسو وتشجيانغ وهوبى . وكان افتتاح معمل نانتونغ لغزل ونسج القطن حدثا عظيما فى تاريخ الصناعة الصينية ، ولكن هذه الصناعات الجديدة لقيت صعوبات جمة فى وجه الاضطهاد ومنافسة المشاريع الامبريالية التى استطاعت بما لديها من رساميل فائضة وما حصلت عليه من امتيازات خاصة بموجب المعاهدات غير المتكافئة ، ان تتغلب على الصناعات الصينية . بينما واصلت الحكومة الرجعية بيع حقوق المناجم والسكك جعلت من العسير على الصين تطوير صناعتها الثقيلة ، وتركت الصناعة الخفيفة بلا حماية . ومن هنا تنامى الوعى فى اوساط البرجوازية الناشئة بوجوب تنفيذ بعض الاصلاحات السياسية لصيانة مصالحها .

وفى نفس الوقت ، دفعت هزيمة الصين الساحقة فى حرب ١٨٩٤ — ١٨٩٥ ، والتهديد بتجزئتها من قبل الدول الامبريالية ، قطاعا من المثقفين للمطالبة بالاصلاح السياسى . وكان هؤلاء المثقفون الذين تشبعوا بالأفكار الرأسمالية ، واعين بأن وضع الصين لن يتحسن بمجرد شراء الآلات والاسلحة من الخارج . وقد املوا ان تنهج الصين سبيل الرأسمالية من خلال الاصلاح السياسى . وكانت آراؤهم متطابقة مع مطالب البرجوازية الناشئة .

فشل حركة الاصلاح عام ١٨٩٨

كان على رأس المطالبين بالحركة الاصلاحية فى ذلك الوقت كانغ يو وى وليانغ تشى تشاو (١٨٧٣ — ١٩٢٨) وتان سى تونغ (١٨٦٦ — ١٨٩٨) ويان فو (١٨٥٣ — ١٩٠١) ، وكان يتزعمهم كانغ يو وى الذى اسس مع ليانغ وتان " جمعيات " ، واصدر معهما صحفا فى مختلف انحاء البلاد للدعاية لأفكارهم الاصلاحية . اما يان فو فهو اول من ادخل الافكار الديمقراطية الغربية الى الصين .

استولت المانيا على خليج جياوتشو فى نوفمبر ١٨٩٧ ، وواجهت الصين بذلك خطر التجزئة . وشن الاصلاحيون حملة فى سائر انحاء البلاد لجذب انتباه الشعب الى الازمة الخطيرة التى تواجه الوطن ، ودعوا الى تبنى مبادئهم فى الاصلاح السياسى . وفى ١٨٩٨ ، انشأ كانغ يو وى " جمعية حماية الوطن " فى بكين ، واصدر تحذيرات من خطر الانقراض القومى وطالب بتبنى الاصلاحات الفورية . واستطاع الاصلاحيون استمالة الامبراطور قوانغ شيوى ، فعين كانغ يو وى وعددا من زملائه فى مناصب حكومية رفيعة ، وسمح لهم بالاتصال به مباشرة . وصدرت عن الامبراطور عدة مراسيم وقوانين تهدف الى الاصلاح بين المدة من ١١ يونيو الى ٢١ سبتمبر ١٨٩٨ .

تضمنت المراسيم الغاء القوالب الجامدة فى امتحانات الترشيح للوظائف الحكومية ، وتأسيس مدارس على النمط الغربى ، وصرف المسؤولين الزائدين عن الحاجة ، وفتح المصارف الحديثة ، وتطوير المناجم ، وبناء السكك الحديدية ، ودعم مختلف المؤسسات الصناعية الاخرى ، وتشجيع الاختراعات والاكتشافات . كما تضمنت نشر الصحف ، وانشاء الجمعيات الأكاديمية ، وانشاء مكاتب للترجمة بهدف نقل الافكار الغربية الى الصين ، ووضع ميزانية للدولة ، ونشر التقارير المالية الحكومية . وقد تمثلت هذه الاجراءات مطالب البرجوازية وسجلت تقدما عظيما على نظام الاستبداد الاقطاعى .

لكن هذه الاصلاحات جوبهت بالمعارضة من المحافظين فى البلاط بزعامة الامبراطورة الام تسى شى ، مما ادى الى عرقلة تنفيذها . ونتيجة لذلك ، احتد الصراع بين دعاة التجديد والمتمسكين بالقديم . وخططت الامبراطورة الام تسى شى لانقلاب عسكرى لوقف كل الاصلاحات . وحاول الاصلاحيون ان يستفيدوا من قوات امير الحرب يوان شى كاى لحماية الاصلاحات ودحر المحافظين . ولكن يوان خانهم ووشى بهم للامبراطورة الام . فتحركت تسى شى فورا وتسببت فى اعتقال الامبراطور قوانغ شيوى وسجنه . واعلنت استئناف وصايتها على العرش فى ٢١ سبتمبر ١٨٩٨ ، واعدمت ستة من الاصلاحيين ، من بينهم تان سى تونغ .

وضعت هذه الحركة كل آمالها فى الاصلاح فى الامبراطور قوانغ شيوى ، ويكمن هنا سر ضعفها القاتل . وقد انتقل بعض الاصلاحيين ، بعد فشل حركتهم ، الى صف البرجوازية الثورية الناشئة ، واصبح آخرون بقيادة كانغ يو وى وليانغ تشى تشاو اللذين تشبثا بموقفهما الاصلاحى ، خصوما عنيدين للحركة البرجوازية الثورية .

٦- حركة يى خه توان الفلاحية ضد العدوان الاستعمارى

حركة الشعب المعادية للاستعمار كما تجلت فى مناهضة المبشرين الاجانب

تكثف العدوان الاجنبى فى اعقاب فشل حركة الاصلاح ، وادى العدوان المتزايد الذى ترافق مع تراكم المحن على الشعب بسبب ثقل الضرائب ، الى حركة يى خه توان المعادية للامبريالية فى اواخر القرن التاسع عشر . وكانت هذه الحركة متشكلة اساسا من جماهير الفلاحين بشمال الصين .

وقد استمر النضال العفوى للفئات الاجتماعية الدنيا من الشعب الصينى ضد الامبريالية منذ فشل ثورة تايبينغ متخذا على العموم شكل مقاومة ضد المبشرين الاجانب والجمعيات التبشيرية . وكان المبشرون قد توغلوا فى داخل الصين معتمدين على الامتيازات التى ابتزتها حكوماتهم بالقوة من الصين ، وانهمكوا فى نشاطات تجسسية لصالح دولهم ، وفى نشاطات علنية موجهة لاستعباد الشعب الصينى . وقد اسس المبشرون الكنائس ، وصادروا العقارات ، وتسلطوا ، مستندين الى القوة المسلحة لحكوماتهم الامبريالية ، على المسؤولين المحليين ، وتدخلوا فى الادارة الحكومية ، كما جندوا الاوغاد لاضطهاد الشعب . فأثار كل ذلك سخط الشعب الصينى .

حركة يى خه توان

اندلع النضال العظيم ضد الامبريالية والذى كان يختمر فى اوساط الشعب زمنا طويلا ، فى شاندونغ عام ١٨٩٩ بقيادة جمعية سرية عرفت باسم يى خه توان . وكان اعضاء هذه الجمعية اساسا من الفلاحين والحرفيين وعمال

النقل وعمال من الصفوف الدنيا : كما ضمت الحركة عددا ضئيلا نسبيا من الغوغاء وملاك الاراضى من ضحايا الاضطهاد الدينى . وكان طبيعيا ان تعارض هذه الحركة القائمة على الفلاحين ، الاضطهاد الاقطاعى . ولما كانت شاندونغ فى ذلك الوقت ضحية عدوان الامبريالية الالمانية ، توجه نضال حركة يى خه توان اولا ضد المعتدين الاجانب وادواتهم من المبشرين . وعبثا حاول الحكام فى شاندونغ اخماد الحركة بالقوة ، فقد ادت اجراءاتهم القمعية الى اشتعال جذوتها .

كان حكام اسرة تشينغ فى الوهن بحيث عجزوا عن التعامل مع الاحداث ، ولم يكن بوسعهم سوى القعود لمشاهدة الانتشار السريع للحركة . ولما كانت يى خه توان معادية للمبشرين الاجانب ، عزموا على الاستيلاء على قيادتها واستخدامها لمصلحتهم ، فاعترفوا بالحركة قانونيا ، وارسلوا بعض موظفيهم للاشتراك فيها كيما يتسنى لهم السيطرة على القيادة من داخلها . وبتأثير ذلك تهجنت قيادة الحركة ، وتبنت سياسة مزدوجة تقوم على شعار " دعم الحكومة واستئصال الاجانب " . وسرعان ما انتشرت حركة يى خه توان ، مستفيدة من وضعها الشرعى ، الى المقاطعات المجاورة ، واخيرا الى مدن مثل بكين وتيانجين . وفى صيف ١٩٠٠ ، كانت مدينة بكين تحت سيطرة يى خه توان تقريبا ، وحدثت هجمات علنية على الكنائس الاجنبية ومفوضيات الدول الامبريالية .

هجوم القوات الامبريالية المشتركة على الصين عام ١٩٠٠

قررت الدول الامبريالية ارسال قواتها لقمع حركة الشعب الصينى الثورية : وتقدمت قوات مشتركة من ثمانى دول — بريطانيا والولايات المتحدة وروسيا وفرنسا والمانيا واليابان وايطاليا والنمسا ، الى بكين عن طريق داقو وتيانجين .

وخاضت يى خه توان ، بأسلحتها البدائية ،كفاحا باسلا ضد المعتدين الاجانب ، وشارك بعض الضباط والجنود من جيش تشينغ فى القتال . وكانت قوات الدول الامبريالية متفوقة فى العدة والعتاد واخذت تقتل المدنيين بلا تمييز وتحرق القرى فى طريق تقدمها الى بكين . وفى اغسطس ١٩٠٠ ، وصلت الى بكين ، واعملت فيها نهبا وتقتيلا بطريقة لم يسبق لها مثيل فى تاريخ الصين .

عندما وصلت القوات المشتركة للدول الثمانى الى بكين ، انتقلت حكومة تشينغ بقيادة الامبراطورة الام تسى شى هاربة الى شيآن . وقد اعلنت ، قبل المغادرة ، ان يى خه توان " حركة مشاغبة " . وتوددت للقوات المعتدية ، طالبة منها ان تقمع يى خه توان . واعلن الامبرياليون من جهتهم انهم لم يأتوا ليحاربوا الصين ، بل لقمع الشغب واخماد التمرد ومساعدة الحكومة الصينية على استعادة السلام والنظام . وهكذا ، اصبحت يى خه توان ، وقد خدعها الحكام الاقطاعيون فى البداية ، ضحايا تذبيح دموى على يد الامبرياليين الاجانب بالاشتراك مع القوى الاقطاعية الصينية .

اثبت فشل حركة يى خه توان انه من المستحيل ان تنجح ثورة فلاحية بدون قيادة طبقة متقدمة . ولم يكن فى الصين ، وقت نشوب الحركة ، طبقة بروليتارية مستقلة . وكانت البرجوازية الوليدة لا تزال ضعيفة وتفتقر الى الحزم ، بل وذهب الثوريون الديمقراطيون فى اوساط البرجوازية الى اعتبار حركة يى خه توان تمردا همجيا . ولم تكن جماهير الفلاحين تستطيع ، وهى تقاتل وحدها ، ان تجابه الطبقة الحاكمة الاقطاعية الماكرة والمتوحشة وقوى الامبريالية. ومع كل ذلك ، كشفت حركة يى خه توان ان الفلاحين الصينيين يتمتعون بقوة كامنة جبارة للنضال ضد الامبريالية والاقطاع . وقد اجبرت هذه القوة التى لعبت دورا هاما فى تاريخ الصين اللاحق ، الامبرياليين على اعادة النظر فى سياستهم حيال الصين . وتأكد الامبرياليون انهم اذا ما قسموا الصين واخضعوها

لسيطرتهم المباشرة ، فعليهم ان يجابهوا نضالات لا تحصى من هذا الطراز :

معاهدة ١٩٠١

وبينما كانت يى خه توان تخوض نضالات شرسة ضد الامبريالية فى الشمال ، كان نواب الامبراطور فى المقاطعات الجنوبية يتمسكون بالصداقة مع الدول الامبريالية . وقد تلقوا دعم هذه الدول لقمع حركات الشعب المعادية للامبريالية فى وسط وجنوب الصين ، ونجحوا فى ذلك . وبعد ان استولت القوات المشتركة للدول الامبريالية الثمانى على مدينة بكين ، عينت حكومة تشينغ لى هونغ تشانغ ، نائب الامبراطور الجنوبى آنذاك ، للتفاوض حول السلام معها . وفى ١٩٠١ ، وقع لى هونغ تشانغ معاهدة مع احدى عشرة دولة امبريالية — بريطانيا ، الولايات المتحدة ، روسيا ، المانيا ، النمسا ، فرنسا ، ايطاليا ، اليابان ، بلجيكا ، اسبانيا وهولندا . وبموجب المعاهدة ، دفعت الصين تعويضا مقداره ٤٥٠ مليون تايل من الفضة ؛ والقيت مسؤولية قمع نشاطات الشعب الصينى المعادية للامبريالية على عاتق حكومة تشينغ ؛ وسمح للقوات الامبريالية ان ترابط فى كل النقاط الاستراتيجية بين بكين وتيانجين وشانهايقوان ، وبازالة قاعة داقو التى كانت احدى اهم شبكات الدفاع الوطنى بالصين .

عادت زعيمة تشينغ الامبراطورة الام تسى شى الى بكين من شيآن ، بعد توقيع معاهدة عام ١٩٠١ ، وهى عازمة على خدمة الدول الامبريالية باخلاص . وقد رأى الامبرياليون من جانبهم ان حكومة تشينغ ما زالت اداة نافعة رغم فسادها ، وان عليهم دعمها لكى تبقى . ولكن ، سرعان ما قلبت الاحداث حساباتهم .

٧– ثورة ١٩١١ البرجوازية

الشعب الصينى تحت نير القوى الامبريالية والاقطاعية

خضعت حكومة تشينغ كليا لسيطرة الدول الامبريالية فى غضون العقد الاول من القرن العشرين . وشدد الغزاة الاجانب من العدوان الاقتصادى على الصين سواء بنهب مواردها من الفحم والحديد ام بانشاء الاستثمارات فى كل انحاء الصين . فبريطانيا ، على سبيل المثال ، استولت على مناجم كايبينغ ، واستولت اليابان على مناجم الفحم فى فوشون ومناجم الحديد فى آنشان . فاستحال على الصين ان تطور صناعتها الثقيلة او تتنافس معها فى تطوير الصناعة الخفيفة . وضمنت الدول الاجنبية السيطرة على خطوط الحديد الصينية اما من خلال الاستثمار المباشر واما بتقديم القروض بمعدلات فائدة عالية .

بلغ حجم الاستثمارات الاجنبية ٥٠٠ر١ مليون دولار امريكى قبل ١٩١١ . ووصلت الديون الصينية الى ٤٠٠ر١ مليون دولار امريكى ، منها ما يزيد على ٣٠٠ مليون دولار امريكى هو قروض للسكك الحديدية . وكانت الزيادة السنوية للواردات على الصادرات اكثر من ١٠٠ مليون تايل من الفضة . وقد تحمل الشعب الصينى وحده كل هذه الاعباء .

واغرقت الاسواق الصينية فى المدن والارياف بالسلع المستوردة . فسجل المستورد من غزول القطن زيادات سنوية مطردة . ووصلت واردات الكيروسين من ٥٠ مليون غالون فى ١٨٩١ الى ١٥٠ مليون غالون فى ١٩٠٥ . وقدرت واردات التبغ بمبلغ ٠٠٠ر٦٦٠ جنيه استرلينى فى ١٩٠٥ . وحل الحرير الخام اليابانى محل الحرير الصينى فى الاسواق الخارجية ، وانخفضت صادرات الشاى الصينى من ٢٦٠ مليون رطل فى ١٨٨٦ الى ١٨٠ مليون رطل . وترك

تدهور اقتصاد التصدير على هذا النحو تأثيرات بالغة السوء على معيشة الشعب .

اثارت السيطرة الشديدة على الاقتصاد الصينى مع العدوان المستمر على التراب الصينى ، مقاومة واسعة بين جماهير الشعب ، بينما لعبت حكومة تشينغ دور الاداة الطيعة للدول الامبريالية ضد المقاومة الشعبية الوطنية ، بحيث اعتبرت ان معاداة الامبريالية تعنى معاداة تشينغ . وفى ابريل ١٩٠٣ ، تظاهر اهالى شانغهاى ضد روسيا القيصرية حين رفضت سحب قواتها المعتدية ، وحاولت تشديد السيطرة على المقاطعات الثلاث فى شمال شرقى الصين . وقامت فى نفس السنة حملة تنديد شعبية واسعة ضد حاكم قوانغشى لاستخدامه القوات الفرنسية فى قمع الاهالى المحليين . وخلال الفترة الممتدة من مايو الى نوفمبر ١٩٠٥ ، قاطع التجار والصناعيون بشانغهاى وستة موانئ اخرى البضائع الامريكية . لكن كل هذه الحركات قمعت بشراسة على يد حكومة تشينغ . وعندما غزت بريطانيا التبت فى ١٩٠٤ وذبحت ٥٠٠ر١ من اهالى مدينة لاسا ، لم تتقاعس حكومة تشينغ عن نجدة التبتيين فحسب ، بل وتغاضت عن توقيع معاهدة سرية مذلة بين الحكام المحليين والغزاة . وفى نفس السنة ، اعلنت حكومة تشينغ ، عندما كانت اليابان وروسيا تقتتلان علنا فى شمال شرقى الصين ، ان منطقة شرق نهر لياوخه منطقة حرب للدولتين . وقد اثارت هذه السياسات المشينة سخط شعب البلاد كلها .

تطور الحركة الديمقراطية البرجوازية

فى ١٩٠٥ ، اندمج عدد من المنظمات الثورية الديمقراطية البرجوازية ، بما فيها جمعية نهوض الصين التى كان يقودها الدكتور صون يات صن (١٨٦٦ ــ ١٩٢٥) منذ ١٨٩٤ ، وشكلت جمعية تونغ منغ التى تبنت شعارات

مثل " طرد الدخلاء الظالمين وانهاض الصين وتأسيس الجمهورية ، والمساواة فى ملكية الارض " . واصدرت جمعية تونغ منغ بيانا اشارت فيه الى انه ينبغى ، علاوة على طرد الدخلاء الظالمين وانهاض الصين ، تغيير شكل الدولة ورفع مستوى حياة الشعب ، وينبغى ان تكون " الحرية والمساواة والاخاء " هى مبادئ ثابتة بصرف النظر عن الملابسات الاخرى .

وطرح الدكتور صون يات صن مبادئ الشعب الثلاثة — الوطنية ، الديمقراطية ، رفاهية الشعب . وتعنى الوطنية طرد الدخلاء وانهاض الصين ؛ وتعنى الديمقراطية تأسيس الجمهورية ؛ اما رفاهية الشعب فتعنى تحقيق المساواة فى ملكية الارض . وظن الدكتور صون يات صن ان الفلاحين ، بهذه الوسيلة ، سينعتقون من الاضطهاد الاقطاعى ، ويمكن منع ظهور الرأسمالية فى نفس الوقت .

ازدادت عضوية جمعية تونغ منغ الى ما يزيد على ١٠,٠٠٠ شخص فى السنة الاولى من انشائها . وقد تواطأت حكومة تشينغ مع الحكومة اليابانية على اضطهاد اعضائها ، لكنها فشلت فى وقف تطور الثورة التى بلغت عنفوانها بعد سنة ١٩٠٥ . وحدثت خلال ذلك اعمال اغتيال ارهابية وعدة انتفاضات اجهضت كلها . ولكن الحركة الثورية بقيادة الدكتور صون يات صن واصلت تطورها ، وانضمت اليها اعداد متزايدة من المثقفين والجمعيات السرية الفلاحية والجنود من جيش حكومة تشينغ .

اندلاع ثورة ١٩١١

اتخذ حكام تشينغ فى محاولة لانقاذ حكمهم المتقلقل ، عددا من الاجراءات الاصلاحية بهدف تضليل الشعب ، مثل اصلاح الجهاز الادارى والنظام القانونى والعقوبات ، وتبنى نظام تعليم على اساس الاساليب الرأسمالية

الاورو — امريكية ، وتوحيد العملة ، وحفز الصناعة والتجارة الوطنيتين ، وتشجيع بناء الخطوط الحديدية . كما وعدوا باعلان دستور واقامة مجلس نيابي على النمط الاوربي . لكن هذه الاجراءات فشلت فى تلبية مطالب الشعب .

وفى مايو ١٩١١ ، اصدرت الحكومة ، نزولا على رغبات اسيادها الامبرياليين وتجاهلا للمعارضة الشعبية ، مرسوما يقضى بـ " تأميم " كل خطوط السكك الحديدية فى البلاد . وعرض المرسوم ان تعطى الحكومة تعويضا للمساهمين بنسبة ٤٥ — ٤٦٪ من ثمن الاسهم . فانفجر احتجاج منظم فورا فى سيتشوان وهونان وقوانغدونغ وهوبى ، لأن ما قصدته حكومة تشينغ بـ " التأميم " كان حينذاك معادلا لوضع ملكية السكك الصينية فى ايدى الاسياد الاجانب . ونشب صدام مسلح فى سيتشوان بين القوات الحكومية والمحتجين . وفى اواسط سبتمبر ١٩١١ ، فرض الفلاحون المتمردون حصارا على تشنغدو ، حاضرة مقاطعة سيتشوان .

وتطورت الاحداث بسرعة . ففى ليلة ١٠ اكتوبر ١٩١١ ، اندلعت انتفاضة فى ووتشانغ ، اعدتها منظمتان ثوريتان فى منتهى السرية ، وهما الجمعية الادبية وعصبة المسيرة المشتركة ، وكانتا فعالتين بين الجنود . وشارك الطلاب والعمال فى هذه الانتفاضة . وهرب نائب الامبراطور ، واحتل الثوار هانكو وهانيانغ ، وهب اعضاء جمعية تونغ منغ المنتشرون فى كل انحاء البلاد ، لتأييد للقوات الثورية فى ووتشانغ . وهكذا خفقت راية الثورة فى الصين الوسطى .

وجد الثوار انفسهم ، بعد اندلاع انتفاضة ووتشانغ ، ينقصهم التدريب العسكرى . فالذين انضموا اليهم ، كانت اغلبيتهم من العمال والفلاحين ، وليست لديهم خبرات قتالية ، ولم يكن ثمة وقت لتدريبهم تدريبا نظاميا . لكن شجاعتهم عوضت عن افتقارهم الى التقنية ، على حد تعبير مبعوث روسيا

القيصرية فى ذلك الحين ، وضمنت بالتالى نجاح انتفاضة ووتشانغ ؛

الازمة الكامنة فى النجاح السريع لانتفاضة ووتشانغ

انتشر تأثير انتفاضة ووتشانغ الظافرة الى كل اطراف البلاد . وفى غضون شهر ، تأسست حكومات عسكرية ثورية فى هونان وجيانغشى وشانشى وشنشى ويوننان وجيانغسو وتشجيانغ وقويتشو وقوانغشى وقوانغدونغ وآنهوى وفوجيان وشاندونغ وسيتشوان ، واعلنت جميعها استقلالها عن حكومة تشينغ . كما اعلنت الوفود من حكومات تلك المقاطعات والتى تقابلت فى نانجينغ ، تأسيس جمهورية الصين ، وانتخبت الدكتور صون يات صن رئيسا للحكومة المؤقتة . وفى اول يناير ١٩١٢ ، تشكلت حكومة نانجينغ .

لكن انتفاضة ووتشانغ كشفت ، رغم نجاحها السريع ، عن ازمة كامنة فى داخل صفوف الثورة . حينذاك بدأ الامبرياليون يفكرون فى ايجاد اداة اكثر ملاءمة لخدمة اغراضهم واحلالها محل بلاط تشينغ الذى لم يعد قادرا على الاحتفاظ بالسلطة . وتأكد عدد كبير من العناصر الليبرالية — الامبراطورية وكثير من كبار رجال البلاط والعسكريين ، ان المشاركة فى الثورة ستكون فى صالحهم . وتحمس بعض الذين عارضوا الثورة ، لتأييدها اسميا ، وكان هدفهم من وراء ذلك توجيهها لصالحهم ومنع انهيار النظام الاجتماعى القديم .

لم يكن قادة الثورة البرجوازية اهلا لتعبئة القوة الحقيقية فى الثورة الديمقراطية الصينية — الفلاحين ، وتشكيل تحالف ثورى معهم . وقد خسروا قيادة الثورة بعد ان كشفوا عن عجزهم امام التآمر الاستعمارى وهجوم القوى الاقطاعية . ثم رضخوا فى النهاية للنفوذ الامبريالى واضاعوا الثورة .

فشل ثورة ١٩١١ ومغزاها التاريخى

اغتصب امير الحرب يوان شى كاى الذى قبض على السلطة العسكرية الحقيقية فى حكومة تشينغ وحظى دائما بعطف الدول الامبريالية ، ثمار ثورة ١٩١١ ، فأجبر بلاط تشينغ على التنازل عن العرش لصالحه ، وارغم حكومة نانجينغ على تسليم سلطاتها اليه وانتخابه اول رئيس لجمهورية الصين . وفى مارس ١٩١٢ ، اعلن يوان شى كاى نفسه رئيسا للجمهورية . ويسجل هذا الاعلان هزيمة الثورة البرجوازية الصينية .

كانت ثورة ١٩١١ ، رغم اخفاقها ، ذات مغزى تاريخى عميق . فقد اطاحت بحكم اسرة تشينغ الامبراطورية الذى دام ما يقرب من ثلاثمائة سنة ، وجعلت من المستحيل عودة النظام الامبراطورى الاقطاعى الذى ناف على ٢٠٠٠ سنة ، مما كان له اثر كبير فى تعزيز يقظة الشعب الصينى . اما الامبريالية العالمية فقد اسقط فى يدها نتيجة الاضطرابات التى اعقبت ثورة ١٩١١ . ولم تشعر بالأمان الا حين استلم يوان شى كاى السلطة .

ان ثورة ١٩١١ قد كشفت بكل جلاء عن ضعف البرجوازية الصينية وطبيعتها المساومة .

٨ــ الصين قبل الحرب العالمية الأولى وبعدها

الصين تحت الاضطهاد المزدوج للامبرياليين وامراء الحرب

كانت السنوات ١٩١٢ ــ ١٩١٩ من المراحل القاتمة والمضطربة فى تاريخ الصين الحديث : فقد استمر كبار ملاك الاراضى والبرجوازيين الكومبرادوريين فى السلطة فى ظل حكم يوان شى كاى الاوتوقراطى . وواصل يوان شى كاى سياسة بيع البلاد ، وحاول تتويج نفسه " امبراطورا " بمساعدة

الدول الامبريالية . ولكنه اخفق فى اقامة نظام امبراطورى ، ووقعت السلطة السياسية ، بعد موته فى ١٩١٦ ، فى ايدى خانمائه — امراء الحرب الشماليين . وكان لدى امراء الحرب فى مختلف المقاطعات مؤسسات عسكرية ضخمة ، وكان كل منهم يعتبر نفسه " السلطة العليا " فى منطقته ، وكان الاقتتال بينهم مستمرا .

استمرت الدول الامبريالية المختافة فى استغلال الشعب الصينى ، وفرضت ارادتها على الشؤون الصينية من خلال الحكومة المركزية فى بكين والحكومات المحلية . ولما اضطرت الحرب العالمية الاولى الدول الامبريالية الغربية الى ان تخفف من نشاطها العدوانى ضد الصين الى حد ما ، اغتنم الامبرياليون اليابانيون هذه الفرصة لتوسيع نفوذهم فى الصين . وبعد ان قامت ثورة اكتوبر الاشتراكية فى روسيا ، ساند امراء الحرب ببكين الامبريالية اليابانية فى تدخلها ضد ثورة اكتوبر .

وانحاز قطاع كبير من البرجوازية الى جانب امراء الحرب الاقطاعيين ، بعد هزيمة ثورة ١٩١١ ، للمشاركة فى النهب ، بينما رفض قطاع آخر بقيادة الدكتور صون يات صن المساومة مع امراء الحرب ، الا انهم كانوا لا يعرفون درب الخلاص .

وظل العمال والفلاحون وصغار البرجوازيين يئنون من الاضطهاد الوحشى للامبريالية والاقطاع . وحاول المثقفون جاهدين العثور على مخرج فى ظلام الواقع . ان مأساة الصين فى السنوات الثمانين الماضية ، وفشل ثورة ١٩١١ ، والحرب الكبرى بين الدول الامبريالية ، واخيرا انتصار ثورة اكتوبر الاشتراكية فى روسيا — كل هذا كان له ابلغ التأثير على المثقفين الصينيين وجماهير الشعب المضطهد .

تنامى الرأسمالية الصينية فى الحرب العالمية الاولى

انتهز الرأسماليون الصينيون نشوب الحرب العالمية الاولى لتوسيع نشاطاتهم ، واحرزت الصناعات التى يملكها افراد من البرجوازية الوطنية تقدما معقولا ، لاسيما فى صناعة غزل القطن التى تزايدت من ٦٧٦ر٦٥١ مغزلا فى ١٩١٣ الى ٠٢١ر١٧٣ر١ مغزلا فى ١٩١٩ . وفى نفس الوقت توسعت المؤسسات الصناعية اليابانية فى الصين ، ونافست البرجوازية الوطنية الصينية . وبعد ان انتهت الحرب ، عادت بريطانيا والولايات المتحدة ودول امبريالية اخرى الى مسرح عدوانها السابق . وكان ضغطها على البرجوازية الوطنية الصينية ثقيلا للغاية ، مما ارغم الاخيرة على خوض الصراع ضد الاستعمار .

كان العامل الجديد الاكثر اهمية هو تنامى قوة الطبقة العاملة نتيجة لنمو الرأسمالية الوطنية وتوسع المؤسسات الصناعية الاجنبية فى الصين . فازداد عدد العمال من مليون فى ١٩١٤ الى ما يقرب من ٣ ملايين فى ١٩١٩ . وقد تطورت الطبقة العاملة الصينية فى عشية حركة الرابع من مايو ١٩١٩ ، مع انها كانت ما تزال غير واعية سياسيا . وبادرت الى القيام بعدة اضرابات ، كما شكلت منظمات من اشكال مختلفة ، رغم غياب التنظيم الحزبى والنقابى . واخذت الطبقة العاملة تتأجج حقدا على القوى الرجعية ، فى ظل الاضطهاد الثلاثى للاقطاعية والرأسمالية والامبريالية . واصبحت جاهزة ، فور ان تمتلك القيادة والوعى السياسى ، لأن تتطور الى قوة قادرة على العمل المستقل . ويؤشر ظهور هذه العوامل الجديدة فى سنوات الظلام التى اعقبت ثورة ١٩١١ ، بزوغ فجر جديد فى تاريخ الصين متزامنا مع تقدم تاريخ العالم ككل .

٩ــ الثقافة الجديدة والثقافة القديمة

كان للطبقة الحاكمة فى المجتمع الاقطاعى الصينى ، قبل حروب الافيون ، ثقافتها الخاصة المتوارثة ، ثم نشأت فى مقابل الثقافة الاقطاعية ثقافة جديدة برجوازية وفدت من الخارج بعد حروب الافيون .

وتشمل الثقافة الجديدة كلا من الانسانيات والطبيعيات الحديثة القادمة من الغرب . وقد اطلع الصينيون التقدميون ، من امثال هونغ شيو تشيوان وكانغ يو وى ويان فو وصون يات صن ، على ثمرات هذه الثقافة ، وارادوا تطبيقها فى سبيل خلاص الصين . وظهرت مؤلفات هامة فى ميدان العلوم الاجتماعية مثل « نظام الارض السماوى » و« كتاب جديد حول الحكومة » و« عشرة آلاف كلمة فى الاصلاح السياسى » و«كتاب الانسجام العظيم » ؛ وترجمات يان فو لـ « ثروة الامم » لآدم سمث ، و« روح القوانين » لمونتسكيو ، و« التطور والاخلاق » لتوماس هكسلى ، و« دراسة علم الاجتماع » لهربرت سبنسر ، و« نظام المنطق » لجون ستيوارت مل ؛ ومؤلفات اصيلة مثل « مبادئ الشعب الثلاثة » للدكتور صون يات صن وكتابات تان سى تونغ وليانغ تشى تشاو .

ومع ان هذه الكتابات الاصلاحية لقيت التنديد من اتباع الثقافة القديمة ، الا انها لقيت انتشارا واسعا بين المثقفين . ونشر الاصلاحيون الثقافة البرجوازية وحضوا المثقفين على تحدى الثقافة الاقطاعية ومنازلتها .

لكن ثورة ١٩١١ اثبتت انه لا يمكن للبرجوازية ولا للبرجوازية الصغيرة انقاذ بلد شبه مستعمر كالصين ، فى عصر الامبريالية ، وان الثقافة البرجوازية لا تقدم عونا للنضال . وكان هذا درسا فى غاية الاهمية يوضح ان ثورة الشعب الصينى يجب ان تقودها البروليتاريا ، وان تتحلى بثقافة بروليتارية .

لقيت دراسة العلوم الطبيعية فى هذه الفترة قبولا اكثر من دراسة العلوم الاجتماعية ، اذ كان قطاع من الحكام الاقطاعيين بحاجة اليها . فأنشئ مكتب الترجمة التابع لمؤسسة صناعة المكائن فى شانغهاى ، وقد تمت ترجمة كثير من الكتب الاجنبية فى الرياضيات والميكانيكا والكهرباء والكيمياء والصوت والضوء والفلك والجغرافيا وعلم الحيوان والنبات والطب . وبنهاية سنوات اسرة تشينغ افتتحت مدارس جديدة من مختلف الانواع ، واصبحت العلوم الطبيعية مواد اجبارية . وذهب المزيد من المثقفين التقدميين الى بلدان اخرى بحثا عن المعرفة ، وكانوا غير راضين عن المستوى العلمي فى المدارس الصينية . وعلقت فى اوهامهم فكرة جعل الصين قوية ومستقلة من خلال معرفة اكثر للعلوم الطبيعية . وذهب عدد كبير الى حد مدهش من الطلاب الى الخارج لهذا الغرض ، واحرز كثير منهم تفوقا ، ولكنهم لم يجدوا الا فرصا ضئيلة ، لدى عودتهم الى الصين ، فى وضع معارفهم موضع التطبيق . وقد عمل بعضهم فى المناصب الحكومية ، وبعضهم الآخر فى اعمال لم تقدم لهم فرصا لتطبيق ما تعلموه . وظلت العلوم الطبيعية فى الصين ضعيفة ومتخلفة ، رغم ان صينيين كثيرين حازوا على درجات شرف علمية فى هذا الميدان .

وقد وضعت الدول الامبريالية والحكام الاقطاعيون قيودا على تطور الثقافة الجديدة . وكانت شعارات " الديمقراطية والعلوم " التى رفعها المثقفون البرجوازيون الصغار والبرجوازيون المتقدمون قبل حركة الرابع من مايو ١٩١٩ ، تعبيرا عن الاحتجاج ضد هذه القيود .

كان الادب والفن الوافدان من الخارج من عناصر الثقافة الجديدة ، ولكن المؤلفات الاجنبية فى هذين الفرعين لم تحظ من المثقفين البرجوازيين باهتمام كبير مثل النظريات الاجتماعية والعلوم الطبيعية . وكان للأدب اثر اكبر من الفن . فقد ترجم لين شو ما يزيد على مائة رواية اجنبية .

وعلى العموم ، كان المثقفون الذين بشروا بالثقافة الجديدة فى هذا الوقت ، حراصا على تعلم شىء مفيد من الثقافة الغربية . وقد كان يحدوهم امل فى انقاذ الصين ، رغم ان افكارهم الاجتماعية لم تتخلص من الآثار السامة للاقطاعية الصينية ، واحتوت من جهة اخرى على ايديولوجية الاستعمار الاستعبادية . لكن العناصر التقدمية من جماعة الثقافة الجديدة بدأت تدرك تدريجيا ان العمل فى خدمة البرجوازية لا يخدم مستقبلها ، وان عبادة الثقافة البرجوازية الغربية لا تؤدى الى نتيجة . وعندئذ توجهت صوب الثقافة الديمقراطية الجديدة التى بدأت علائم نجاحها تظهر للعيان واخذت بالانخراط فى جيشها الجرار . وقد شن المثقفون الجدد التقدميون حملة لا تعرف الكلل فى ابان السنوات العسيرة للثورة ، وكان لو شيون رأس الحربة ضد الثقافة الاقطاعية والثقافة الاسترقاقية الاجنبية . وكانت الحملة تتكلل بالانتصار فى كل مكان .

الصين فى المرحلة المعاصرة
(مرحلة الثورة الديمقراطية الجديدة)

١ــ بداية الثورة الديمقراطية الجديدة : حركة الرابع من مايو ، وتأسيس الحزب الشيوعى الصينى ، والحرب الاهلية الثورية الاولى
(مايو ١٩١٩ ــ يوليو ١٩٢٧)

حركة الرابع من مايو المعادية للامبريالية

انتهت الحرب العالمية الاولى فى نوفمبر ١٩١٨ ، وافتتح " مؤتمر الصلح " فى فرساى بباريس من قبل الدول الامبريالية المنتصرة فى يناير ١٩١٩ ، لاقتسام غنائم الحرب وتقطيع اوصال البلدان المهزومة واعادة توزيع مستعمراتها . وقررت معاهدة الصلح التى وقعتها الدول الامبريالية فى فرساى تظهير كل " الحقوق " الخاصة بألمانيا سابقا فى مقاطعة شاندونغ الى اليابان ، بما فى ذلك احتلال تشينغداو والسيطرة على المناجم الواقعة على طول خط حديد جياوتشو ــ جينان ، مما اثار سخط الشعب الصينى كله . وفى ٤ مايو ١٩١٩ ، عقد الطلاب اجتماعا جماهيريا فى ميدان تيان آن من ببكين ، تحت شعار " لنتمسك بسيادتنا ولنعاقب الخونة ! " واعلنوا عزمهم على الكفاح حتى آخر فرد ضد الاحتلال اليابانى للأرض الصينية ، وطالبوا

بانزال العقاب بالخونة الثلاثة الموالين لليابان فى حكومة ملاك الاراضى الاقطاعية- وزير المواصلات تساو رو لين ، والمفوض الصينى لدى اليابان تشانغ تسونغ شيانغ ، والمدير العام لوزارة الخزانة لو تسونغ يوى . وتوجه الطلاب من ميدان تيان آن من الى محل اقامة الخائن تساو رو لين واشعلوا فيه النار . اما تشانغ تسونغ شيانغ الذى كان مختبئا فى منزل تساو ، فجلد جلدا مبرحا . وحظى نضال طلاب بكين العادل بعطف الشعب فى بقية انحاء الوطن . وكان الطلاب فى ارجاء البلاد اول من هب للعمل بتنظيم اضرابات فى المدارس . وفى ٣ يونيو ، عقد اجتماع جماهيرى فى شانغهاى حضره اناس من كافة الاوساط ، وتقرر فيه اصدار نداء لاضراب عام فى كل البلاد تأييدا للطلاب . وفى ٥ يونيو ، القى ٧٠ الف عامل فى شانغهاى وتانغشان وتشانغشينديان ادوات عملهم فى اضراب سياسى ضد الامبريالية . وكانت هذه اول مرة تظهر فيها الطبقة العاملة الصينية على المسرح السياسى كقوة مكافحة ، وبدأت تلعب الدور الرئيسى فى نضال الشعب الصينى ضد الامبريالية . كما نظم التجار والطلاب فى كل اصقاع البلاد اضرابات متعددة . وتطورت حركة الرابع من مايو الى حركة ثورية مشتركة من العمال والطلاب والتجار مناهضة للامبريالية . وقد مارست الحركة ضغطا هائلا على حكومة ملاك الاراضى الاقطاعية ، فاضطرتها ان ترفض فى ٢٨ يونيو توقيع معاهدة فرساى . واثار نبأ نضال الشعب الصينى الحازم ضد الامبريالية اهتمام العالم قاطبة . وقد دلت هذه الحركة الثورية الشعبية الجديدة الطراز على ان الشعب الصينى العظيم قد اكتسب يقظة وطنية جديدة ، وفتحت روحه الحازمة المقاومة للامبريالية والمعادية للاقطاع صفحة جديدة فى تاريخ الثورة الديمقراطية الصينية .

تأثير ثورة اكتوبر الاشتراكية على الصين

وبينما كانت تتطور هذه الحركة الوطنية المعادية للامبريالية ، شن المثقفون الصينيون الاكثر تقدما حركة ثقافية جديدة وجهت ضد الثقافة الاقطاعية ، وهدفت الى تطوير الديمقراطية والعلوم وتثوير الآداب .

ومع التطور السريع للصناعة الوطنية الصينية فى اثناء الحرب العالمية الاولى ، والنمو المتعاظم فى قوة الطبقتين الجديدتين — الطبقة العاملة والبرجوازية فى المجتمع الصينى ، تدفق سيل من الافكار الجديدة افكار الديمقراطية والحرية والتحرر . كانت الحركة الثقافية الجديدة قد حصرت نفسها قبل ثورة اكتوبر الاشتراكية فى روسيا فى نشر الافكار الديمقراطية البرجوازية . وقد كان لثورة اكتوبر الاشتراكية مع ما تلاها من ثورات بروليتارية فى مختلف البلدان فى اوربا وحركات التحرر الوطنى لمختلف البلدان فى الشرق ، تأثير عميق على الاحداث فى الصين . واعطى انتصار الثورة فى روسيا مثالا يحتذى للشعب الصينى ، وانار له طريق تحرره . كما الهمه وعمق تعاطفه ومؤازرته للثورة الاشتراكية ، الغاء الحكومة السوفياتية لكل المعاهدات غير المتكافئة التى عقدتها روسيا القيصرية مع الصين . وتسرب الى الصين فيضان من الافكار الاشتراكية مع انتصار ثورة اكتوبر . وهلل لثورة اكتوبر عدد من المثقفين الثوريين الصينيين يمثلهم لى دا تشاو (احد مؤسسى الحزب الشيوعى الصينى ، الذى قتله تشانغ تسوه لين احد امراء الحرب فى ابريل ١٩٢٧) ، وتشن دو شيو (احد مؤسسى الحزب ، الذى اصبح تصفويا فيما بعد) ، وماو تسى تونغ وشو ان لاى . واعتنقوا الشيوعية وتسلحوا بأفكارها . واهتمت الحركة الثقافية الجديدة فى الصين ، بعد ان صارت تحت تأثير ثورة اكتوبر ، بنشر الافكار الاشتراكية فى المقام الاول .

وتبادلت الحركة الثقافية الجديدة زخم التأثر والتأثير مع حركة الرابع من مايو الوطنية ، وصدرت حينذاك اعداد كبيرة من الدوريات والكتب لنشر

الفكر الجديد. وشكل المثقفون الذين بدأوا يتعرفون على المبادئ الشيوعية ، الجناح اليسارى للحركة الثقافية الجديدة ، ولعبوا دورا قياديا فيها وفى الحركة الوطنية المعادية للاستعمار . وبفضل دعايتهم للماركسية ، المقترنة بنقدهم للأفكار الاصلاحية البرجوازية ، شقت الماركسية اللينينية طريقها واسعا فى الصين ، وكسبت لها قطاعا واسعا من شبيبة الصين . وبهذا مهدت حركة الرابع من مايو الطريق ، ايديولوجيا وتنظيميا ، لتأسيس الحزب الشيوعى الصينى .

لقد غيرت ثورة اكتوبر الاشتراكية وحركة الرابع من مايو مجرى التاريخ الصينى جذريا . واصبحت الثورة الصينية جزءا من الثورة الاشتراكية البروليتارية العالمية . واصبحت الثورة الديمقراطية الصينية ثورة تقودها الطبقة العاملة ، وانتقلت الصين من عهد الثورة الديمقراطية القديمة الى عهد الثورة الديمقراطية الجديدة .

وكما اشار ماو تسى تونغ : " لقد قامت حركة الرابع من مايو استجابة لنداء الثورة العالمية فى يومها ولنداء الثورة الروسية ونداء لينين . " وفى الفترة من ١٩١٨ الى ١٩٢٠ ، اصدر لينين فى مناسبات كثيرة بيانات هامة حول المسألة الوطنية فى الشرق . ففى المؤتمر الثانى للأممية الشيوعية المنعقد سنة ١٩٢٠ ، قدم لينين برنامجا محددا حول مسألة الوطنية والاستعمار ، ووضع ب وضوح السياسة الاساسية التى يجب ان يتبناها الشيوعيون فى الحركة الثورية الوطنية . وقد انارت توجيهات لينين طريق الثورة الصينية ، وقدمت قوة دافعة لتطورها .

تأسيس الحزب الشيوعى الصينى وتطور الحركة العمالية

تقدمت حركة الطبقة العاملة الصينية تقدما حثيثا ، بعد حركة الرابع من

مايو . وبدأ بعض المثقفين المتأثرين بالشيوعية بالانخراط مع العمال فى تشانغشينديان وشانغهاى وهونان ومناطق اخرى ، ويساعدونهم على تنظيم نقاباتهم ونواديهم ومدارس اوقات الفراغ . وشرعوا يصدرون صحفا فى بكين وشانغهاى وقوانغتشو ، ويوضحون فى لغة شعبية الافكار الشيوعية للعمال . وبهذا بدأت الماركسية اللينينية تندمج تدريجيا مع حركة الطبقة العاملة .

وتشكلت اول خلية شيوعية فى شانغهاى فى صيف ١٩٢٠ ، وتأسست عصبة الشبيبة الاشتراكية الصينية فى اغسطس من نفس السنة . وفى نفس الوقت تقريبا ، نظمت خلايا شيوعية وعصبات شبيبة اشتراكية فى بكين وهانكو وتشانغشا وقوانغتشو وجينان ، وبين الطلاب الصينيين فى باريس وطوكيو .

وفى المؤتمر الذى عقد فى يوليو ١٩٢١ فى شانغهاى – مركز الصناعة الصينية ، تم تأسيس الحزب الشيوعى الصينى . وقد حضر المؤتمر ثلاثة عشر مندوبا يمثلون ما يزيد على خمسين عضوا ن الخلايا الشيوعية المنتشرة فى مختلف الانحاء ، منهم ماو تسى تونغ ، دونغ بى وو ، تشن تان تشيو ، خه شو هنغ ، وانغ جين مى وغيرهم . وقرر المؤتمر تأسيس حزب شيوعى صينى على نمط الحزب البلشفى الروسى ، واجاز برنامج الحزب وانتخب لجنة مركزية . فظهر الى الوجود الحزب السياسى الثورى الماركسى للطبقة العاملة الصينية . واستطاع الحزب ، رغم صغر حجمه حينذاك ، ان يظهر على مسرح التاريخ كمنظم وقائد للثورة ، مسلحا بالماركسية اللينينية ، وان يحدث تغييرات عميقة فى طبيعة الثورة الصينية ، ويقودها ، خطوة فخطوة ، باتجاه النصر . وقد حضر افتتاح المؤتمر مراقبان من الاممية الشيوعية .

حدد الحزب الشيوعى الصينى مهمته الرئيسية الاولى فى تنظيم حركة الطبقة العاملة وتعبئة قواها لضمان الربط الوثيق بين حركة الطبقة العاملة والشيوعية . وانشأ لهذا الغرض امانة اتحاد العمال الصينى كقيادة علنية لحركة الطبقة

العاملة فى الصين كافة . لقد رزحت الطبقة العاملة الصينية تحت اسوأ الظروف ، وسلبت من كل الحقوق فى ظل الاستغلال والاضطهاد من الاستعمار والاقطاع والرأسمالية . لكنها تمتلك ارادة قوية وعزما على الثورة ، فتفجر غضبها كالبركان تحت قيادتها الجبارة ــ الحزب الشيوعى الصينى . ودشن عمال الصين نضالهم فى المرحلة الجديدة بموجة اضرابات دامت من يناير ١٩٢٢ الى فبراير ١٩٢٣ ، حيث شن وقاد بضع مئات من اعضاء الحزب وعصبة الشبيبة الاشتراكية التى اصبحت " عصبة الشبيبة الشيوعية الصينية " فى يناير ١٩٢٥ ، ما يزيد على ١٠٠ اضراب فى هذه الشهور الثلاثة عشر ، ضمت ما ينوف على ٣٠٠ الف عامل فى المدن الكبرى والمناطق الصناعية والمناجم وعلى خطوط السكك الرئيسية وخطوط الملاحة .

بدأت موجة الاضرابات باضراب كبير شنه البحارة فى هونغ كونغ فى يناير ١٩٢٢ ، مطالبين بزيادة الاجور ومحتجين ضد الاضطهاد الذى مارسه الامبرياليون البريطانيون . وبنهاية فبراير ، كان جميع العمال فى هونغ كونغ قد اضربوا عن العمل تأييدا للبحارة . وثارت حماسة العمال فى مختلف انحاء البلاد تأييدا للمضربين فى هونغ كونغ ، وانتهى الاضراب فى اوائل مارس بانتصار تام للبحارة . وكان لنجاحه اثر كبير فى تأجيج كفاحية العمال فى عموم البلاد . وفى مايو من نفس السنة ، عقد مؤتمر العمال الوطنى الاول فى قوانغتشو تحت قيادة الحزب الشيوعى الصينى ، فقام بدور هام فى تحقيق القيادة الموحدة لحركة الطبقة العاملة ، ودفع نضالها الى الامام .

كان الحزب الشيوعى والطبقة العاملة فى امس الحاجة الى برنامج كفاحى يحدد وينظم نضالاتهما ويستنهض كل قطاعات الشعب . فعقد الحزب مؤتمره الوطنى الثانى فى شانغهاى فى يوليو ١٩٢٢ ، لتحقيق هذا الهدف . وقد حضره ١٢ مندوبا يمثلون ١٢٣ عضوا ، منهم تشن دو شيو ودنغ تشونغ

شيا وتساى خه سن وشيانغ جينغ يوى . واجاز المؤتمر بيانا طرح فيه برنامجه الاساسى للثورة الصينية . وبعد ان اعلن البيان ان الحد الاعلى من برنامج الحزب انما هو تحقيق النظام الشيوعى فى الصين ، تطرق الى برنامج الحد الادنى ، فأشار الى انه برنامج الثورة الديمقراطية فى الصين . واورد البيان ان " قوى الرأسمالية ــ الامبريالية والقوى الاقطاعية لأمراء الحرب البيروقراطيين هى سبب شقاء الشعب الصينى (سواء من البرجوازية او العمال او الفلاحين) ، ولهذا السبب ، تتحلى الحركة الثورية الديمقراطية ضد هذه القوى بمغزى عظيم . " ووجه البيان نداء لاقامة جبهة وطنية ديمقراطية وحدد برنامجا ملموسا لها ، اشار فيه الى ان المهمات الاساسية للشعب الصينى هى " استئصال النزاعات الاهلية والاطاحة بأمراء الحرب واقامة السلام الداخلى ؛ القضاء على اضطهاد الامبريالية العالمية وانجاز الاستقلال التام للأمة الصينية ؛ توحيد كل الصين (بما فيها مقاطعات الشمال الشرقى الثلاث) فى جمهورية ديمقراطية حقيقية . "

واصدر المؤتمر نداء كفاحيا لشعب كل البلاد ، يحثه على النضال ضد الامبريالية والاقطاع . وكان هذا اول نداء من نوعه فى تاريخ الصين . ومنذ ذلك الوقت ، باشر الشعب الصينى نضالا حازما وحيويا فى سبيل انعتاقه . كما اجاز المؤتمر قرارا بالانضمام الى الاممية الشيوعية .

قدم المؤتمر دفعا قويا لحركة الاضراب ، اذ حدثت بعده بوقت قصير اضرابات متوالية فى شانغهاى ووهان وهونان وقوانغدونغ ، وكذلك موجة جديدة من الاضرابات بين عمال السكك الحديدية والمناجم والسفن . وكان اهم تلك الاضرابات هو اضراب العمال فى منجم فحم آنيوان فى بينغشيانغ بمقاطعة جيانغشى ، واضرابات العمال فى سكة حديد تشو تشو ــ بينغشيانغ ، والتى اشترك فيها ٢٠ الف عامل . واعقب هذه الاضرابات اضراب ٤٠ الف عامل

فى منجم فحم كايلوان . وتوجت اغاب الاضرابات بانتصار العمال .

ولما رأى الامبرياليون وامراء الحرب الاقطاعيون حركة الاضراب تنتشر وتهدد باجتياح البلاد كلها ، تلاحمت صفوفهم وحاولوا وضع حد لها بالقمع المسلح . وفى ٧ فبراير ١٩٢٣ ، تعرض كثير من العمال على خط حديد بكين — هانكو للتذبيح . وقد تطور اضراب العمال على هذا الخط الى النضال فى سبيل تشكيل اتحاد عمال عام . وفى اول فبراير ١٩٢٣ ، اجتمع فى تشنغتشو عدد من وفود النقابات فى مختلف المحطات لافتتاح الاتحاد العام للعمال لخط سكة حديد بكين — هانكو . فأرسل امير الحرب وو بى فو شرطته المسلحة لفض الاجتماع بالقوة . وفى ظهر اليوم الرابع من فبراير ، توقف جميع العمال على طول الخط الحديدى عن العمل احتجاجا على ذلك . وكانت شعاراتهم هى " النضال من اجل الحرية ! " و" النضال من اجل حقوق الانسان ! " وفى ٧ فبراير ، امرت السلطات العسكرية ، بتحريض من الامبرياليين ، قواتها بمهاجمة المضربين ، فقتل عدد من العمال فى جيانغآن بهانكو . وفى نفس اليوم ، ارتكبت فظائع مشابهة فى تشانغشينديان وفى تشنغتشو . وقد عرفت هذه الاحداث فى تاريخ الحركة العمالية الصينية باسم " مجزرة ٧ فبراير " . ففى ذلك اليوم ، قتل ما يقرب من اربعين عاملا وجرح ما يربو على ٣٠٠ واعتقل اربعون . وخربت او اغلقت مراكز النقابات على طول الخط . وكان من بين الشهداء لين شيانغ تشيان وشى يانغ من اعضاء الحزب الشيوعى .

كان اضراب سكة حديد بكين — هانكو اطول الاضرابات واكبرها فى ذلك الحين . وقد تلاه انحسار مؤقت فى مد حركة الطبقة العاملة . وقد دل المد الاول للحركة العمالية واضراب ٧ فبراير على القوة الجبارة للطبقة العاملة الصينية التى بدأت مع الحزب الشيوعى تتمتع بموقع مهيب فى عموم البلاد ،

مما ساعد الطبقة العاملة العالمية على رؤية قوة الطبقة العاملة الصينية .

يكشف حادث ٧ فبراير عن حقيقة جديدة للطبقة العاملة الصينية والحزب الشيوعى وهى انه لا يمكن للطبقة العاملة ان تعتمد على نفسها وحدها للفوز فى كفاحها ضد اعدائها الطبقيين ، اذ لا بد للطبقة العاملة ان تشكل جبهة متحدة ثورية مع كل طبقة قادرة على العمل فى سبيل الثورة لخوض النضال ضد العدو المشترك ، وانه على الثوريين ان يسلحوا انفسهم لمناهضة الثورة المضادة المسلحة .

وهكذا اخذ الحزب الشيوعى على عاتقه تشكيل جبهة متحدة ثورية كمهمة مركزية له فى اعقاب حركة ٧ فبراير .

الدول الامبريالية وامراء الحرب الصينيون

كان الوضع فى الصين فى ذلك الوقت متسما بالحروب الدائمة بين الفئات المتنازعة من امراء الحرب ، وكانت الدول الامبريالية تدعم فريقا ضد الآخر وفقا لما يتأتى من منفعة خاصة .

كانت الولايات المتحدة واليابان وبريطانيا هى الدول الامبريالية الرئيسية التى شاركت فى الاندفاع الى الصين بعد الحرب العالمية الاولى . واصبحت الامبريالية الامريكية التى جنت فوائد خيالية من بيع العتاد الحربى وتقديم القروض للمتحاربين ، هى المصدر الاكبر للرأسمال . وكان من المحتم ان تسعى للهيمنة فى منطقة المحيط الهادى ، بحثا عن مصالح اضافية . وقد انتزعت الامبريالية اليابانية من الصين ، مغتنمة الحرب العالمية الاولى ، اكثر مما انتزعته اى دولة اخرى ، واستطاعت ان تسرع فى توغلها باتجاه السيطرة المطلقة على الصين ، مستفيدة من الحصص التى خصصت لها فى مؤتمر فرساى . وقد دار الصراع الرئيسى على الصين بين الامبريالية الامريكية

والامبريالية اليابانية . وكانت الامبريالية البريطانية هى صاحبة السطوة فى الصين قبل الحرب العالمية الاولى ، بيد ان نفوذها اخذ بالانحسار بعد سنة ١٩١٨ امام التوغل الامريكى والياباني . وقد الحقت مساعى الامبريالية اليابانية لاحتكار الصين ضررا بليغا بالمصالح البريطانية ، مما ادى ببريطانيا الى التعاون مع الولايات المتحدة ضد اليابان .

وفى نوفمبر ١٩٢١ ، افتتح مؤتمر واشنطن الذى نظمته الولايات المتحدة وايدته بريطانيا . ومارست فيه الدولتان ضغطا مشتركا على اليابان فى سبيل انتزاع الصين منها . وقد تمخض عن المؤتمر ميثاق تساعى وقعته الولايات المتحدة وبلجيكا وبريطانيا والصين وفرنسا وايطاليا واليابان وهولندا والبرتغال ، فى فبراير ١٩٢٢ ، وكان هذا الميثاق الذى احترم اسميا وحدة وسيادة الصين ، هو فى حقيقته اتفاقا لتقسيمها يقوم على مبادئ عدوانية سمتها الولايات المتحدة " التساوى فى الفرص لكل الدول " و" سياسة الباب المفتوح " . وقد الغى الميثاق الحقوق الاحتكارية التى اغتصبتها اليابان فى اثناء الحرب ، واتاح للولايات المتحدة وبريطانيا واليابان السيطرة معا على الصين مع استئثار الولايات المتحدة بالصدارة .

ظهرت النزاعات بين الدول الامبريالية الثلاث اقل حدة بعد مؤتمر واشنطن نتيجة للتنازلات التى قدمتها اليابان تحت الضغط الامريكى البريطانى المشترك . لكنها استمرت فى الواقع متخذة اشكالا اخرى عن طريق التدخل غير المباشر باستخدام امراء الحرب .

واصبح امراء الحرب الاقطاعيون ، فى حقيقة الامر ، عملاء الامبريالية فى الصين . وبعد وفاة يوان شى كاى ، زعيم امراء الحرب الشماليين ، سنة ١٩١٦ ، انشقت مجموعة امراء الحرب الشماليين الى طغمتين عرفتا باسم " طغمة آنهوى " و" طغمة تشيلى (خبى) " . وكان فنغ قوه تشانغ يترأس

طغمة تشيلي ، ثم ترأسها ، بعد وفاته في سنة ۱۹۱۸، تساو كون ووو بي فو . وكان الامبرياليون البريطانيون والامريكان يدعمون هذه الطعمة . اما طغمة آنهوى فتزعمها دوان تشي روى الذى عمل لحساب الامبريالية اليابانية . وعملت طغمة فنغتيان في شمال شرقي الصين التي تزعمها امير الحرب تشانغ تسوه لين ، بالتواطؤ مع اليابان . وكان امراء الحرب يمثلون مصالح مختلف الطغمات الكومبرادورية والاعيان الاثرياء في الداخل . وقد انعكست النزاعات بين الدول الامبريالية لسلب الصين في الحروب المتطاولة بين امراء الحرب . وفي اعقاب وفاة يوان شي كاي ، امسكت طغمة آنهوى بزمام الحكومة المركزية في بكين . وفي يوليو ۱۹۲۰ ، اندلع القتال بين طغمتي تشيلي وآنهوى في يانغتشون وتشوتشو بمقاطعة خبى . وتغلبت طغمة تشيلي على طغمة آنهوى ، فانتزعت منها السيطرة على حكومة بكين . واستمرت في هذا الوضع الى اكتوبر ١٩٢٤ . وفي شهرى ابريل ومايو ۱۹۲۲ ، دارت المعارك بين طغمتي فنغتيان وتشيلي في منطقة تشانغشيندیان - ماتشانغ بمقاطعة خبى ، وكان النصر حليف طغمة تشيلي ايضا . وبينما استمر القتال بين امراء الحرب في الشمال ، كانت مجموعة من امراء الحرب الجنوبيين تتواطأ مع نظرائهم الشماليين ، وكانت النتيجة استمرار الحروب الاهلية ايضا في القسم الجنوبي من البلاد .

قرار الحزب الشيوعي الصيني بتشكيل جبهة متحدة ثورية

جعل عدوان الدول الامبريالية المكثف الذى تزامن مع الحروب الضارية بين امراء الحرب ، حياة الفلاحين لا تطاق . فقد فرضت الضرائب الفاحشة عليهم ، وتم تجنيدهم بالقوة واجبروا على السخرة ، هذا علاوة على الكوارث الطبيعية والبشرية وارتفاع الايجار ومعدل الفائدة الباهظ ، مما سبب سخطا واسع النطاق وساعد في المقابل على حفز نضالات الفلاحين . وقد ظهرت

الجمعيات الفلاحية فى جنوب الصين ، مثل جمعية الفلاحين العامة بقيادة بنغ باى فى هايفنغ بمقاطعة قوانغدونغ ، وجمعية يويباى العمالية - الفلاحية بقيادة شيه هواى ده وليو دونغ شيوان فى هنغشان بمقاطعة هونان . اما فى الشمال فخاض الفلاحون نضالات عفوية للدفاع عن النفس .

وعندما جددت الدول الامبريالية عدوانها الاقتصادى على الصين بعد سنة ١٩٢٢ ، بدأت الصناعات التى ادارتها البرجوازية الوطنية والتى تطورت سريعا فى اثناء الحرب العالمية الاولى ، بدأت تتوقف تدريجيا وتواجه ازمة حادة . كان هذا شديد الوضوح فى صناعات الغزل والنسيج والطحين . فبينما باعت الصين خلال ١٩١٥ - ١٩٢١ من طحين القمح اكثر مما اشترت ، انقلب الوضع فى سنة ١٩٢٢ ، فاستوردت ٥-٦ ملايين دان* سنويا ، فى سنتى ١٩٢٣ و١٩٢٤ . وبسبب ذلك طالبت الطبقتان البرجوازيتان المتوسطة والصغيرة بالغاء المعاهدات غير المتكافئة التى كانت فى صالح الدول الامبريالية، نظرا لأن خطط هاتين الطبقتين فى التنمية الصناعية قد أحبطت . كما عارضتا الحروب الاهلية التى اشعلها امراء الحرب . وتنادت الطبقات الثورية جميعها للعمل الموحد ضد الاقطاع والاستعمار .

وقد ادرك الحزب الشيوعى الصينى انه اذا ما اريد للثورة ان تتقدم فمن الضرورى تنظيم جبهة متحدة ثورية عريضة . وفى يونيو ١٩٢٣ ، عقد الحزب مؤتمره الوطنى الثالث فى قوانغتشو ، وحضره ٣٠ مندوبا يمثلون ٤٣٢ عضوا حزبيا ، وكان من بين المندوبين لى دا تشاو وماو تسى تونغ وتشن تان تشيو وتشيوى تشيو باى وتشانغ تاى لى وتساى خه سن وشيانغ جينغ يوى . وتركزت المناقشات على مسألة تأسيس جبهة متحدة ديمقراطية وطنية وثورية . ووضع المؤتمر السياسة الخاصة بتشكيلها ، وكان هدفها مساعدة الدكتور

* دان : وحدة وزن صينية تساوى ٥٠ كيلوغراما .

صون يات صن ، زعيم الديمقراطيين الثوريين البرجوازيين ، فى اعادة تنظيم الكومينتانغ ، والسماح لأعضاء الحزب الشيوعى الصينى وعصبة الشبيبة الاشتراكية بالانضمام الى الكومينتانغ ، لتحويله الى تنظيم جبهة متحدة ثورية تشمل الطبقات الاربع – العمال والفلاحين والبرجوازيين الصغار والبرجوازيين الوطنيين . وعلى هذا الاساس ، يمكن توحيد وتنظيم القوى الثورية بالبلاد لخوض النضال . كما قرر المؤتمر وجوب احتفاظ الحزب الشيوعى باستقلاله السياسى والتنظيمى. ومن الجدير بالذكر ان الكومينتانغ تأسس سنة ١٩١٢ على اساس تنظيم جمعية تونغ منغ بقيادة صون يات صن .

ظهرت حول هذه المسألة وجهتا نظر متطرفتان فى المؤتمر الثالث للحزب الشيوعى . الاولى مثلها تشن دو شيو ، زعيم الحزب آنذاك ، الذى رأى ان الثورة الديمقراطية البرجوازية ينبغى ان تقودها البرجوازية وينبغى تسليم كافة مهام الحزب الشيوعى الى الكومينتانغ . وكان هذا انحرافا تصفويا يمينيا . والاخرى مثلها تشانغ قوه تاو * الذى رفض فكرة التعاون بين الحزب الشيوعى والكومينتانغ ، وقال ان الثورة يجب ان تقوم بها الطبقة العاملة وحدها . وبناء على ذلك ، عارض تشانغ قوه تاو فكرة انضمام اعضاء الحزب الشيوعى او العمال او الفلاحين الى الكومينتانغ . وكان هذا هو الانحراف او الانغلاق " اليسارى " . وقد عارض ماو تسى تونغ وآخرون هاتين النظرتين ، ورفضهما المؤتمر اخيرا . وفى هذا المؤتمر انتخب ماو تسى تونغ عضوا بلجنة الحزب المركزية واصبح مدير قسم التنظيم التابع للجنة .

* ارتد تشانغ قوه تاو عن الثورة الصينية بعد ان اقترف اخطاء كثيرة فى داخل الحزب سببت خسائر طائلة . وقد هرب فى ربيع ١٩٣٨ من منطقة حدود شنشى – قانسو – نينغشيا وانضم الى شرطة الكومينتانغ السرية .

صون يات صن يقبل مساعدة الحزب الشيوعى ويعيد تنظيم الكومينتانغ

عقد الكومينتانغ مؤتمره الوطنى الاول فى قوانغتشو فى يناير ١٩٢٤ ، بفضل جهود الحزب الشيوعى الصينى ، على اساس التعاون بين الحزبين : وقد اجاز السياسات الرئيسية الثلاث القاضية بالتحالف مع الاتحاد السوفياتى والتعاون مع الشيوعيين ومساندة الفلاحين والعمال .

وانتخب اعضاء الحزب الشيوعى الذين حضروا هذا المؤتمر ومنهم ماو تسى تونغ ولى دا تشاو ولين بوه تشيوى وتشيوى تشيو باى ، انتخبوا اعضاء او اعضاء احتياطيين فى اللجنة التنفيذية المركزية للكومينتانغ . وكان لهم دور هام فى المؤتمر . وعجل تشكيل الجبهة المتحدة الثورية فى تطور الحركة الثورية ، وسجل المؤتمر الوطنى الاول للكومينتانغ بداية الثورة المتصاعدة .

وبعد المؤتمر ، ساعد الحزب الشيوعى الصينى الدكتور صون يات صن فى تأسيس كلية هوانغبو الحربية وفى تنظيم جيش ثورى . واوفد الحزب الشيوعى شو ان لاى ويه جيان ينغ ونيه رونغ تشن ويون داى ينغ وشياو تشو نيوى وشيونغ شيونغ للقيام بالتثقيف السياسى فى الكلية . وكان كثير من الطلبة اعضاء بالحزب الشيوعى او عصبة الشبيبة الشيوعية انتقاهم الحزب من كل انحاء البلاد ، وشكلوا العمود الفقرى الثورى فى تلك الكلية . وفى اكتوبر ١٩٢٤ ، قمع الجيش الثورى بمساعدة العمال والفلاحين ، التمرد المعادى للثورة الذى قام به متطوعو التجار فى قوانغدونغ ، وهم القوة المسلحة لطبقتى ملاك الاراضى والكومبرادور . وتوطد النظام الثورى فى المقاطعة .

وفى نفس الوقت ، عزز الاتحاد السوفياتى علاقات الصداقة مع الشعب الصينى بالتوصل الى اتفاقية متكافئة مع حكومة بكين التى كانت لا تزال تحكم فى قسم كبير من الصين . وعقد اتفاق بين الطرفين فى ٣١ مايو ١٩٢٤ ، على

اساس مبادئ عامة لحل كافة المسائل المعلقة بين الصين والاتحاد السوفياتى ، واقيمت علاقات دبلوماسية بين البلدين ، وكان ذلك بعد عروض متكررة من الاتحاد السوفياتى ، وتحت ضغط الرأى العام فى الداخل .

لقد قدم تشكيل الجبهة المتحدة الثورية زخما جبارا للحركة الجماهيرية الثورية فى انحاء البلاد . فانتعشت الحركة العمالية التى كانت فى انحسار شديد منذ مجزرة ٧ فبراير ١٩٢٣ ، وبدأت تعطى اشارات على نهوض جديد . وتقدمت الحركة الفلاحية فى قاعدة قوانغدونغ الثورية بخطوات سريعة ، بينما تطورت الجمعيات الفلاحية السرية فى هونان وخنان وسيتشوان وهوبى وجيانغشى ومقاطعات اخرى .

احدث تعاظم الجبهة المتحدة الثورية انشقاقا فى صفوف امراء الحرب الشماليين . ففى اكتوبر ١٩٢٤ ، قام فنغ يوى شيانغ زعيم طغمة تشيلى بانقلاب عسكرى فى بكين ، وذلك فى ذروة الحرب بين جيوش طغمتى تشيلى وفنغتيان حيث خرج فنغ من صفوف امراء الحرب الشماليين واعان تأييده للثورة . فانهارت طغمة تشيلى ، وسقطت الحكومة المركزية فى ايدى طغمتى آنهوى وفنغتيان اللتين تسيرهما الامبريالية اليابانية . وفى هذا الوقت ، تعاظمت قوة حركة العمال والفلاحين الثورية فى تشاهار وخنان وقسم من خبى والتى كانت تحت سيطرة الجيش الوطنى بقيادة فنغ يوى شيانغ ، بينما شن الحزب الشيوعى الصينى حركة شعبية واسعة النطاق لعقد جمعية وطنية والغاء المعاهدات غير المتكافئة التى فرضتها الدول الامبريالية .

وعقد الحزب الشيوعى الصينى مؤتمره الوطنى الرابع فى شانغهاى فى يناير ١٩٢٥ ، استقبالا لنهوض المد الثورى . وقد حضر المؤتمر ٢٠ مندوبا ، من بينهم لى دا تشاو وشوان لاى وتساى خه سن ، يمثلون ٩٨٠ عضوا . وتركزت مناقشات المؤتمر على العمل التنظيمى للحزب وعمله بين الجماهير .

وقرر المؤتمر بناء وتوسيع التنظيم الحزبي في انحاء الوطن ، واجاز قرارات تتعلق بالحركات العمالية والفلاحية ، والسياسات الواجب اتخاذها لقيادة الحركة الزادفة الى عقد الجمعية الوطنية . واعد المؤتمر ترتيبات تنظيمية للنهوض الجديد للنضال الجماهيري .

وفي مارس من نفس السنة توفي الدكتور صون يات صن في بكين ، فحزنت الامة بأسرها حزنا شديدا على وفاة هذا الديمقراطي الثوري العظيم .

حركة ٣٠ مايو ونتائجها

اعقب المؤتمر الوطني الرابع للحزب الشيوعي الصيني تطور سريع في الحركة الثورية الجماهيرية . فانفجرت موجة اضرابات بين العمال في مصانع الغزل القطني التي يمتلكها اليابانيون في شانغهاي وتشينغداو ، وانعقد مؤتمر العمال الوطني الثاني في قوانغتشو في اول مايو ١٩٢٥ . وقرر المؤتمر تدعيم قيادة الحركة العمالية بتأسيس اتحاد عمال عموم الصين ، وكان لين وي مين رئيسا له ، وليو شاو تشي نائبا للرئيس . وفي نفس اليوم ، عقد مؤتمر ممثلي عموم فلاحي قوانغدونغ في قوانغتشو ايضا .

في هذه الاثناء قتل اليابانيون قو تشنغ هونغ ، عضو الحزب الشيوعي الصيني وعضو الوفد العمالي في المفاوضات مع رأسماليي مصانع الغزل القطني ، وقتلوا وجرحوا عشرة من زملائه العمال ، وذلك خلال المفاوضات في ١٥ مايو . وكانت هذه الحادثة هي الشرارة التي ادت الى حادثة ٣٠ مايو . ففي ذلك اليوم ، احتج ٢٠٠٠ طالب علانية على اعمال القتل وعلى القرار المقترح من مجلس بلدية " منطقة الامتيازات الاجنبية " في شانغهاي والذي يقضي بتعديل القانون الداخلي للمطبوعات والزيادة في رسوم ارصفة الموانئ وتسجيل بورصة الاوراق المالية في المجلس البلدي . وكانت هذه الخطوات موجهة

ضد مصالح البرجوازية الوطنية الصينية ، وقد اثارت سخط الشعب على وجه العموم . واعتقلت شرطة " منطقة الامتيازات الاجنبية " بضع مئات من الطلاب . وعلى اثر ذلك ، تجمع ما يقرب من عشرة آلاف طالب وعامل امام مركز شرطة لاوتسا على طريق نانجينغ حيث الطلاب المعتقلون ، وطالبوا باطلاق سراحهم . وفتحت الشرطة البريطانية النار على المتظاهرين ، فقتلت عشرة واصابت خمسة عشر بجراحات خطيرة واعتقلت ثلاثة وخمسين . وقد عرفت هذه الحادثة باسم " مجزرة ٣٠ مايو " . وفى اعقابها ارسلت بريطانيا واليابان والولايات المتحدة وايطاليا وفرنسا سفنا حربية واعدادا كبيرة من مشاة البحرية الى شانغهاى حيث تفاقمت المجزرة ، ووصل عدد القتلى والجرحى من الصينيين الى اكثر من مائة ، على يد القوات الامبريالية .

اثارت مجزرة طريق نانجينغ هياجا عاما بين اهالى شانغهاى . ونظم الحزب الشيوعى الصينى ، استجابة لذلك ، " لجنة عمل " لقيادة نضال الشعب ضد الامبريالية . وفى ٣١ مايو ، تشكلت فى شانغهاى نقابة العمال التى مثلت ٢٠٠ الف عامل . ومنذ اول يونيو ، بدأت موجة اضرابات اشترك فيها ما يربو على ٢٠٠ الف عامل ، واغلق معظم التجار محلاتهم ، واعلن ٥٠ الف طالب الاضراب عن الدراسة . واستمرت المظاهرات وتحسن التنظيم . وفى ٧ يونيو ، نظمت نقابة العمال واتحاد الطلبة من مختلف الجامعات والمدارس ورابطات رجال الاعمال المتوسطين والصغار ، مجلسا مشتركا للعمال ورجال الاعمال والطلاب فى شانغهاى اصبح قوة قيادية فى التحرك المضاد للامبريالية . وقد رفع المجلس ١٧ مطلبا كأساس للتفاوض مع الدول المستعمرة ، بما فى ذلك المطلب العاجل لانسحاب كل القوات المسلحة الاستعمارية من الصين . وقد دشن تقديم هذه المطالب السبعة عشر زخما جديدا فى النضال ضد الاستعمار .

عم السخط ضد مجزرة ٣٠ مايو سائر انحاء الصين ، والقى العمال

ادواتهم واغلق التجار محلاتهم وتوقف الطلاب عن الدراسة . وجرت اعمال مشابهة ، احتجاجا على المجزرة وتأييدا لجماهير شانغهاى ، فى بكين وهانكو ونانجينغ وتشانغشا وتيانجين وجيوجيانغ وجينان وفوتشو وتشنغداو وتشنغتشو وكايفنغ وتشونغتشينغ وهانغتشو وتشانغجياكو . كما ساند الفلاحون الاحتجاج بالمظاهرات فى الارياف ، وجمعت الاموال لمساعدة المضربين فى شانغهاى . وحدثت صدامات دموية مع القوات والشرطة فى كثير من الانحاء . وانتشرت حركة ثورية جبارة معادية للامبريالية فى كل الصين .

تعزيز قاعدة قوانغدونغ الثورية

وصلت الحركة المعادية للامبريالية ذروتها فى قوانغدونغ وهونغ كونغ . فقد اعلن ما ينوف على ١٠٠ الف عامل فى هونغ كونغ اضرابا فى ١٩ يونيو بقيادة الحزب الشيوعى الصينى ، تأييدا لنضال عمال شانغهاى . ثم توجه عدد كبير من العمال المضربين الى قوانغتشو حيث استجاب جميع العمال فى منطقة الامتيازات البريطانية بالاضراب عن العمل . وقد عرف هذا الاضراب باسم اضراب قوانغتشو — هونغ كونغ .

وفى ٢٣ يونيو ، قام المضربون ومؤيدوهم بمسيرة حاشدة فى قوانغتشو ، ولما وصلوا الى شاجى بضواحى قوانغتشو ، اطلقت عليهم قوات البحرية والشرطة التابعة لبريطانيا وفرنسا والبرتغال ، نيران المدافع الرشاشة ، فوقع اكثر من ٢٠٠ ضحية ، وقد عرفت هذه المذبحة بمذبحة شاجى . وعلى اثرها ارتفع عدد العمال المضربين فى هونغ كونغ الى ٢٥٠ الف ، وتوجه اكثر من نصفهم الى قوانغتشو ، فأصبحت هونغ كونغ المزدهرة ميناء مهجورا فى ذلك الحين . وشكل المضربون تنظيمهم القيادى وهو لجنة اضراب قوانغتشو — هونغ كونغ ، ونظموا حرسا عماليا من ٢٠٠٠ عامل احتلوا مواقعهم فى مختلف

موانئ مقاطعه قوانغدونغ ، بتأييد من حكومة قوانغدونغ الثورية . وفرض العمال الحصار الاقتصادى على هونغ كونغ ، واقاموا محكمة لمحاكمة الخونة من عملاء الامبريالية . وقد استمر الاضراب ستة عشر شهرا ، بقيادة الحزب الشيوعى الصينى والقائدين العماليين المشهورين دنغ تشونغ شيا وسو تشاو تشنغ ، وبدعم من حكومة قوانغدونغ الثورية والفلاحين فى تلك المقاطعة . وكان هذا من اطول الاضرابات فى تاريخ الطبقة العاملة العالمية .

وهكذا تدعمت وتوطدت قاعدة قوانغدونغ الثورية وحكومتها الثورية فى قوانغتشو بفضل تأييد ما يزيد على ١٠٠ الف من المضربين المنظمين . وتشكلت الحكومة الوطنية فى قوانغتشو فى اول يوليو ١٩٢٥ ، وأعيد تنظيم مختلف الجيوش التى شاركت فى الثورة واندمجت فى الجيش الثورى الوطنى .

وسحقت حكومة قوانغدونغ الثورية والجيش الوطنى كل القوات المعادية للثورة بالمقاطعة فى بحر سنة واحدة ، ثم جرى فى فبراير واكتوبر شن الحملتين الشرقيتين ضد القوات المعادية للثورة التى يقودها تشن جيونغ مينغ والمتحصنة فى تشاوتشو وشانتو وهويتشو . وفى يونيو تم استئصال قوات يوننان وقوانغشى المرابطة بالقرب من قوانغتشو والتى كانت تخطط للقيام بالتمرد . وقد قدم العمال المنظمون بمقاطعة قوانغدونغ وكذلك الفلاحون بقيادة الجمعيات الفلاحية مساعدات طائلة للقوات الثورية فى اثناء تلك الحملات . ولعب اعضاء الحزب الشيوعى وعصبة الشبيبة الشيوعية دورا طليعيا مظفرا رائعا فى تلك الحروب ، مما عجل فى انتصاراتها الساحقة . وكان شو ان لاى مديرا عاما للدائرة السياسية لجيش الحملة الشرقية . واصبح ، بعد الاستيلاء على تشاوتشو وشانتو ، مفوضا حكوميا فى المنطقة ، حيث عمل تعبئة العمال والفلاحين ضد المسؤولين الفاسدين والطغاة المحليين والوجهاء الاشرار . وبحلول ربيع ١٩٢٦ ، كانت

مقاطعة قوانغدونغ كلها تحت سيطرة الجيش الثوري .

في ديسمبر ١٩٢٥ ، ادرك جوزيف . ف . ستالين ، مستندا الى تحليل علمي للظروف السياسية والاقتصادية وميزان القوى في الصين والعالم ، ان الثورة الصينية ستنمو بقوة لا تقدر . وكتب يقول : " ان قوى الحركة الثورية في الصين واسعة بشكل هائل ، وهي لم تظهر بجلاء كما ينبغي ولكنها ستظهر في المستقبل . وان الحاكمين في الشرق والغرب لا يرون هذه القوى ولا يقدرونها حق قدرها . " وهذا ما اكده التقدم اللاحق للقوى الثورية في الصين .

احرزت الحركة الفلاحية بمقاطعة قوانغدونغ ، تحت قيادة الحزب الشيوعي الصيني والقائد الفلاحي الشهير بنغ باي ، تقدما سريعا ، بعد حركة ٣٠ مايو . وفي مايو ١٩٢٦ ، عقد في قوانغتشو المؤتمر الثاني لممثلي فلاحي عموم قوانغدونغ . وقد اعلن في المؤتمر ان ما يربو على ٦٢٠ الف فلاح قد انضموا الى الجمعيات الفلاحية . واعتبارا من مايو ١٩٢٦ ، تولى ماو تسي تونغ مسؤولية المعهد الوطني المشهور للحركة الفلاحية في قوانغتشو . واختار الحزب الشيوعي عددا من كوادر الحركة الفلاحية من احدى وعشرين مقاطعة مع منغوليا الداخلية ، وارسلهم الى المعهد للتدريب . وقد دعي ، فضلا عن ماو تسي تونغ نفسه ، شو ان لاي وشياو تشو نيوي ويون داي ينغ وبنغ باي ولي لي سان وروان شياو شيان وغيرهم ، لالقاء محاضرات . وعاد المتدربون فور تخرجهم للعمل في مقاطعاتهم حيث اصبح كثير منهم ، فيما بعد ، كوادر اساسيين في الحركة الفلاحية .

الجناح اليميني للبرجوازية الوطنية
يخطط لاغتصاب قيادة الثورة

احتدم النضال بين البرجوازيين والبروليتاريين في داخل المعسكر الثوري

من اجل قيادة الثورة فى المدة التى اعقبت حركة ٣٠ مايو . فقد ندد الجناح اليمينى من البرجوازية الوطنية بالشيوعية والصراع الطبقى ، خوفا من تعاظم حركة العمال والفلاحين وصعود الهيبة السياسية للحزب الشيوعى . وانفصل علانية قسم من الجناح اليمينى عن الكومينتانغ وشكل " طغمة مؤتمر التلال الغربية " المعادية للثورة . (جاء هذا الاسم لأن عناصر هذا القسم عقدت مؤتمرا فى نوفمبر ١٩٢٥ لمعارضة الثورة امام ضريح صون يات صن * فى التلال الغربية خارج بكين .) واتخذ المؤتمر الوطنى الثانى للكومينتانغ المنعقد فى يناير ١٩٢٦ ، اجراء انضباطيا ضد هذه الطغمة ، وذلك بمساعدة الحزب الشيوعى والجناح اليسارى للكومينتانغ . ولكن المؤتمر لم يكن على ادراك واضح لتآمرات الجناح اليمينى الذى مثله تشيانغ كاى شيك فى داخل البرجوازية الوطنية ، لاغتصاب قيادة الثورة ، ولم يكن الحزب الشيوعى الصينى قد توصل الى فهم سليم لضرورة القيادة البروليتارية للثورة . وفى مارس ١٩٢٦ ، كتب ماو تسى تونغ مقالة « تحليل لطبقات المجتمع الصينى » التى اوضح فيها ان البروليتاريا الصناعية هى القوة القيادية فى الثورة الصينية وان الفلاحين هم حليفها الاكبر والاصلب . واشار كذلك الى ان البرجوازية الوطنية ، وهى طبقة متذبذبة ، ستتحلل فى اثناء النهوض الثورى ، وقد يصبح جناحها اليمينى عدوا للثورة . واهاب بالثوريين ان يكونوا دوما على يقظة ازاء هذه المسألة . ونقدت المقالة فى الاساس الاتجاهات الخطيرة التى سادت فى داخل الحزب ، فالانتهازيون اليمينيون و " اليساريون " فى الاجهزة القيادية للحزب ، تجاهلوا الفلاحين ولم يعرفوا اين يجدون مصدر القوة ، فظهروا عاجزين فى وجه الجناح اليمينى للكومينتانغ .

لم يقبل تشن دو شيو ، الانتهازى اليمينى وزعيم الحزب آنذاك ، آراء

* نقل رفات صون يات صن الى نانجينغ سنة ١٩٢٩ .

ماو تسى تونغ السليمة . ونتيجة لذلك ، فشلت قيادة الحزب فى اتخاذ اجراءات وقائية ضد مخططات الممثلين السياسيين للجناح اليمينى من البرجوازية الوطنية الذى اندس الى داخل المعسكر الثورى وتآمر ضد الحزب الشيوعى الصينى وضد الثورة بغية اغتصاب قيادتها . وفى ١٨ مارس ١٩٢٦ ، قام تشيانغ كاى شيك مع اتباعه بمؤامرة مبيتة حين امر السفينة الحربية "تشونغشان" التى كانت بقيادة ربان شيوعى ، بالانتقال من قوانغتشو الى هوانغبو ، ثم اشاع ، بعد ان اقلعت السفينة من قوانغتشو بناء على امره ، انها غادرت دون تخويل من السلطة ، وان مغادرتها بهدف البدء فى عصيان . وفى ٢٠ مارس ، امر تشيانغ كاى شيك قواته باعتقال كل اعضاء الحزب الشيوعى فى كلية هوانغبو الحربية وفى الجيش الاول من الجيش الثورى الوطنى ، وبمحاصرة مبانى لجنة اضراب قوانغتشو — هونغ كونغ ومقار اقامة مستشارى الكومينتانغ السوفيات ، وبارغام كل اعضاء الحزب الشيوعى على ترك صفوف الجيش الاول فى الجيش الثورى الوطنى . واتبع تشن دو شيو زعيم الانتهازيين اليمينيين الذين كانوا يشغلون مراكز قيادية فى الحزب الشيوعى الصينى ، مسلكا مساوما تجاه هذه الحادثة ، مكن تشيانغ كاى شيك من اغتصاب قيادة الجيش الثورى الوطنى .

وفى ١٥ مايو ، قدم تشيانغ كاى شيك فى الدورة الكاملة للجنة التنفيذية المركزية للكومينتانغ «قرار حول تعديل الشؤون الحزبية» ، حرم بموجبه اعضاء الحزب الشيوعى من مراكزهم القيادية فى مختلف الدوائر فى القيادة المركزية للكومينتانغ . وزاد هذا القرار من اضعاف قيادة الحزب الشيوعى فى الكومينتانغ ، بينما قدم الانتهازيون اليمينيون فى داخل الحزب الشيوعى التنازل تلو الآخر ، مشجعين فى واقع الامر مكايد الجناح اليمينى فى الكومينتانغ . واغتصب الجناح اليمينى من البرجوازية الوطنية قيادة الثورة بالتدريج ، معرضا للخطر الحركة الثورية الجبارة ضد الامبريالية والاقطاع .

التقدم المظفر للحملة الشمالية

واصلت الحركة الثورية مسيرتها الى الامام رغم تلك النكسات . وفى يوليو ١٩٢٦ ، شن الجيش الثورى الوطنى حملته الشمالية ، منطلقا من مقاطعة قوانغدونغ . وقد هاجم ، فى ثلاثة طوابير ، امراء الحرب الشماليين . وكانت هذه الحملة حربا ثورية اشترك فيها العمال والفلاحون والبرجوازية الصغيرة المدينية وشريحة من البرجوازية الوطنية ضد الامبريالية والاقطاع . وكان الحزب الشيوعى الصينى القوة الدافعة فى هذه الحرب الثورية ، بينما خطط اليمينيون وعلى رأسهم تشيانغ كاى شيك ليحلوا محل امراء الحرب الشماليين ، وحاولوا تحويل الحملة الى حرب مرتزقة من اجل السلطة وتحقيق مؤامرتهم ، خطوة خطوة ، لخيانة الثورة .

انطلق جيش الحملة الشمالية بسرعة البرق حاظيا بالتأييد الكامل من جماهير العمال والفلاحين ، وتقدمت قواته الرئيسية التى كانت فى طليعتها الفرقة المستقلة بقيادة الشيوعى يه تينغ ، عبر هونان ، ودخلت هوبى حيث خاضت حملتين شرستين عند دينغسيتشياو وخشنغتشياو ، واحتلت هانكو وهانيانغ فى ٧ سبتمبر ١٩٢٦ ووتشانغ فى ١٠ اكتوبر للعام نفسه . وفى اول يناير ١٩٢٧ ، انتقلت الحكومة الوطنية من قوانغتشو الى ووهان التى تضم ووتشانغ ، هانكو ، هانيانغ ، على نهر اليانغتسى .

وحقق جيش الحملة الشمالية فى جبهته الشرقية ، سيطرته على مقاطعة فوجيان فى ديسمبر ، ثم دخل تشيويتشو بمقاطعة تشجيانغ . واستولى بعد معارك متعددة على نانتشانغ فى ٨ نوفمبر . وفى الشمال ، تحرك الجيش الوطنى بقيادة فنغ يوى شيانغ باتجاه الجنوب من سويوان ونجح فى السيطرة على كل مقاطعة شنشى فى ديسمبر .

كانت النجاحات التى حققتها الحملة الشمالية كبيرة وسريعة بسبب ان الحرب لبت حاجة الوضع الثورى ومطلب جماهير الشعب . ويعود قسم من نجاحها ايضا الى تعاطف وتأييد شعوب الاتحاد السوفياتى والعالم قاطبة . وقد حظيت الحملة بالتأييد الفعال من العمال والفلاحين ، فسجل العمال المضربون فى قوانغتشو وهونغ كونغ اسماءهم بأعداد كبيرة للانضمام اليها عند بدايتها ، وقدم الفلاحون وعمال السكك مساعدة جلى حين دخلت قوات الحملة هونان . ولعب اعضاء الحزب الشيوعى وعصبة الشبيبة الشيوعية دورا رئيسيا وطليعيا فى وحدات الجيش ، وكافح مقاتلو الحملة ، تحت تأثيرهم ، كفاحا باسلا والتزموا بالانضباط التزاما صارما .

وتطورت حركات العمال والفلاحين على نحو سريع فى الجهات التى استولى عليها جيش الحملة الشمالية . وازدادت عضوية اتحاد العمال فى ووهان ازديادا سريعا ، فوصلت الى ٣٠٠ الف عضو ، تشكل منهم الحرس العمالى المسلح مع بداية ١٩٢٧ . وفى اوائل يناير ١٩٢٧ ،طرد عمال هانكو وجيوجيانغ ، بالعمل مع الاهالى المحليين ، المستعمرين البريطانيين ، واحتلوا واستعادوا ، بمساعدة حكومة ووهان الوطنية ، منطقة الامتيازات البريطانية فى هاتين المدينتين. وفى ٢١ مارس ، شن ٨٠٠ الف عامل بشانغهاى ، بقيادة شو ان لاى واوه يى نونغ وتشاو شى يان ، انتفاضة مسلحة ثالثة فى اعقاب محاولتين غير موفقتين فى اكتوبر ١٩٢٦ وفبراير ١٩٢٧ ، ونجحوا فى التغلب على القوات المسلحة لأمراء الحرب الاقطاعيين ، واحتلوا مدينة شانغهاى بعد نهارين وليلة من القتال الحامى الوطيس .

انتشر تأثير الحملة الشمالية فى كل حوض نهر اليانغتسى ، وبدأ يمتد الى حوض النهر الاصفر . وفى نفس الوقت ، كانت الحركة الفلاحية تتنامى فى مقاطعات الجنوب ، خصوصا فى هونان حيث انضمت عدة ملايين من

الفلاحين الى الجمعيات الفلاحية ونظمت قوات الدفاع الخاصة بهم . وقادت الجمعيات الفلاحية حركات الاطاحة بملاك الاراضى والطغاة المحليين والوجهاء الاشرار ، وصادرت اراضيهم فى بعض المناطق . واصبح شعار " كل السلطة للجمعيات الفلاحية " قيد الفعل .

آراء ستالين وماو تسى تونغ حول الثورة الصينية

اثيرت مسألة قيادة الثورة ومستقبل تطورها فى نوفمبر ١٩٢٦ عندما تعاظم انتشار الثورة فى حوض نهر اليانغتسى . وفى ذلك الوقت ، القى ستالين خطابه الشهير «آفاق الثورة فى الصين» فى الجلسة الصينية للجنة التنفيذية السابعة للأممية الشيوعية . وقد لفت الانتباه الى ضعف البرجوازية الوطنية الصينية والخطر الشديد للتدخل الامبريالى ضد الثورة من طرف القوى المعادية . وحث الشيوعيين الصينيين على مضاعفة يقظتهم . واشار ستالين الى ان النضال المسلح هو السمة الرئيسية للثورة الصينية . واعلن انه لمن المهم جدا ان يكون لدى الشيوعيين الصينيين قوات ثورية حقيقية ، وان يدرسوا فن الحرب ؛ وعلاوة على ذلك ، فمن الضرورى تعميق الثورة فى الريف ، لتحقيق مطالب الفلاحين وتعزيز الجبهة المتحدة ضد الامبريالية ؛ واشار ستالين ايضا الى انه ينبغى ان تنهض البروليتاريا وتمسك بزمام القيادة فى الثورة ؛ وان المهمة الاساسية للحزب الشيوعى الصينى هى النضال من اجل مستقبل غير رأسمالى للثورة الصينية .

اوصل النهوض الواسع للحركة الفلاحية التى تمركزت فى مقاطعة هونان ، الصراع بين الثورة والثورة المضادة الى ذروته فى اوائل ١٩٢٧ . وكانت المسألة الحاسمة هى ما اذا كان على البروليتاريا ان تسند وتقود الحركة الفلاحية . وفى هذا المنعطف ، ارسلت اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الصينى ماو تسى تونغ الى هونان لاجراء التحقيقات فى الحركة الفلاحية . وفى مارس ١٩٢٧ ، كتب

مؤلفه « تقرير عن تحقيقات فى الحركة الفلاحية فى هونان » الذى اكد على الدور الهام للفلاحين فى الثورة الصينية . واشار الى انه يتوجب على الثوريين ان يضعوا انفسهم بحزم على رأس الحركة الفلاحية ، يساندونها ويقودونها . ودحض وندد بالرجعيين الذين اتهموا الحركة الفلاحية بارتكاب الفظائع ، واشار الى ان الطغاة المحليين والوجهاء الاشرار وملاك الاراضى الخارجين على القانون كانوا هم قاعدة الحكم الاستبدادى منذ آلاف السنين وحجر الزاوية الذى ترتكز عليه الامبريالية وامراء الحرب والموظفون الفاسدون ؛ وان الهدف الحقيقى للثورة الصينية هو الاطاحة بالقوى الاقطاعية . وكان رأيه ان طبقة ملاك الاراضى عميقة الجذور ، وان الاطاحة بها لا يمكن تحقيقها الا باسلاس زمام الحرية للفلاحين لخوض نضال ثورى شامل ضد الاقطاع . واشار الى وجوب تأسيس سلطة سياسية فلاحية وجيش فلاحى لحماية وتطوير انتصارات الثورة ، بعد الاطاحة بسلطة ملاك الاراضى . وكانت آراء ماو تسى تونغ على تباين صارخ مع آراء الاستسلاميين فى داخل الحزب الشيوعى بزعامة تشن دو شيو الذى ادعى ان الحركة العمالية والفلاحية قد " تجاوزت الحد " .

ولو كانت الآراء القيمة لستالين وماو تسى تونغ قد لقيت القبول لدى قادة الحزب الشيوعى الصينى فى ذلك الوقت ، لكان ممكنا للثورة تحاشى الهزيمة والتطور باتجاه النصر .

رجعيو الكومينتانغ يخونون الثورة

ارتعدت البرجوازية الوطنية من التقدم الجبار الذى احرزته الحركات الفلاحية والعمالية . وفى ٢٤ مارس ١٩٢٧ ، قصف الامبرياليون مدينة نانجينغ التى حررها جيش الحملة الشمالية ، تحت ذريعة انتهاك حقوق مواطنيهم ومستشاريهم بالمدينة . كما ارسلوا تعزيزات الى شانغهاى لتخويف البرجوازية

الوطنية . وكانت طغمة تشيانغ كاى شيك التى مثلت الجناح اليمينى من هذه البرجوازية ، تعمل يدا بيد مع الامبرياليين وقوى الاقطاع والكومبرادور فى شانغهاى حيث اتخذ تشيانغ كاى شيك اجراءات دموية لقمع الحركة الثورية . وفى ١٢ ابريل ١٩٢٧ شن انقلابا عسكريا معاديا للثورة فى شانغهاى ، ارتكب فى اثنائه مجزرة بحق كثير من العمال واعضاء الحزب الشيوعى . واعقب ذلك مزيد من الهجمات المعادية للثورة فى قوانغتشو ونانجينغ وهانغتشو ونينغبوه وفوتشو ، حيث اعتقلت او قتلت اعداد كبيرة من العمال والفلاحين واعضاء الحزب الشيوعى . وكان الحزب الشيوعى الصينى ، بسبب اخطاء خط تشن دو شيو ، يفتقر الى اليقظة ، وفشل فى اتخاذ اجراءات وقائية ضد خيانة رجعيى الكومينتانغ . ولذا عجزت القوات الثورية عن تنظيم مقاومة فعالة ضد هذا الهجوم المباغت ومنيت بنكسة شديدة .

تعرضت الحرب الاهلية الثورية الاولى لهزيمة جزئية نتيجة للانقلاب العسكرى المعادى للثورة فى ١٢ ابريل . ثم انحازت البرجوازية الوطنية نهائيا الى جانب الامبريالية وطبقتى كبار ملاك الاراضى والكومبرادور ، وانسحبت من الثورة . وسرعان ما اصبحت طغمة تشيانغ كاى شيك هى الاداة الجديدة فى يد المستعمرين وطبقتى كبار الملاك والكومبرادور الذين اقاموا حكومة معادية للثورة فى نانجينغ . ومع انسحاب البرجوازية الوطنية ، اصبح المعسكر الثورى مكونا من ثلاث طبقات بدلا من اربع . ودخل النضال الثورى مرحلة حرجة جدا.

عقد الحزب الشيوعى الصينى مؤتمره الوطنى الخامس فى ووهان فى ٢٧ ابريل ١٩٢٧ . وحضره ٨٠ مندوبا يمثلون ٥٧٫٩٦٧ عضوا . ومع ان المؤتمر انتقد اخطاء تشن دو شيو الانتهازية اليمينية ، الا انه اعاد انتخابه فى منصب الامين العام للحزب ، وكانت النتيجة ان واصل تشن دو شيو ، بعد المؤتمر ، خطه الخاطئ فى الاستسلام الطبقى . وفشل المؤتمر فى حل المسائل التى

تتطلب حلولا ملحة وهى مسألة توزيع الاراضى على الفلاحين وكيفية السلوك مع الكومينتانغ فى ووهان ، وتعزيز السلطة الثورية ، وتسليح العمال والفلاحين ، ووضع سياسة اقتصادية .

واصلت الحركة الثورية للطبقة العاملة والفلاحين فى مقاطعتى هونان وهوبى اللتين كانتا تحت سيطرة حكومة ووهان الثورية ، التطور والنمو بعد المؤتمر ، بينما شنت طبقة ملاك الاراضى والبرجوازية ، بدعم من الامبرياليين وطغمة تشيانغ كاى شيك المعادية للثورة ، عددا من التمردات المعادية للثورة . وفى ١٧ مايو ، نظم الضابط الرجعى شيا دو ين تمردا فى هوبى ، ولكن قوات يه تينغ قمعته . وفى ٢١ مايو ، نظم شيوى كه شيانغ وهو ضابط رجعى آخر ، انقلابا عسكريا فى تشانغشا بمقاطعة هونان حيث تعرض كثير من العمال والفلاحين والكوادر للتذبيح . واصدرت طغمة وانغ جينغ وى فى ووهان توجيهات عديدة لقمع الحركة الثورية الشعبية . ولم ينظم الاستسلاميون بزعامة تشن دو شيو اى مقاومة لهذه النشاطات المعاكسة ، بل اصدروا امرا بنزع سلاح العمال والفلاحين ، وحاولوا بالمساومة والتنازلات كسب تأييد وانغ جينغ وى ، متغاضين عن مبدأ قيادة الحزب الشيوعى للثورة . بيد ان الاحداث اللاحقة دلت على عكس توقعاتهم تماما . فقد قامت طغمة وانغ جينغ وى فى ١٥ يوليو بانقلاب عسكرى معاد للثورة ، وانطلق على الفور يحظر كل المنظمات الجماهيرية وينفذ اعتقالات ومذابح واسعة النطاق للشيوعيين والعمال والفلاحين . وهكذا فشلت الحرب الاهلية الثورية الاولى التى قام بها الشعب الصينى بمثل هذه القوة الحيوية .

يعود الفشل الى حقيقة ان القوى المعادية للثورة — القوات المتحالفة للامبريالية وطغمة الكومينتانغ الرجعية — كانت اقوى بكثير من القوى الثورية فى ذلك الوقت ؛ والى معارضة الانتهازيين اليمينيين فى قيادة الحزب الشيوعى

بزعامة تشن دو شيو ، للمقترحات السديدة للرفاق الذين يمثلهم ماو تسى تونغ فى داخل الحزب . ومهما يكن من امر ، كانت احداث تلك السنة درسا بليغا للثوريين ، فقد ساعدت الشعب الصينى على الادراك بأن الامبريالية والقوى الاقطاعية يمكن الاطاحة بهما ، وبأن الحزب الشيوعى الصينى هو القوة الاساسية التى تكافح وتضحى فى سبيل مصالح الشعب ، وهو امل الامة الصينية . وسلحت الثورة ايضا الطبقة العاملة الصينية والحزب الشيوعى الصينى بتجربة ودروس عملية غنية ، وربت وصلبت اعدادا كبيرة من كوادر الحزب الذين واصلوا قيادة الثورة الى الامام . ويمكن وصف الحرب الاهلية الثورية الاولى بأنها " تمرينات " للثورة الديمقراطية ، وقد بينت طريق النصر للطبقة العاملة والشعب الصينى .

٢ــ الحرب الاهلية الثورية الثانية
(اغسطس ١٩٢٧ــيونيو ١٩٣٧)

جرائم رجعيى الكومينتانغ

بعد هزيمة الحرب الاهلية الثورية الاولى ، انحازت البرجوازية الوطنية الى جانب طبقة الكومبرادور وتحولت الى المعسكر المعادى الذى انحاز اليه ايضا قسم من البرجوازية الصغيرة . اما الطبقات التى استمرت فى الكفاح الثورى فكانت هى الطبقة العاملة والفلاحين والبرجوازية الصغيرة المدينية الفقيرة . واقام الامبرياليون والقوى الاقطاعية وطبقة الكومبرادور ، مستخدمين طغمة الكومينتانغ الرجعية كأداتهم الجديدة ، دكتاتورية عسكرية معادية للثورة ــ حكم امراء الحرب الجدد الكومينتانغيين بدلا من امراء الحرب الشماليين.

واستسلمت الطغمة الجديدة بزعامة تشيانغ كاى شيك للامبريالية ، وكان سندها الرئيسى المستعمرين الامريكان والبريطانيين ، ولو انها انصاعت فى نفس الوقت للامبرياليين اليابانيين .

وانعكست الصراعات بين الامبرياليين من اجل السيطرة على السوق الصينية ، فى الحروب التى استمرت آنذاك لسنوات بين مختلف الطغم من امراء حرب الكومينتانغ الجدد الذين نشبت بينهم سبع حروب واسعة النطاق خلال ثلاث سنين من اكتوبر ١٩٢٧ الى ١٩٣٠ . ففى اكتوبر ١٩٢٧ ، نشب قتال بين تشيانغ كاى شيك ولى تسونغ رن فى نانجينغ من جانب ووانغ جينغ وى وتانغ شنغ تشى فى ووهان من جانب آخر . وفى نوفمبر ، انفجرت الاشتباكات بين امراء حرب قوانغدونغ وقوانغشى فى سبيل السيطرة على مقاطعة قوانغدونغ . وفى فبراير ١٩٢٨ ، اندلعت معركة كبرى للسيطرة على شمال الصين بين تشيانغ كاى شيك ولى تسونغ رن ويان شى شان وفنغ يوى شيانغ من جانب ، وتشانغ تسوه لين من الجانب الآخر . ولقيت الجماعات الاولى التأييد من بريطانيا والولايات المتحدة ، اما تشانغ تسوه لين فحظى بالتأييد من اليابانيين . وفى مارس ١٩٢٩ ، نشبت حرب بين تشيانغ كاى شيك ولى تسونغ رن للسيطرة على الصين الوسطى . فى اكتوبر من نفس السنة ، اعلن تشيانغ كاى شيك الحرب على فنغ يوى شيانغ ، وتعرض تشيانغ بعد شهرين للهجوم من قبل تانغ شنغ تشى وشى يو سان . وفى ابريل ١٩٣٠ ، شن تشيانغ حربا واسعة النطاق فى خنان ضد يان شى شان وفنغ يوى شيانغ . وحدثت اشتباكات مستمرة ايضا بين امراء الحرب الاقل شأنا فى يوننان وقويتشو وسيتشوان وشاندونغ . ويقدر عدد القتلى فى هذه الحروب بنصف مليون .

انتهت كل هذه الحروب لصالح تشيانغ كاى شيك بسبب ما حصلت عليه زمرته من مساعدات هائلة من الولايات المتحدة وبريطانيا ، فضلا عن

المؤازرة المحلية من اقطاب المال فى جيانغسو وتشجيانغ وشانغهاى . لقد ساعدت الدول الامبريالية نظام تشيانغ كاى شيك المركزى الرجعى لأنها اعتبرته اداة لقمع الثورة واستغلال الشعب الصينى . واتبعت من الجهة الاخرى ، سياسة التجزئة بتحريضها وتشجيعها لأمراء الحرب المحليين فى قوانغدونغ وقوانغشى وسينشوان وشمال غربى الصين وشمال شرقيها ليتمتعوا بوضع شبه مستقل ويتحدوا جهارا ويشنوا الحرب ضد حكومة نانجينغ .

كانت الطغمة الحاكمة الرجعية الكومينتانغية بزعامة تشيانغ كاى شيك خليطا من ملاك الاراضى والكومبرادور وامراء الحرب والبيروقراطيين والعصابات ورعاع حزب الكومينتانغ ، وكانت تحظى بتأييد ملاك الاراضى والكومبرادور وخصوصا اقطاب المال فى جانغسو وتشجيانغ . وكان نظامها فى جوهره غير مختلف عن نظام امراء الحرب الشماليين سوى ان امراء الحرب الجدد الذين حلوا محل امراء الحرب الشماليين ، استخدموا مبادئ الشعب الثلاثة وراية الكومينتانغ غطاء لحكمهم الفاشى الذى هو اسوأ واشرس من حكم امراء الحرب الشماليين .

نفذ هذا الحكم الرجعى الاشد وحشية فى العالم مذابح همجية فى زهرات الأمة الصينية من الشيوعيين والشبيبة الثورية . فقد قتل مايون ثورى على الاقل فى السنوات الاربع او الخمس التى اعقبت هزيمة الثورة فى ١٩٢٧ . وكان من بينهم قادة مرموقون فى الحزب الشيوعى مثل قوه ليانغ وتساى خه سن وتشن يان نيان وتشاو شى يان وشياو تشو نيوى ويون داى ينغ وشيانغ جينغ يوى وشيونغ شيونغ وينغ باى ولوه دنغ شيان ولوه يى نونغ ووانغ خه بوه وتشن تشياو نيان وشيا مينغ هان وسون بينغ ون وخه منغ شيونغ .

لكن الشعب الصينى والشيوعيين الصينيين لم يستكينوا رغم الاجراءات الدموية التى لجأت اليها طغمة تشيانغ كاى شيك .

انتفاضة اول اغسطس وتأسيس
القاعدة الثورية فى جبال جينغقانغ

نظم شو ان لاى وتشو ده وخه لونغ ويه تينغ وليو بوه تشنغ انتفاضة نانتشانغ بمقاطعة جيانغشى فى اول اغسطس ۱۹۲۷ بناء على قرار اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الصينى ، انقاذا للوضع وواصلة للنضال الثورى . وتمخضت هذه الانتفاضة التى اشترك فيها ما يزيد على ۳۰ الف مناضل ، عن تأسيس جيش شعبى تحت قيادة الحزب الشيوعى ، ورفعت راية ثورية جبارة ضد الامبريالية وحكم الكومينتانغ الرجعى ، لكن القوات المشاركة فى الانتفاضة توجهت الى الجنوب نحو مقاطعة قوانغدونغ بدلا من الاندماج مع قوات الحركة الفلاحية فى جيانغشى . وعبرت فوجيان واحتلت تشاوتشو وشانتو فى قوانغدونغ . وتعرضت فى اوائل اكتوبر لهزيمة فى معركة مع قوات كومينتانغية متفوقة عليها فى العدد ، فانتقل قسم من القوات المهزومة الى منطقة هايفنغ- لوفنغ ، حيث انضم الى الوحدات المسلحة الفلاحية المحلية . ووصلت مجموعة اخرى تضم حوالى ۱٫۰۰۰ من المحاربين الاشداء بقيادة تشو ده وتشن يى الى جنوبى هونان عبر طريق طويل متعرج . وهناك ، قادت سلسلة من الانتفاضات الفلاحية ادت الى زيادة عددها الى اكثر من ۹ آلاف مناضل . وفيما بعد ، قاد تشو ده وتشن يى قواتهما الى جبال جينغقانغ حيث توحدا مع القوات التى يقودها ماو تسى تونغ . وشكلت هذه القوات نواة اول جيش احمر للعمال والفلاحين فى الصين .

وفى ۷ اغسطس ، دعا الحزب الشيوعى الى عقد اجتماع طارئ للجنة المركزية فى هانكو تقررت فيه معارضة الخط الاستسلامى اليمينى لتشن دو شيو ، وتشكيل لجنة قيادية جديدة . كما تقرر فى الاجتماع ان يتولى الحزب

قيادة الجماهير لمواصلة النضال ضد الامبريالية والاقطاع ، واسناد الفلاحين فى مقاطعات هونان وهوبى وقوانغدونغ وجيانغشى فى عملية توزيع اراضى الملاك ، وتنظيم انتفاضات مسلحة للاطاحة بحكم الكومينتانغ الرجعى .

وبعد اجتماع ٧ اغسطس ، اوفدت اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الصينى ماو تسى تونغ الى شرقى هونان وغربى جيانغشى لتنظيم انتفاضة فى موسم حصاد الخريف ، والاعداد للهجوم على تشانغشا ، حاضرة مقاطعة هونان . وبحاول شهر سبتمبر ، اخذ ماو تسى تونغ يلم الجيوش الفلاحية التى كانت قد شاركت فى الانتفاضة فى بينغجيانغ وليويانغ ، وعمال منجم آنيوان ، وفوج قوات الحراسة للحكومة الوطنية السابقة فى ووتشانغ ، واعاد تنظيمها فى الفرقة الاولى التابعة للفياق الاول لجيش العمال والفلاحين الثورى . وهاجمت هذه القوات ، قبل توجهها الى تشانغشا ، ليلينغ وليويانغ وبينغجيانغ ، ولكنها عانت من النكسات . وقرر ماو تسى تونغ الذى لم الجنود المهزومين فى ونجياشى ، ان يتخلى عن خطة مهاجمة تشانغشا . فتحرك هو ورجاله باتجاه القطاع الاوسط من سلسلة جبال لوشياو ليبدأوا حرب العصابات . وفى اكتوبر ، قاد ماو تسى تونغ قواته ، بعد مواجهة عدد من الصعوبات ، الى منطقة جبال جينغقانغ على الحدود بين هونان وجيانغشى . وهناك اقام اول قاعدة ثورية ريفية .

وفى ١١ ديسمبر ، قاد تشانغ تاى لى ويه تينغ ويه جيان ينغ ونيه رونغ تشن واعضاء آخرون من لجنة مقاطعة قوانغدونغ التابعة للحزب الشيوعى ، انتفاضة مسلحة اشترك فيها ما بين ٥٠–٦٠ الف عامل وجندى فى قوانغتشو ، واقيم فى تلك المدينة نظام ثورى شعبى . لكن هذه الانتفاضة قمعت على يد القوات المسلحة للامبرياليين ورجعيى الكومينتانغ .

كانت انتفاضة قوانغتشو تحركا شعبيا آخر وجه ضربة قاسية لطغمة الكومينتانغ

الرجعية فى اعقاب انتفاضتى نانتشانغ وحصاد الخريف . ورغم انها انتهت الى الفشل ، الا انها سجلت بداية ذات مغزى فى تأسيس الجيش الاحمر شأن الانتفاضتين السابقتين .

انضمت القوات التى كان يقودها تشو ده ، الى القوات التى كانت تحت قيادة ماو تسى تونغ ، فى ابريل ١٩٢٨ . واطلق على القوات الجديدة التى كانت تنوف على عشرة آلاف مقاتل ، اسم الجيش الرابع لجيش العمال والفلاحين الاحمر الصينى . وهذه القوات المشكلة من العمال والفلاحين تحت قيادة البروليتاريا ، كانت نمطا جديدا كل الجدة . كان تشكيلها حدثا هاما فى تاريخ الثورة الصينية . وخاض الجيش الرابع الجديد حرب عصابات فى المناطق المجاورة لجبال جينغقانغ ، وعبأ الفلاحين لتنفيذ توزيع الاراضى واقامة نظام ديمقراطى للعمال والفلاحين ، وسحق ثلاث حملات تطويق قامت بها قوات امراء حرب هونان وجيانغشى .

كشفت قيادة ماو تسى تونغ للقوات المسلحة الثورية فى جبال جينغقانغ عن مغزى تاريخى عظيم . فقد جمعت بين التراجع المنظم من المدن ، نتيجة لفشل الثورة ، والهجمات الجديدة على المراكز الريفية . وقد اشار ماو تسى تونغ فى مقالته الشهيرة « لماذا يمكن قيام سلطة سياسية حمراء فى الصين ؟ » المنشورة فى اكتوبر ١٩٢٨ ، الى ان الانقسامات والحروب المتواصلة بين امراء الحرب ، فى بلد شبه مستعمر كالصين ، قد خلقت فجوات تهيئ للسلطة السياسية الحمراء فرصة لتبرز وتبقى فى الريف ، رغم تطويق النظام الابيض . واشار ايضا الى انه يمكن تطوير القواعد الثورية الريفية تدريجيا وتوسيعها بعد امد طويل من الحرب الثورية لتطويق المدن وتحقيق انتصار الثورة على نطاق الامة فى الاخير ، وذلك تحت القيادة الصائبة للحزب وبالدمج بين الحروب التى يخوضها الجيش الاحمر وبين الثورة الزراعية وتأسيس

القواعد الريفية . وقد اشارت هذه النظرية الماركسية الخلاقة لماو تسى تونغ الى طريق جديد وسديد لتطوير الثورة الصينية .

تطور القواعد الثورية

عقد المؤتمر الوطنى السادس للحزب الشيوعى الصينى فى موسكو فى يوليو ١٩٢٨ ، وحضره ٨٤ مندوبا يمثلون اكثر من ٤٠ الف عضو . وقد لخص الحزب تجارب ودروس فترة الحرب الاهلية الثورية الاولى ، واكد على ان المجتمع الصينى ما زال ، بعد هزيمة الثورة ، مجتمعا شبه مستعمر وشبه اقطاعى ، وان الثورة الصينية ما زالت ثورة ديمقراطية برجوازية ضد الامبريالية والاقطاع . واشار المؤتمر الى ان الوضع السياسى كان آنذاك جزرا بين نهوضين ثوريين ، وان مهمة الحزب العامة ليست شن هجمات ولا تنظيم انتفاضات ، بل المهمة هى كسب الشعب لاستقبال النهوض القادم . وقد اجاز المؤتمر برنامجا من عشر نقاط للثورة الديمقراطية الصينية .

وفى ربيع ١٩٢٩ ، قاد ماو تسى تونغ وتشو ده الجيش الرابع من جيش العمال والفلاحين الاحمر الصينى الى جنوبى جيانغشى . وهناك عبأ الشعب لخوض حرب عصابات واقاما قاعدة جنوبى جيانغشى الثورية . وقد تحرك هذا الجيش بين مارس وديسمبر الى فوجيان ثلاث مرات للاندماج مع المنظمات الحزبية وقوات الانتفاضة فى غربى فوجيان بقيادة قوه دى رن ودنغ تسى هوى وتشانغ دينغ تشنغ . واقاموا معا قاعدة غربى فوجيان . وفى يوليو ١٩٢٨ ، قاد بنغ ده هواى وتنغ داى يوان وهوانغ قونغ ليوه انتفاضة بينغجيانغ ونظموا الجيش الاحمر الخامس وانشأوا قاعدة هونان — هوبى — جيانغشى . وفى شتاء ١٩٢٧ ، نظم فانغ تشى مين وشاو شى بينغ وهوانغ داو انتفاضة ييانغ — هنغفنغ . وفى صيف ١٩٣٠ ، اسسوا الجيش الاحمر العاشر واقاموا قاعدة

فوجيان – تشجيانغ – جيانغشى التى تطورت فيما بعد الى القاعدة الثورية المركزية . وتأسس جيش الجبهة الاولى الاحمر البالغ عدده ٣٠٫٠٠٠ مقاتل ، وكان قائده تشو ده ومفوضه السياسى العام ماو تسى تونغ . وفى المدة من نوفمبر ١٩٢٧ الى نوفمبر ١٩٢٨ ، تطورت قوات حرب العصابات التى تشكلت فى انتفاضة هوانغآن – ماتشنغ بقيادة وو قوانغ هاو وبان تشونغ رو وداى كه مين ووو هوان شيان وفى اثناء انتفاضة شانغتشنغ – ليوآن بقيادة تشو وى جيونغ وتشى ده وى وشيوى تشى شو ، الى ثلاث فرق عسكرية حمراء نشطت فى شرقى هوبى وغربى آنهوى وجنوبى خنان على التوالى . وتوحدت هذه المناطق معا تحت قيادة تسنغ تشونغ شنغ وشيوى جى شن فى قاعدة هوبى – خنان – آنهوى ، كما تم توحيد القوات فى الجيش الاحمر الاول ، فى ربيع ١٩٣٠ . وفيما بعد ، شكل هذا الجيش والجيش الاحمر الخامس عشر فى هوبى الوسطى مجموعة الفيالق الرابعة الحمراء بقيادة شيوى شيانغ تشيان . وفى ربيع ١٩٢٨ ، عاد خه لونغ وتشو يى تشيون ولو دونغ شنغ وآخرون الى منطقة الحدود بين هونان وغربى هوبى للالتقاء مع قوات العصابات تحت قيادة خه جين تشاى ودوان ده تشانغ ودوان يوى لين الذين كانوا يخوضون غمار نضال باسل هناك ، وانشأوا الجيش الاحمر الرابع (الجيش الاحمر الثانى فيما بعد) والجيش الاحمر السادس الذى كان نشيطا على طول حدود هونان – هوبى وفى منطقة بحيرة هونغتسه . وبعد سنتين ، اى فى سنة ١٩٣٠ ، انضم هذان الجيشان الى بعضهما فى قونغآن ليصبحا مجموعة الفيالق الثانية الحمراء ، واقاما قاعدة هونان – غربى هوبى . وكان خه لونغ هو القائد العام وتشو يى تشيون هو المفوض السياسى لهذه المجموعة العسكرية . وقاد دنغ شياو بينغ وتشانغ يون يى ولى مينغ روى ويوى تسوه يوى الجيوش التى كانت تحت نفوذ الحزب ، والقوات الفلاحية تحت قيادة

وى يا تشيون ، فى انتفاضات فى بايسه على نهر يوجيانغ ولونغتشو على نهر تسوجيانغ فى قوانغشى ، وذلك من ديسمبر ١٩٢٩ الى فبراير ١٩٣٠ . ونظموا قوات الانتفاضة فى الجيشين الاحمرين السابع والثامن ، واقاموا حكومة العمال والفلاحين الديمقراطية هنالك . وفى ربيع ١٩٢٨ ، نظم ليو تشى دان وشيه تسى تشانغ انتفاضة وينان — هواشيان ، وشنا حرب عصابات فى قوانتشونغ وشمالى شنشى . لقد اسس الحزب الشيوعى الصينى ، بين ١٩٢٩ — ١٩٣٠ ، ما مجموعه من ١٥ قاعدة ثورية كبيرة وصغيرة فى هونان وجيانغشى وفوجيان وهوبى وآنهوى وقوانغدونغ وقوانغشى وخنان ومقاطعات اخرى . وكانت جيانغشى مركز هذه القواعد .

نفذ الفلاحون فى حماسة ، تحت قيادة الحزب الشيوعى الصينى ، الثورة الزراعية فى المناطق التى تأسست فيها السلطة السياسية الديمقراطية للعمال والفلاحين ، وفى المناطق التى وصل اليها الجيش الاحمر . وانطلقت الثورة الزراعية على ضوء الخطوط التى وضعتها المنظمة الحزبية وماو تسى تونغ ، وهى الاعتماد على الفلاحين الاجراء والفلاحين الفقراء ، والاتحاد مع الفلاحين المتوسطين ، وتقييد الفلاحين الاغنياء ، واستئصال طبقة ملاك الاراضى . وتبنى ماو تسى تونغ سياسة مصادرة اراضى وثروات الملاك بلا تعويض ، وتوزيعها على الفلاحين الذين لا يملكون سوى القليل او ليس لهم اى قدر من الاراضى ، وتوفير وسائل انتاج مناسبة للفلاحين الاغنياء وتهيئة سبل العيش لملاك الاراضى العاديين . وهكذا تمت الاطاحة كليا بالنظام الاقطاعى وشبه الاقطاعى ، ونشط الفلاحون الذين تحرروا من الاستغلال ، وتماسكوا فى دفاعهم عن القواعد الثورية وآزروا الجيش الاحمر . وتمكنت المناطق الحمراء من مواصلة البقاء ردحا طويلا ، واستطاع الجيش الاحمر ان يواصل كسب الانتصارات بفضل التعاون الفعال من الفلاحين اساسا .

تعاظمت قوة جيش العمال والفلاحين الاحمر الصينى فى ظل القيادة السديدة للحزب الشيوعى الصينى وتأييد جماهير الفلاحين . وبحاول ۱۹۳۰ ، كانت هناك ١٣ فيلقا من الجيش الاحمر ، تعدادها الاجمالى ٦٠ الف مقاتل ، فى مختلف بقاع البلاد . واكدت مبادئ بناء الجيش الاحمر على انه كان جيشا من العمال والفلاحين تحت القيادة المطلقة للحزب الشيوعى الصينى ؛ وانه قوة تسترشد بالايديولوجيا الطبقية البروليتارية ؛ وانه يخدم الشعب فى نضاله وفى تأسيس القواعد الثورية . كان هذا الجيش جيشا ديمقراطيا يناوئ التوجه نحو نزعة الامير — حرب واساليب التمردات الجوالة . وتضمنت مبادئ الجيش الاحمر الاستراتيجية والتكتيكية مبدأ استغلال نقاط ضعف العدو ونقاط قوة الجيش الاحمر افضل استغلال ، والاعتماد على قوة الشعب بالكامل ؛ ووجوب استخدام حرب العصابات والحرب المتحركة ذات طبيعة حرب العصابات كشكل قتالى اساسى ؛ واستراتيجية الحرب الطويلة الامد لدحر الفئة الكثيرة بالفئة القليلة ، وكانت تكتيكاتها هى خوض حروب سريعة الحسم لهزيمة القلة بالكثرة ، لكى يتم التغلب على العدو وتطوير قوتنا ، واستطاع جيش العمال والفلاحين الاحمر الصينى ، بوصفه جيشا يجرى بناؤه وخوضه للحروب وفقا للخط العسكرى الذى رسمته اللجنة العسكرية للجنة الحزب المركزية وماو تسى تونغ ، ان ينمو من قوة صغيرة ضعيفة الى قوة كبيرة ضاربة ، وان يصبح فى الاخير قوة عصية على التدمير ومنيعة وقادرة على هزيمة العدو .

كانت السرعة التى تطور بها الجيش الاحمر تحديا خطيرا لحكم تشيانغ كاى شيك الكومينتانغى الرجعى الذى بدأ فى ديسمبر ۱۹۳۰ شن حملات للتطويق والابادة واسعة النطاق ، على القاعدة المركزية فى جيانغشى . لكن جيش العمال والفلاحين الاحمر ، تحت توجيه المنظمة الحزبية فى

القاعدة المركزية وماو تسى تونغ ، سحق ثلاث حملات متتالية من يناير الى سبتمبر ١٩٣١ . وكانت النتيجة ان تزايدت قوته وتوسعت القاعدة الثورية .

عقد المؤتمر الوطنى الاول لمندوبى العمال والفلاحين فى نوفمبر ١٩٣١ فى رويجين بمقاطعة جيانغشى . وتبنى المؤتمر مشروع الدستور وقانون العمل وقانون الارض ، واتخذ قرارات هامة كثيرة تتعلق بالجيش الاحمر والسياسة الاقتصادية ودور العمال والفلاحين فى الادارة والسياسة الخاصة بالأقليات القومية . وقد انتخب المؤتمر ماو تسى تونغ رئيسا للمجلس التنفيذى للحكومة الديمقراطية المركزية الصينية للعمال والفلاحين ، وعين تشو ده قائدا عاما للجيش الاحمر .

احتلال اليابان لشمال شرقى الصين
والنضال الشعبى ضد العدوان اليابانى

غرق العالم الرأسمالى فى ازمة اقتصادية حتى اذنيه بنهاية سنة ١٩٢٩ ، ولجأت الرأسمالية الاحتكارية ، باحثة عن مخرج ، الى الدكتاتورية الفاشية ، فكثفت من قمعها للطبقة العاملة ، وشنت حروبا جديدة لاعادة توزيع المستعمرات ومجالات النفوذ . وبدأت الامبريالية اليابانية ، انطلاقا من " سياستها القارية " التى استهدفت اولا احتلال شمال شرقى الصين ومنغوليا الداخلية ، ثم كل الصين وبقية آسيا ، حملتها العدوانية لاحتلال شمال شرقى الصين . وقد شنت القوات اليابانية هجوما مباغتا على شنيانغ فى ١٨ سبتمبر ١٩٣١ : وتبنى كومينتانغ تشيانغ كاى شيك سياسة " عدم المقاومة " ، فكانت النتيجة ان احتل اليابانيون ، فى بحر ثلاثة اشهر ، المقاطعات الثلاث فى شمال شرقى الصين وهى لياونينغ وجيلين وهيلونغجيانغ التى تبلغ مساحتها مليون كيلومتر مربع ، ونفوسها اكثر من ٣٠ مليونا . وفى العام التالى ، اقام الامبرياليون

اليابانيون حكومة منشوريا العميلة .

لقد احدث استيلاء اليابان على شمال شرقى الصين غليانا جديدا فى الحركة الشعبية للاستقلال الوطنى والديمقراطية . وكان الحزب الشيوعى وجيش العمال والفلاحين الاحمر اول من رفع شعار المقاومة ضد اليابان . فتلقف الشعب هذا النداء وطالب بالعمل ضد العدوان اليابانى . فنظمت فى الشمال الشرقى قوات متطوعين لتنفيذ المقاومة ضد اليابان ، ونظم العمال فى شانغهاى وقوانغتشو وهونغ كونغ ومراكز اخرى ، اضرابات ضد اليابان ، وحدثت مقاطعة طوعية على نطاق الامة للسلع اليابانية . ونظم الشعب احتشادات جماهيرية ومظاهرات فى عديد من المدن والبلدات ضد اليابان .

واحدث العدوان اليابانى على الصين تغيرات فى العلاقة بين مختلف الطبقات فى البلاد . فأخذت البرجوازية الوطنية التى اعتمدت آنذاك على كومينتانغ تشيانغ كاى شيك ، تبدى عدم الرضا عن سياسته المتمثلة فى "عدم المقاومة" . واحتشد فى نانجينغ ٣٠ الف طالب من شانغهاى وبيبينغ وتيانجين ونانجينغ نفسها احتجاجا على بيع الكومينتانغ لشمال شرقى الصين ، وطالبوا بالمقاومة ضد اليابان ، وذلك فى ديسمبر ١٩٣١ . ولكن تشيانغ كاى شيك واجههم بالقمع . فأثار هذا الاجراء الدموى السخط بين الشعب فى كافة قطاعات المجتمع .

ولعبت الدول الامبريالية البريطانية والفرنسية والامريكية دور الشريك فى العدوان اليابانى على الصين ، فشكلت لجنة من عصبة الامم للقيام بما يسمى "التحقيق" فى مكان الحادث ، واوصت اللجنة بعد هذا "التحقيق" ان يوضع شمال شرقى الصين تحت "سيطرة دولية" . وكانت هذه التوصية تشجيعا لليابان على مهاجمة الاتحاد السوفياتى . وكان الاتحاد السوفياتى ، تحت قيادة ستالين ، هو البلد الوحيد الذى تمسك بالعدالة وندد بالعدوان

اليابانى تنديدا حازما .

شن الامبرياليون اليابانيون ، فى محاولة لاخضاع الصين بضربة واحدة ، هجوما مفاجئا على شانغهاى فى ٢٨ يناير ١٩٣٢ . فقاومت قوات جيش الطريق التاسع عشر بقيادة تساى تينغ كاى والمرابطة فى شانغهاى ، الهجوم اليابانى متحدية تشيانغ كاى شيك ، وذلك بفضل الاستلهام من مشاعر الشعب الفياضة ضد اليابان فى عموم البلاد . وعبأ الحزب الشيوعى عمال وطلاب شانغهاى ، ونظم قوات متطوعة للمشاركة فى القتال ومواصلة العمل خلف الخطوط لمساعدة الجيش . وجمع اهالى شانغهاى ومناطق اخرى من البلاد الاموال لمؤازرة المدافعين . وشكل ذلك كله مساعدة هائلة لجيش الطريق التاسع عشر . ولكن المدافعين عن شانغهاى دحروا بعد ما يزيد على شهر من النضال البطولى ، نتيجة الاعمال الخيانية التى قام بها كومينتانغ تشيانغ كاى شيك . لقد لحقت الهزيمة ايضا ، نتيجة غدر الكومينتانغ ، بمجمل الحركة الواسعة على نطاق الامة ، التى ثارت فى اعقاب الاحتلال اليابانى لشمال شرقى الصين ، لكنها استمرت مع ذلك تؤكد وجودها . ففى مايو ١٩٣٣ ، نظم ثلاثة قادة عسكريين — فنغ يوى شيانغ وفانغ تشن وو وجى هونغ تشانغ (والاخير عضو فى الحزب الشيوعى) ، جيش تشاهار — سوييوان المتحد الضد — يابانى فى تشانغجياكو ، واستولوا على دولون وباوتشانغ وقويوان ومناطق اخرى . وفى نوفمبر من نفس السنة ، اسست بعض العناصر الوطنية فى صفوف الكومينتانغ ومنهم لى جى شن وتشن مينغ شو وتساى تينغ كاى ، حكومة شعبية ضد اليابان فى فوجيان حيث تعاونوا مع الجيش الاحمر لمقاومة اليابان ومعارضة تشيانغ كاى شيك الذى لجأ الى قمعهم بمساعدة المعتدين اليابانيين .

حشد تشيانغ كاى شيك فى يونيو ١٩٣٢ قوة تعدادها ٥٠٠,٠٠٠ جندى لحملة التطويق والابادة الرابعة ضد القواعد الثورية . وفى فبراير من العام التالى ، منى هجوم تشيانغ كاى شيك بالفشل مرة اخرى على يد الجيش الاحمر المركزى الذى خاض قتالا بطوليا تحت قيادة شو ان لاى وتشو ده ونيه رونغ تشن . وتعمقت خطورة الازمة الوطنية يوما فيوما ، فأصدرت الحكومة الديمقراطية للعمال والفلاحين والجيش الاحمر نداء فى ١٧ يناير ١٩٣٣ ، لتوحيد كل القوى المسلحة فى البلاد لصد الغزاة اليابانيين . وقد عبر النداء عن الرغبة فى التعاون مع كل القوى التى تريد مقاومة اليابان ووقف الهجمات على الجيش الاحمر ، والاستعداد لتسليح جماهير الشعب وصيانة حقوقه الديمقراطية . وقد لقى النداء استجابة طيبة من قطاع القادة العسكريين الوطنيين فى الكومينتانغ ، ومنهم فنغ يوى شيانغ ولى جى شن وتشن مينغ شو كما ذكرنا اعلاه . لكن تشيانغ كاى شيك رد على هذا النداء العادل بمواصلة الاستسلام لليابان وبالاستعداد لشن حملة التطويق والابادة على الجيش الاحمر . وقام فى اكتوبر ١٩٣٣ ، بدعم من الولايات المتحدة وبريطانيا واليابان والمانيا وايطاليا ، بشن حملته الكبيرة الخامسة للتطويق والابادة ضد القواعد الثورية .

لم يبال "اليساريون" بزعامة تشن شاو يوى وتشين بانغ شيان فى لجنة الحزب المركزية فى ذلك الوقت ، بالخط العسكرى الذى رسمه ماو تسى تونغ لصد هجوم تشيانغ كاى شيك ، فنفذوا خطا مبنيا على الدفاع السلبى وسياسات اخرى خاطئة ، مما ادى الى فشل الجيش الاحمر فى سحق الحصار ، رغم دفاعه العنيد الذى استمر ما يزيد على سنة . فى هذا الوضع ، لم يكن امام الجيش الاحمر من خيار الا ان يباشر الانتقال الاستراتيجى الكبير ، فغادرت

القوة الرئيسية من الجيش الاحمر قاعدة جيانغشى الثورية فى ١٦ اكتوبر ١٩٣٤ بعد ان اخترقت حصار العدو ، وبدأت مسيرتها الكبرى المشهورة . وتخلفت بعض وحدات حرب العصابات بقيادة شيانغ ينغ وتشن يى لمواصلة قتالها ضد العدو فى تلك المنطقة . وتمكنت هذه الوحدات من صيانة قوتها الثورية فى اثناء النضالات الشاقة لتصبح نواة الجيش الرابع الجديد فيما بعد .

وصل الجيش الاحمر بعد عبور قوانغدونغ وهونان وقوانغشى الى تسونيى بمقاطعة قويتشو فى يناير ١٩٣٥ . وهناك عقد الحزب الشيوعى اجتماعا موسعا للمكتب السياسى للجنة المركزية . وتكلم ماو تسى تونغ فى الاجتماع مستخلصا الدروس الواقعية التى خبرها اثناء الحرب ، فأقنع كثيرا من الرفاق وحاز على تأييدهم . وتم فى هذا الاجتماع وضع حد للخط " اليسارى " الذى انتهجته اللجنة المركزية وتبنى السياسة الصائبة التى طرحها ماو تسى تونغ ، وانتخبت فرقة قيادة عسكرية من ماو تسى تونغ وشو ان لاى ووانغ جيا شيانغ ، كما تحدد المركز القيادى لماو تسى تونغ فى اللجنة المركزية .

وقرر اجتماع تسونيى مواصلة المسيرة شمالا لمقاومة اليابان . ووصل الجيش الاحمر المركزى الى ماوقونغ فى شمالى سيتشوان فى يونيو ، بعد عبور يوننان والحدود بين سيتشوان وشيكانغ . وهناك التقى مع جيش الجبهة الرابعة الذى انسحب من قاعدة سيتشوان — شنشى الثورية ، واندفعا معا الى الشمال ، عابرين الجبال المتجمدة الشامخة ، ووصلا الى ماوأرقاى بالقرب من سونغبان حيث قاد ماو تسى تونغ الحزب والجيش الاحمر فى مقاومة النشاطات الاجرامية لتشانغ قوه تاو والهادفة الى شق الحزب والجيش الاحمر .

ثم واصل الجيش الاحمر المركزى تقدمه باتجاه الشمال ، ووصل الى قاعدة شمالى شنشى الثورية فى اكتوبر ١٩٣٥ ، بعد التغلب على صعاب مهولة وعبور مستنقعات كثيرة وخوض معارك شديدة ومريرة فى مقاطعتى قانسو

وشنشى ، وهناك اتحد مع وحدات الجيش الاحمر المحلية حيث انتهت المسيرة الكبرى ، وهى حدث نادر فى تاريخ البشرية برمته . كما وصل قسم من جيشى الجبهة الثانية والجبهة الرابعة *بقيادة خه لونغ ورن بى شى وقوان شيانغ ينغ وشياو كه ، الى شمالى شنشى للانضمام الى الجيش الاحمر المركزى ، فى اكتوبر ١٩٣٦ .

غطت المسيرة الكبرى التى قام بها الجيش الاحمر احدى عشرة مقاطعة ، وقطعت ١٢٫٥ الف كيلومتر ، واستغرقت سنة كاملة . وقد الحق الجيش الاحمر ، فى اثناء المسيرة ، الهزيمة بـ ٤١١ فرقة كومينتانغية تعدادها بضع مئات الالوف من الجند ، وهزم كافة المحاولات الهادفة الى تطويقه واعتراضه وابادته . واخترق مقاتلو الجيش الاحمر السلاسل الجبلية الخمس والجبال العالية المنحدرة ، وتغلبوا على الحواجز الطبيعية لنهر ووجيانغ ونهر جينشا ونهر دادو ، وتسلقوا الجبال المتجمدة ، وساروا فوق المستنقعات المقفرة ، وشقوا طريقهم عبر مضيق لاتسيكو . وقد انهى الجيش الاحمر مهمته التاريخية بنجاح ، متغلبا على صعوبات ومشقات تفوق تخيل الانسان ، ولكنه لقى مؤازرة من الشعب على طول طريقه ، بما فيها المؤازرة من الاقليات القومية مثل مياو وييى والتبت . واثبتت الخاتمة المظفرة للمسيرة الكبرى ان قوى الشعب الصينى بقيادة الحزب الشيوعى لا تقهر . لقد صلبت المسيرة القوة الاساسية للجيش الاحمر وكوادر الحزب ، كما الهمت كل شعب البلاد ودفعت الحركة الديمقراطية المقاومة لليابان على نطاق الامة الى نهوض جديد .

تشكل الجبهة المتحدة الوطنية المعادية لليابان

انتهزت العائلات الكبيرة الاربع — تشيانغ كاى شيك ، سونغ تسى ون ، كونغ شيانغ شى ، تشن قوه فو مع تشن لى فو ، انتهزت الوضع السياسى

للعيش على دماء وعرق وكدح الشعب فى المناطق الواقعة تحت سيطرة الكومينتانغ . وشكلت من الناحية الاقتصادية ، حكما رأسماليا احتكاريا بيروقراطيا . ومن الناحية السياسية ، اقامت نظام شرطة سرية فاشية كبيرة العدد ، وفرضت ارهابا بوليسيا فاشى الطراز لقمع كل النشاطات الثورية ضد العدوان اليابانى . واستمرت فى تنفيذ سياسة التنازلات الخيانية تجاه المعتدين اليابانيين . وفى مايو ١٩٣٣ ، وقعت " اتفاقية تانغقو " التى اعترفت بالأمر الواقع وهو احتلال اليابان للمقاطعات الاربع فى شمال شرقى الصين : لياونينغ وجيلين وهيلونغجيانغ ورخه . وبعد سنتين ، اى فى مايو ١٩٣٥ ، توصلت الى " اتفاقية خه — اوميزو " التى كانت بمثابة الاعتراف بحق الغزاة اليابانيين فى الاستيلاء والسيطرة على شمالى الصين .

ادى بيع تشيانغ كاى شيك لسيادة الصين بالأزمة الوطنية الى الاشتداد اكثر من ذى قبل . وفى نوفمبر ١٩٣٥ حرض المعتدون اليابانيون الخونة الصينيين على طبخ " حادثة شرق خبى " حيث اقيم نظام سياسى عميل فى الاثنتين وعشرين محافظة هناك . وفى نفس الوقت ، شرع اليابانيون فى حركة " حكم ذاتى " مزعوم لشمالى الصين استخدموه لتوسيع نفوذهم العدوانى فى الشمال .

استفزت هذه الازمة الوطنية الجناح اليسارى للبرجوازية الوطنية الصينية الى ان يعبر علنا عن مشاعره المعادية لليابان . وظهرت فى معسكر الكومينتانغ ايضا وجهات نظر متباينة حول مسألة المقاومة او الاستسلام لليابان .

وفى الفاتح من اغسطس ١٩٣٥ ، اصدر الحزب الشيوعى " نداء للمواطنين حول مقاومة اليابان وانقاذ الوطن " آخذا بعين الاعتبار التغيرات الجديدة فى العلاقات الطبقية داخل الصين فى مواجهة العدوان الامبريالى اليابانى ، وعاملا ايضا وفق تعاليم الاممية الشيوعية بخصوص تشكيل جبهة متحدة ضد

الفاشية والامبريالية . ودعا الحزب فى هذا النداء الى وقف الحرب الاهلية والى عمل موحد ضد اليابان . وفى ديسمبر ١٩٣٥ ، اجازت اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الصينى « قرار حول الوضع السياسى الراهن ومهمات الحزب » ، وبذلك تحددت سياسة الحزب حول الجبهة المتحدة الوطنية المعادية لليابان . والقى ماو تسى تونغ خطابا بعنوان « حول تكتيك مناهضة الامبريالية اليابانية » اوضح فيه هذه السياسة الجديدة على نحو منظم .

وجد مطالب الخلاص الوطنى الذى قدمته مختلف طبقات وفئات الشعب الصينى ، تعبيرا فى حركة ٩ ديسمبر الطلابية الوطنية . فقد نظم طلاب بكين ، استجابة لنداء الحزب الشيوعى وتحت قيادته ، مظاهرة جبارة فى ٩ ديسمبر ١٩٣٥ طالبوا فيها بالمقاومة ضد اليابان ، ونادوا بالخلاص الوطنى ، وعبروا عن معارضتهم للحرب الاهلية ضد الحزب الشيوعى . وفى ١٦ ديسمبر ، انطلقت مظاهرة اكبر حجما بكثير . وقد لقيت هاتان المظاهرتان استجابة فى عموم انحاء البلاد ، وقدمتا حافزا مثيرا للحركة الديمقراطية المعادية لليابان . وسير الطلاب والعمال والمواطنون الآخرون فى هانغتشو وتيانجين وشانغهاى ومدن اخرى ، مظاهرات مماثلة . فأدى ذلك الى تشكيل جمعيات الخلاص الوطنى فى شانغهاى واماكن اخرى . وظهرت المطبوعات الدورية والكتيبات والمنشورات تأييدا للمقاومة ضد اليابان ومن اجل الخلاص الوطنى . وخلق تطور وتعمق حركة الخلاص الوطنى المعادية لليابان ظروفا صالحة لشن حرب المقاومة اللاحقة ضد الاحتلال اليابانى .

تطور الجيش المناهض لليابان فى شمال شرقى الصين تطورا حثيثا ، تحت قيادة الحزب الشيوعى . ففى ١٩٣٤ ، توحدت شتى الفرق المسلحة المعادية لليابان فى شمال شرقى الصين ، وتنظمت فى سبع وحدات سميت باسم " جيش الشمال الشرقى المتحد المناهض لليابان " ، وفقا لتوجيهات اللجنة

المركزية للحزب الشيوعي الصيني . وفي ١٩٣٥ ، توسعت الى احد عشر فيلقا عسكريا وفرقة واحدة . وفي ١٩٣٦ ، اعيد تنظيم مختلف الوحدات في ثلاث مجموعات لخوض حرب عصابات على ثلاث جبهات . وخاض جيش الشمال الشرقي المتحد نضالا بطوليا ضد الغزاة اليابانيين واضطهادهم الفظيع ، في ظروف شديدة القسوة . وآزر الشعب في شمال شرقي الصين نضال الجيش المتحد بكل وسيلة ممكنة ، متحملا كل ضروب المخاطرة . وقد نظر الشعب الى الجيش المتحد على انه امله ، واظهر الاحترام الكافي لقائديه يانغ جينغ يوى ولي هونغ قوانغ . وقد حفز واثار نضال جيش الشمال الشرقي المتحد مشاعر الشعب المعادية لليابان في طول البلاد وعرضها .

كان لنداء الحزب الشيوعي الى اقامة جبهة متحدة وطنية معادية لليابان ، ونمو حركة الخلاص الوطني ، ابلغ تأثير على قطاع من جيش الكومينتانغ . ففي ربيع ١٩٣٦ ، اوقفت قوات جيش الشمال الشرقي الكومينتانغي تحت قيادة تشانغ شيوه ليانغ ، وقوات جيش الطريق السابع عشر بقيادة يانغ هو تشنغ ، التي كان تشيانغ كاي شيك قد وجهها لابادة الشيوعيين في شمالي الصين ، اوقفت عملياتها ضد الجيش الاحمر بعد مفاوضات بين شو ان لاي وتشانغ شيوه ليانغ في يانآن ، وتحالفت معه ضد اليابان . وفي ١٢ ديسمبر ، رفضت قبول اوامر تشيانغ كاي شيك بمهاجمة الجيش الاحمر ، واعتقلت تشيانغ كاي شيك في حركة مباغتة سريعة ، واحتجزته في شيآن وقدمت له ثمانية مطالب ، منها وقف الحرب الاهلية والتعاون مع الشيوعيين لمقاومة اليابان . وتبنى الحزب الشيوعي وقد وعى الازمة الوطنية الخطيرة ، حلا سلميا للحادثة شريطة ان يوافق تشيانغ كاي شيك على الوحدة الوطنية ومقاومة اليابان . ولهذا الغرض ، ارسل الحزب الشيوعي الصيني شو ان لاي وتشين بانغ شيان ويه جيان ينغ الى شيآن ، واطلق سراح تشيانغ كاي شيك بعد ان اجبر على

قبول هذه الشروط . وقد لقيت سياسة الحزب الشيوعى الصينى فى هذه الحادثة تأييد الشعب فى كل البلاد .

كانت حادثة شيآن نقطة انعطاف فى الوضع ، فوقفت الحرب الاهلية التى دامت حوالى عشر سنوات ، وبدأ عهد جديد تميز بالسلام الداخلى والاستعداد لمقاومة اليابان . وبعد حادثة ١٨ سبتمبر ، اصبح التناقض القومى بين الصين واليابان هو التناقض الرئيسى ، واضحت التناقضات بين الشعب الصينى والدول الامبريالية الاخرى وكذلك التناقضات بين مختلف الطبقات فى داخل الصين ، تحتل المرتبة الثانية . كان الغزو اليابانى لشمالى الصين مع التهديد باخضاع كل الصين ، تحديا لمصالح بريطانيا والولايات المتحدة وكلتاهما دولة امبريالية منافسة لليابان . وبالطبع قد اثر هذا الموقف فى العناصر الموالية لبريطانيا وامريكا داخل البرجوازية الكبيرة الصينية التى يمثلها تشيانغ كاى شيك . هذه الاعتبارات ، مقترنة بالضغط الشديد من الشعب ، اجبرت هذه العناصر على قبول سياسة التحالف مع الحزب الشيوعى الصينى للمقاومة ضد الاستعمار اليابانى . وهكذا تشكلت الجبهة المتحدة الوطنية المعادية لليابان التى دعا اليها الحزب الشيوعى ، وضمت العناصر الموالية لبريطانيا وامريكا فى داخل البرجوازية الكبيرة . وفى ربيع ١٩٣٧ ، قدم الحزب الشيوعى برنامجا جديدا دعا فيه الى توطيد السلام الداخلى والديمقراطية وتنظيم المقاومة ضد الاحتلال اليابانى .

وفى هذا الوقت ، كان ماو تسى تونغ منهمكا فى كتابة عدد من المؤلفات النظرية ، فنشر مؤلفه « قضايا الاستراتيجية فى الحرب الثورية الصينية » فى ١٩٣٦ ، ومؤلفاه الفلسفيان « فى الممارسة » و« فى التناقض » فى ١٩٣٧ . ولخص فيها تجارب الثورة الصينية ابان الحرب الاهلية الثورية الثانية ، وقدم مساهمات هامة للخطين الايديولوجى والعسكرى الماركسيين اللينينيين للحزب

الشيوعى الصينى .

واصل الشعب الصينى تحت قيادة الحزب الشيوعى الصينى دفع القضية الثورية العظيمة ضد الامبريالية والاقطاع الى الامام ، خلال السنوات العشر من الحرب الاهلية الثورية الثانية . وشكلت النضالات والتضحيات التى قام بها ما لا يحصى من اعضاء الحزب الشيوعى والثوريين اللاحزبيين وابناء الشعب الصينى ، ملحمة مثيرة على طول الزمن . واحرز الشعب الصينى فى هذه الفترة ، خبرة ثورية وفيرة ، خصوصا فى شن الحرب الثورية الشعبية . كما حققت عملية دمج النظرية الماركسية — اللينينية بممارسة الثورة الصينية تقدما مطردا . وخلال السنوات العشر من النضال الشاق تصلب عود الحزب الشيوعى الصينى وكوادره ، وحافظ جيش العمال والفلاحين الاحمر الصينى على بقائه وقوته ، وتوطدت قاعدة شنشى — قانسو — نينغشيا الثورية . واصبحت كل هذه العوامل دعامة لقضية الثورة حيث كان ممكنا تنظيم وكسب حرب المقاومة ضد اليابان .

٣— حرب المقاومة ضد اليابان
(يوليو ١٩٣٧—سبتمبر ١٩٤٥)

المقاومة بقيادة الحزب الشيوعى

سيطر الركود الاقتصادى على العالم الرأسمالى منذ ١٩٣٣ ، واعقبته ازمة اقتصادية جديدة فى النصف الثانى من ١٩٣٧ ، فنفذت البلدان الفاشية — المانيا واليابان وايطاليا سياسة حرب عدوانية على نحو مسعور . عملت الامبريالية اليابانية على جعل الصين مستعمرة خاصة بها ، فشنت هجوما ضاريا على جسر

لوقوتشياو الواقع فى ضاحية بكين الجنوبية الغربية ، فى ٧ يوليو ١٩٣٧ ، جوبه بمقاومة باسلة من الحامية الصينية هناك . وفى اليوم التالى اصدر الحزب الشيوعى بيانا للأمة بأسرها يدعوها للمقاومة المسلحة . فاضطر الجناح الموالى لبريطانيا وامريكا والمؤلف من كبار ملاك الاراضى والبرجوازية الكبيرة فى داخل كومينتانغ تشيانغ كاى شيك ، الى قبول المقاومة ضد اليابان بعد تذبذب وتردد ، تحت ضغط الشعب من جهة ، وبسبب ان الهجوم اليابانى قد عرض للخطر مصالح الامبرياليين البريطانيين والامريكان ، وكذلك مصالح العائلات الكبيرة الاربع من جهة اخرى . وفى اغسطس ، اعيد تنظيم الجيش الاحمر فى منطقة حدود شنشى — قانسو — نينغشيا الى جيش الطريق الثامن ، ودخل ميدان القتال فى شمالى الصين ضد المعتدين اليابانيين . وكان تشو ده قائدا لجيش الطريق الثامن المؤلف من ٤٥٫٠٠٠ مقاتل ، وبنغ ده هواى نائبا للقائد ، ويه جيان ينغ رئيسا لهيئة الاركان ، وتسوه تشيوان نائبا لرئيس هيئة الاركان ، ورن بى شى مديرا للدائرة السياسية العامة . وكان الجيش مقسما الى ثلاث فرق : الفرقة ١١٥ وقائدها لين بياو ، ومفوضها السياسى ونائب قائدها نيه رونغ تشن ؛ الفرقة ١٢٠ وقائدها خه لونغ ، ومفوضها السياسى قوان شيانغ ينغ ، ونائب قائدها شياو كه ؛ الفرقة ١٢٩ وقائدها ليو بوه تشنغ ، ومفوضها السياسى دنغ شياو بينغ ، ونائب قائدها شيوى شيانغ تشيان . واعلن الكومينتانغ والحزب الشيوعى الصينى تجديد تعاونهما رسميا فى سبتمبر من نفس العام . وهذا معناه التأسيس الرسمى للجبهة المتحدة الوطنية المعادية لليابان التى دعا اليها الحزب الشيوعى . وبعد ذلك بمدة قصيرة ، اعيد تنظيم قوات العصابات التابعة للجيش الاحمر فى الجنوب تحت اسم الجيش الرابع الجديد الذى انطلق للكفاح ضد اليابانيين فى ميدان القتال بالصين الوسطى . وكان يه تينغ قائدا لهذا الجيش المؤلف من ١٥٫٠٠٠ جندى ، وشيانغ ينغ مفوضا

سياسيا ونائبا للقائد ، وتشانغ يون يى رئيسا لهيئة الاركان ، وتشو تشى كون نائبا لرئيس هيئة الاركان ، وبوان قوه بينغ مديرا للدائرة السياسية ، ودنغ تسى هوى نائبا لمدير الدائرة السياسية . وكان الجيش من اربع فرق : الفرقة الاولى وقائدها تشن يى ؛ الفرقة الثانية وقائدها تان تشن لين ، الفرقة الثالثة وقائدها تشانغ يون يى ؛ الفرقة الرابعة وقائدها قاو جينغ تينغ .

بعد اندلاع حرب المقاومة ظهر خطان سياسيان مختلفان بسبب وجود قوتين سياسيتين مختلفتين فى معسكر المقاومة : قوة تمثل كبار ملاك الاراضى والبرجوازية الكبيرة بزعامة العائلات الكبيرة الاربع ، عملت انطلاقا من مصالحها ومصالح الامبريالية البريطانية والامريكية ، ولجأت الى المقاومة السلبية ، متحفزة للمساومة مع اليابان ؛ والقوة الاخرى هى البروليتاريا وجماهير الشعب الواسعة بقيادة الحزب الشيوعى ، وقد سلكت خط الحرب الشعبية والنضال من اجل النصر التام . وفى ٢٣ يوليو ١٩٣٧ ، نشر ماو تسى تونغ مقالة بعنوان « سياسة وتدابير ومستقبل مقاومة الغزو اليابانى » اشار فيها الى ان ثمة سياستين وتدبيرين ومستقبلين فيما يتعلق بمقاومة الغزو اليابانى . وقال ان احدى السياستين تتمثل فى المقاومة الحازمة بالاعتماد على جماهير الشعب ، وسيكون مستقبلها انجاز تحرير الصين . وعلى النقيض من ذلك ، ان لم تكن السياسة سياسة مقاومة حازمة ، بل مساومات وتنازلات وعدم الاعتماد على الشعب ، فالمستقبل الوحيد هو ان يصبح الشعب الصينى عبيدا وحيوانات للحمل . واهاب ماو تسى تونغ بشعب البلاد ان يعارض السياسة الاخيرة ، وان يناضل لتنفيذ السياسة الاولى وتحقيق النصر فى حرب المقاومة الشعبية . وفى ٢٥ اغسطس ، جعل الحزب الشيوعى الصينى من السياسة الاولى اساس "برنامج النقاط العشر لمقاومة اليابان وانقاذ الوطن". وقد قدم البرنامج للشعب هدفا واضحا ورسم السبيل الوحيد للنضال من اجل النصر .

عانت قوات الكومينتانغ هزيمة بعد اخرى فى اثناء الشهور الستة الاولى من حرب المقاومة بسبب الخط المعادى للشعب الذى انتهجته كتلة تشيانغ كاى شيك . وفى نهاية سنة ١٩٣٧ ، هربت فصائلها المتمركزة فى شمالى الصين ، من بكين وتيانجين ، باتجاه الجنوب الى قرب النهر الاصفر . وفى نفس الوقت ، تراجعت قوات الكومينتانغ فى الصين الوسطى من شانغهاى ونانجينغ باتجاه الغرب نحو ووهان . وفى ديسمبر ، بدأت طغمة تشيانغ كاى شيك تهتز ، فدخلت فى مفاوضات مع اليابان بوساطة السفير الالمانى . لكن هذا التحرك احبط بفضل معارضة الحزب الشيوعى الجارفة لأى مساومة او استسلام مع نهوض مشاعر الشعب المعادية لليابانيين .

وخلافا لما حصل لقوات الكومينتانغ ، كان جيش الطريق الثامن والجيش الرابع الجديد بقيادة الحزب الشيوعى ، واسترشادا بسياسة الحرب الشعبية ، قد شنا الهجمات على مؤخرة العدو فى كل من شمال الصين ووسطها ، واحرزا سلسلة من الانتصارات . وفى سبتمبر ، سحق جيش الطريق الثامن ما يزيد على ٣٫٠٠٠ جندى من فرقة ايتاغاكى اليابانية فى ممر بينغشينغقوان بمقاطعة شانشى . فقدم هذا النصر تشجيعا عظيما للحركة المعادية لليابان فى كل البلاد . وواصل جيش الطريق الثامن والجيش الرابع الجديد فتح ميادين القتال فى مؤخرة العدو ، وعبآ الشعب ، وطورا حرب العصابات ، واسسا قواعد ديمقراطية مقاومة للغزاة اليابانيين فى مقاطعات شانشى وتشاهار وخبى وسوييوان وشاندونغ وخنان وآنهوى وجيانغسو . وتشكلت السلطات الشعبية المحلية من مختلف الطبقات الديمقراطية المعادية لليابانيين فى هذه القواعد الديمقراطية ، تحت قيادة الحزب الشيوعى . وجرى تنظيم الشعب وتسليحه على نطاق واسع . ونفذت سياسة تخفيض ايجارات الاراضى وفوائد الديون لتحسين مستوى معيشة الشعب . واثار هذا كله حماسة الشعب للانخراط فى حرب المقاومة ، مما عزز

النضال خلف خطوط العدو بحيث شل حركة ٣٠٠ الف من القوات اليابانية باخضاعها للهجمات المنظمة من المؤخرة ، وذلك فى السنة الاولى من الحرب.

فى مايو ١٩٣٨ ، وضع ماو تسى تونغ مؤلفا بعنوان « حول الحرب الطويلة الامد » لتفنيد وجهتى النظر الخاطئتين اللتين راجتا على نحو واسع فى ذلك الوقت وهما " نظرية سقوط الصين " و" نظرية النصر العاجل " . واوضح ماو فى مؤلفه سياسة الحزب الشيوعى السديدة فى قيادة حرب المقاومة وتوجيه الشعب فى مواصلة حرب طويلة الامد وتحقيق النصر النهائى فيها . واشار ، محالا السمة الاساسية للتناقض بين العدو والشعب الصينى ، الى ان حرب المقاومة ستكون حربا طويلة الامد ، ولكن الشعب الصينى سيفوز حتما بالنصر النهائى اذا هو ناضل بثبات . وتنبأ بأن الحرب ستمر بثلاث مراحل : مرحلة الدفاع الاستراتيجى ، ومرحلة التعادل الاستراتيجى ، ومرحلة الهجوم المضاد الاستراتيجى . وحدد ماو تسى تونغ مجموعة كاملة من المبادئ العسكرية تسترشد بها حرب المقاومة الشعبية ضد اليابان ، وصاغ خطة استراتيجية باهرة لتطوير الحرب الشعبية كيما تتوج حرب المقاومة بالنصر . وقد لعب هذا المؤلف النظرى البارز دورا هاما فى تحقيق النصر الذى احرزته حرب المقاومة الشعبية .

عقد الحزب الشيوعى الصينى الدورة الكاملة السادسة الموسعة للجنة المركزية السادسة فى يانآن . وقررت الدورة ان تجعل من الافكار التى اوضحها ماو تسى تونغ فى مؤلفه « حول الحرب الطويلة الامد » مبدأ مرشدا فى مواصلة حرب المقاومة الطويلة الامد . وفى نفس الوقت ، انتقدت الدورة الافكار الاستسلامية لوانغ مينغ فى داخل الحزب حيال الكومينتانغ . واشارت مرة اخرى الى انه ينبغى للبروليتاريا ان تحتفظ بمبادئ الاستقلال فى الجبهة المتحدة الوطنية المعادية لليابانيين ، وتتحمل مسؤولية قيادة الحرب الوطنية ،

وتنفذ بحزم سياسة الوحدة والصراع فى داخل الجبهة المتحدة . وقررت الدورة تركيز عمل الحزب فى مناطق الحرب ومؤخرة العدو ، ووجوب ان يبذل الحزب اقصى جهوده لتنظيم نضالات الشعب المسلحة ضد اليابان .

احتل الغزاة اليابانيون قوانغتشو ووهان فى اواخر اكتوبر ١٩٣٨ ، وتراجعت قوات الكومينتانغ الى المناطق الجبلية بالجنوب الغربى متخذة من تشونغتشينغ مركزا لها . وشكل تعاظم حجم القوة الكفاحية لجيش الطريق الثامن والجيش الرابع الجديد بقيادة الحزب الشيوعي ، وتأسيس القواعد المقاومة لليابانيين فى مؤخرة العدو ، تهديدا خطيرا للغزاة اليابانيين ، فأوقفوا هجماتهم على قوات الكومينتانغ لتحويل قواتهم الرئيسية الى شمال الصين ووسطها لمجابهة جيش الطريق الثامن والجيش الرابع الجديد . وقد ادى هذا الى تغير كبير فى وضع الحرب ، حيث اصبحت مؤخرة العدو مسرح الحرب الرئيسى ، وتحول القتال الى كر وفر بيننا وبين العدو . وقد تجمد القتال بين اليابانيين والكومينتانغ تقريبا ، فصار لا يعدو اشتباكات متفرقة من حيث الاساس . ووصلت حرب المقاومة الى مرحلة التعادل .

المساعدة من الاتحاد السوفياتي ومحاولة بريطانيا والولايات المتحدة اغراء الكومينتانغ بالصلح مع اليابان

كان الاتحاد السوفياتى بزعامة ستالين البلد الوحيد الذى قدم مساعدة حقيقية للصين فى حربها ضد اليابان ، منذ اندلاعها . ففى ٢١ اغسطس ١٩٣٧ ، وقع الاتحاد السوفياتى معاهدة عدم اعتداء متبادل مع الصين ، ضمانة لدعمه المخلص . وبنهاية سنة ١٩٤١ ، قدرت المساعدة السوفياتية التى تضمنت اسلحة وقروضا ، بخمسة اضعاف حجم القروض من بريطانيا والولايات المتحدة وبلدان اخرى . ان الاتحاد السوفياتى هو البلد الوحيد ايضا الذى

ساعد الصين فى احلك واشد ايام الحرب .

كانت سياسة بريطانيا والولايات المتحدة فى تلك الايام هى " القعود على التل ومشاهدة قتال النمرين " ، وقد قدمتا بعض المساعدات للصين لكى يقتتل " النمران " — الشعب الصينى والامبريالية اليابانية ، بينما هما تجنيان الارباح الطائلة من مبيعات الذخائر . وقدمت الولايات المتحدة لليابان معظم احتياجاتها من النفط والطائرات والنحاس والحديد والفولاذ التى استخدمتها فى حربها العدوانية ضد الصين . هذا فضلا عن ان ٩٢ ٪ من الذخائر التى استخدمتها اليابان فى ١٩٣٨ ، كانت من الولايات المتحدة . واملت بريطانيا والولايات المتحدة ان تتمكنا ، عندما يصيب الانهاك الصين واليابان ، من ارغام الصين على الرضوخ لليابان ، ثم ارغام اليابان على الاذعان لبعض مطالبهما. وبهذا تستطيعان ان تحصدا النتائج بدون عناء شديد .

وفى شتاء ١٩٣٨ وربيع ١٩٣٩ ، نشرت وكالات الانباء الاجنبية عدة مرات اخبارا تؤكد ان الحكومتين البريطانية والامريكية تستعدان لعقد ما يسمى " مؤتمر الباسفيك الدولى " من اجل " التوسط " فى النزاع الصينى — اليابانى . وقد قام السفير البريطانى لدى الصين كلارك كير ، برحلات متواصلة بين هونغ كونغ وتشونغتشينغ وشانغهاى لأجل " الوساطة " . ثم تغيرت سياسة المستعمرين اليابانيين حيال الكومينتانغ من الهجوم العسكرى الى الضغط السياسى ، فأصدرت الحكومة اليابانية سلسلة من البيانات الهادفة الى اغواء تشيانغ كاى شيك لعقد صفقة معهم . وهذه البيانات عززت الى درجة كبيرة قوى المساومة والاستسلام فى داخل المناطق التى يسيطر عليها الكومينتانغ .

الحزب الشيوعى الصينى يثابر على حرب المقاومة
ويصد حملات الكومينتانغ الثلاث ضده

كان الحزب الشيوعى والقوات المعادية لليابان تحت قيادته فى هذا الوقت هى العقبة الكأداء ضد نشاطات الكومينتانغ الاستسلامية . وقد تبنت الطغمة الحاكمة الكومينتانغية مسلكا سلبيا تجاه حرب المقاومة ، وتصرفت كالمتفرج بانتظار نتيجتها ، وهى تتأهب للاستسلام وتركيز قوتها الرئيسية ضد الشيوعيين والشعب . وفى ٧ يوليو ١٩٣٩ ، اصدر الحزب الشيوعى الصينى بيانا يهيب فيه بشعب البلاد كلها ان يثابر على حرب المقاومة ويعارض الاستسلام ؛ يثابر على الوحدة ويعارض الانشقاق ؛ يثابر على التقدم ويعارض التقهقر .

هاجمت قوات الكومينتانغ المسلحة منطقة حدود شنشى — قانسو — نينغشيا والقواعد الديمقراطية المعادية لليابان فى شانشى ، فى شتاء ١٩٣٩ وربيع ١٩٤٠ . وكانت هذه اول حملة ضد الحزب الشيوعى فى فترة حرب المقاومة . فرد العسكريون والمدنيون فى تلك القواعد بتوجيه ضربات مضادة قاصمة الى الغزاة . وقد تصرفوا فى ذلك وفقا للمبادئ التى وضعتها اللجنة المركزية للحزب الشيوعى ، بما فيها مبدأ " تطوير القوى التقدمية ، وكسب القوى الوسطية وعزل القوى المتعنتة " ، ومبدأ " لن نهاجم غيرنا اذا لم يهاجمونا ، واذا هاجمونا فلا بد ان نقابل هجومهم بالمثل " ، ومبدأ خوض النضالات ضد رجعيى الكومينتانغ " على اساس مبرر ومفيد لنا ومقيد " . فصدوا الهجوم الجديد وتغلبوا على خطر الاستسلام مؤقتا .

ولما دخلت حرب المقاومة مرحلة التعادل الاستراتيجى تكثف القتال فى مؤخرة العدو . وانطلق الغزاة اليابانيون يمارسون الحصار وتقطيع قواعد المقاومة الى رقع صغيرة اتباعا لما اسموه " اسلوب قفص السجن " . واردفوا هذا العمل بسلسلة " عمليات اكتساح " . ولكن العسكريين والمدنيين فى القواعد الديمقراطية سحقوا ، فى بسالة وعلى نحو متكرر ، تطويق العدو ، ووسعوا القواعد وطوروا قوتها . وبحلول ١٩٤٠ ، كانت القواعد الديمقراطية تضم

١٠٠ مليون من السكان ، ووصلت القوات العسكرية تحت قيادة الحزب الشيوعى الى ٥٠٠ الف مقاتل ، ونمت عضوية الحزب الشيوعى الى ٨٠٠ الف عضو ، وشهدت الفترة بين اندلاع حرب المقاومة وسنة ١٩٤٠ ، تطورا كاسحا لقوات المقاومة تحت قيادة الحزب الشيوعى .

فى يناير ١٩٤٠ ، اصدر ماو تسى تونغ مؤلفه « حول الديمقراطية الجديدة »، وكان الهدف منه تسليح الحزب الشيوعى الصينى والشعب بالنظرية السليمة والسياسات المرشدة ، ودحض ادعاءات رجعيى الكومينتانغ الذين زعموا ان ظروف الصين لا تسمح الا بوجود " حزب واحد هو الكومينتانغ ، ومذهب واحد وقائد واحد " . وقد قدم ماو تسى تونغ ، على اساس النظرية الماركسية اللينينية والتجربة العملية للثورة الصينية ، توضيحا شاملا لأفكار وسياسات الحزب الشيوعى حول الثورة الصينية والبناء السياسى والاقتصادى والثقافى للصين . واشار الى ان انتصار حرب المقاومة سيكون انتصارا للشعب وللديمقراطية الجديدة ، واثبت ان فاشية رجعيى الكومينتانغ مآلها الى الفشل . وقد زود هذا المؤلف الحزب الشيوعى والشعب ببرنامج ايديولوجى واضح تمام الوضوح .

شن تشيانغ كاى شيك حملته الثانية المعادية للشيوعيين فى اكتوبر ١٩٤٠ ، محاولا تدمير الجيش الرابع الجديد اولا ، ثم جيش الطريق الثامن بالتعاون مع الغزاة اليابانيين . وفى يناير ١٩٤١ ، قام ٨٠ الف جندى كومينتانغى بهجوم مباغت على مقر قيادة الجيش الرابع الجديد فى جنوبى آنهوى . فكافح ١٠ آلاف مقاتل لصد الهجوم فى بسالة ، حتى قتل معظمهم بمن فيهم نائب القائد شيانغ ينغ ، ومدير الدائرة السياسية يوان قوه بينغ ، ورئيس الاركان تشو تسى كون . واعتقل القائد يه تينغ حين كان يتفاوض مع قوات الكومينتانغ . وهذا ما اصبح يعرف باسم " حادثة جنوبى آنهوى " .

عمل الغزاة اليابانيون وانغ جينغ وى الذى استسلم لهم علانية فى ديسمبر

١٩٣٨ واصبح رئيسا للحكومة الوطنية المزعومة فى نانجينغ فى ١٩٤٠ ، بالاتفاق مع تشيانغ كاى شيك ، فى شن الهجمات على قوات الجيش الرابع الجديد المرابطة فى مختلف المناطق فى الصين الوسطى ، وذلك بعد تلك الحادثة فورا . ونقل تشيانغ كاى شيك اعدادا كبيرة من قواته استعدادا لهجوم آخر واسع النطاق على القوات التى يقودها الحزب الشيوعى . وتبنى الحزب الشيوعى ازاء ذلك سياسة ثورية حازمة . ففى ٢٠ يناير ١٩٤١ ، اصدرت اللجنة العسكرية للجنة الحزب المركزية امرا باعادة بناء الجيش الرابع الجديد ، وعينت تشن يى قائدا بالوكالة وتشانغ يون يى نائبا للقائد وليو شاو تشى مفوضا سياسيا . واعيد تنظيم الجيش الرابع الجديد الى سبع فرق : الفرقة الاولى وقائدها سو يوى ؛ الفرقة الثانية وقائدها تشانغ يون يى ؛ الفرقة الثالثة وقائدها هوانغ كه تشنغ ، الفرقة الرابعة وقائدها بنغ شيوه فنغ ، الفرقة الخامسة وقائدها لى شيان نيان ؛ الفرقة السادسة وقائدها تان تشن لين ، الفرقة السابعة وقائدها تشانغ دينغ تشنغ . وفضح الحزب الشيوعى الصينى خيانة الرجعيين لشعب البلاد كلها ، واهاب بالشعب ان يقف ضد الخيانة . وقد عبئ الجيش الرابع الجديد وكل الاهالى فى مختلف القواعد الديمقراطية المعادية لليابانيين ، فى ظل اوامر طارئة ، واتخذت الاستعدادات لصد الهجمات المشتركة من قوات الكومينتانغ والغزاة اليابانيين . وعارضت جماهير الشعب والعناصر الديمقراطية فى داخل صفوف الكومينتانغ ، خصوصا سونغ تشينغ لينغ وخه شيانغ نينغ ، عارضت واحتجت على مسلك تشيانغ كاى شيك الاجرامى . وقد حاقت الهزيمة اخيرا بالحملة الثانية ضد الشيوعيين ، وعزل تشيانغ كاى شيك تماما عن الشعب .

كانت القواعد الديمقراطية المعادية لليابانيين فى عسر شديد فى سنتى ١٩٤١ و١٩٤٢ بسبب الهجمات الوحشية المتكررة التى قام بها الغزاة اليابانيون والقوات العميلة . وصار للمعسكر الفاشى تفوق مؤقت فى ميدان القتال بعد

هجوم هتلر على الاتحاد السوفياتي فى يونيو ١٩٤١ وفى المراحل الاولى من حرب الباسفيك التى بدأت فى ديسمبر من نفس السنة . وكثف الغزاة اليابانيون ، فى محاولة لتحويل شمال ووسط الصين الى قاعدة خلفية لشن حرب عالمية ، حكمهم الاستعمارى الارهابى فى المناطق المحتلة من الصين ، ونهبوا مواردها بكل وسيلة ، وشنوا حملات " اكتساح " مسعورة ضد قواعد المقاومة . وقد لجأوا الى اشد الاجراءات وحشية فى تنفيذ "سياسة التدمير الثلاثية" (سياسة حرق الكل وقتل الكل وسلب الكل) ، محاولين ان يحطموا تلك القواعد تحطيما تاما . وفى نفس الوقت ، كثفت قوات الكومينتانغ من تطويقها للقواعد ، وارسل الكومينتانغ اعدادا كبيرة من قواته الى جانب العدو كقوات لفيفة للمشاركة فى الهجمات على قوات المقاومة . فتقلص على اثر ذلك حجم القواعد وانخفضت اعداد المقاتلين ، وعانى الشعب والقوات المسلحة من الفاقة والحرمان الى حد كبير ، فى ظل الحصار المشترك والعمليات "الاكتساحية" التى قام بها العدو والقوات العميلة . ولكن الشعب وقواته المسلحة واصلت خوض نضالات بطولية ، واتخذ الحرب الشيوعى اجراءات عملية للتغلب على تلك الصعوبات وتجاوز الازمة وتوطيد القواعد . وجرت تعبئة كل الجيش والشعب فى المناطق المحررة فى اعمال واسعة النطاق من اجل الانتاج ، للتغلب على المصاعب المالية والاقتصادية . وبناء على نداء ماو تسى تونغ ، انتظمت كل الوحدات العسكرية والدوائر الحكومية والمدارس وجميع المدنيين فى جماعات لاستصلاح الارض البور وتطوير مؤسسات الانتاج الزراعى الجانبى . وبهذا ، حقق كثير من الوحدات العسكرية الاكتفاء الذاتى كليا او جزئيا ، وتمكنت الدوائر الحكومية والمدارس من تزويد نفسها بمعظم احتياجاتها من الغذاء والكساء . وتنظمت وحدات الميليشيا والفرق العمالية المسلحة على نطاق واسع ، فى النضال المكثف ضد العدو ، بهدف تركيز الهجمات على المجموعات

الصغيرة من قواته . وفى نفس الوقت ، خف العبء عن الفلاحين بفضل تخفيض ايجارات الاراضى وفوائد الديون ، مما ساعدهم على تطوير مبادراتهم فى مساندة حرب المقاومة . ووضعت سياسة " قوات اقل وافضل وادارة ابسط " موضع التنفيذ العملى لتوفير الموارد المالية والمواد فى مناطق القواعد وتخفيف الاعباء عن الشعب . وبذلت الجهود لتوحيد القيادة فى القواعد واقامة حكومة ديمقراطية وتنوير الشعب حول احداث الساعة . ودعى الجيش لمؤازرة الحكومة ومساعدة الشعب بكل وسيلة ممكنة . ودعى الحزب والحكومة والشعب لأداء دورهم فى اسناد الجيش . وبين الحزب الشيوعى للشعب ان الصعاب الحالية ليست سوى " الغبش السابق للفجر " ، واهاب به ان يشد على اسنانه ليتقدم عبر الظلام لملاقاة فجر النصر .

شن الحزب الشيوعى ، فى ذلك الوقت الحرج ، حركة التقويم لتحسين اسلوب عمل الحزب وبالتالى تقوية روحه القتالية . وثقف كوادر الحزب بالمبادئ الاساسية للمادية الديالكتيكية الماركسية اللينينية والمبادئ الرئيسية التى صاغها لينين وستالين فيما يتعلق بدور الحزب الشيوعى ، مع حثهم على معالجة الامور بالانطلاق من الواقع ، ودمج النظرية بالممارسة ، وممارسة النقد والنقد الذاتى ، بغية التغلب على اى اتجاهات تؤدى الى الذاتية والفئوية والكتابات الحزبية المقولبة . وقد ساعدت حركة التقويم الحزب على تحقيق وحدة جديدة على الاساس الايديولوجى للماركسية اللينينية ، مما احدث تطورات عميقة على الحزب الذى انطلق ليقود وينظم جماهير الشعب على نحو اكثر فعالية فى مواصلة نضالاتها .

كان الانتصار الذى احرزه الجيش الاحمر السوفياتى فى معركة ستالينغراد ، فى اوائل فبراير ١٩٤٣ ، نقطة انعطاف فى الحرب العالمية الثانية . ومنذ ذلك الحين تحول المعسكر العالمى المعادى للفاشية من الدفاع الى الهجوم .

وتغلبت المناطق المحررة الصينية على وضع شديد الصعوبة ، ونجحت ابتداء من ١٩٤٢ فى سحق حملات التطويق الفظيعة التى قام بها العدو ، تحت القيادة الباهرة للحزب الشيوعى الصينى وماو تسى تونغ وبفضل التطبيق السديد للسياسات الصائبة . وبدأت المناطق المحررة تتوسع تدريجيا .

شن الكومينتانغ حملته الثالثة المعادية للحرب الشيوعى فى يونيو ويوليو ١٩٤٣ . وقد سحب جيشه الكبير العدد المرابط على ضفة النهر الاصفر ، ووجهه نحو منطقة حدود شنشى — قانسو — نينغشيا ، استعدادا لشن الهجوم على يانآن حاضرة هذه المنطقة ومقر اللجنة المركزية للحزب . وفى نفس الوقت ، طالب الكومينتانغ بـ " حل الحزب الشيوعى الصينى " . ففضح الحزب خطط الكومينتانغ ، وندد بسياسته ، وقام بتعبئة كل العسكريين والمدنيين فى المنطقة بنجاح ليشتركوا فى الاستعدادات الناشطة لصد هجوم الكومينتانغ . واخيرا احبطت مخططات الكومينتانغ فى شن الحملة .

الحزب الشيوعى يناضل من اجل الديمقراطية ومقاومة اليابانيين

بحلول سنة ١٩٤٤ ، بدأت قوات المناطق المحررة تشن هجومات مضادة محدودة ، وكان فى شمال ووسط وجنوب الصين ١٥ قاعدة ديمقراطية معادية لليابانيين ، تضم ٨٠ مليون نسمة و ٤٧٠ الف مقاتل نظامى ، اضافة الى الميليشيا الشعبية التى تعدادها ٢ر٢٧ مليون . وناف اعضاء الحزب الشيوعى على ٩٠٠ الف ، وتحسنت ظروف الشعب المادية فى المناطق المحررة تحسنا ملحوظا نتيجة لتطوير الحركة من اجل الانتاج الحثيث . واصبحت القوات المسلحة والشعب فى المناطق المحررة القوة الرئيسية فى تحقيق النصر فى حرب المقاومة .

وفى المقابل ، صارت المناطق التى يسيطر عليها الكومينتانغ بؤرة للانحطاط والفساد . ووصل حكام الكومينتانغ الرجعيون بزعامة العائلات الكبيرة الاربع

الى وضع تمكنوا فيه من السيطرة على كل النظام الاقتصادى وفرض ضرائب ثقيلة على الشعب . فأصدروا كميات هائلة من الاوراق المالية واحتكروا المواد الغذائية وهربوا السلع الى المناطق التى يسيطر عليها العدو ، ونهبوا الشعب الصينى نهبا محموما وجمعوا ثروات خيالية لأنفسهم . فتراكم رأس المال الاقطاعى والكومبرادورى والاحتكارى العسكرى ، المعروف باسم الرأسمال البيروقراطى ، لدى العائلات المذكورة . وانغمس موظفو الكومينتانغ المدنيون والعسكريون فى الاختلاس والابتزاز والسلب . وتزامن ذلك مع نقص الحبوب وشحة المواد المعيشية بسبب الحصار اليابانى ، مما جعل حياة الشعب لا تطاق . وشنت شرطة الكومينتانغ السرية حملات مداهمة واعتقال واسعة ضد الشعب المحروم من حقوقه الديمقراطية . فألقى بعشرات الالوف من الشباب التقدمى ، ذكورا واناثا ، فى معسكرات الاعتقال حيث تعرضوا للتذبيح والاضطهاد . وقد اثار هذا الحكم الطاغى والفاسد استياء واسعا فى المناطق الخاضعة لحكم الكومينتانغ ، تسبب فى انتفاضات جماهيرية فى اماكن كثيرة .

شن الغزاة اليابانيون الذين اصبحوا فى وضع غير مؤات فى حربهم ضد دول الحلف فى المحيط الهادى ، حملة جديدة فى مارس ١٩٤٤ ، كان الهدف منها فتح خط مواصلات من شمال الصين الى بورما والهند ، فتراجعت قوات الكومينتانغ المنهارة امامهم . ووصل الغزاة اليابانيون الى دوشان بمقاطعة قويتشو فى نهاية ١٩٤٤ ، وقد اثار انهيار جيش الكومينتانغ وحكمه الفاشى مدا عاليا جديدا من حركة الشعب الديمقراطية الوطنية فى المناطق التى يسيطر عليها الكومينتانغ . ونظم الشعب فى تشونغتشينغ وكونمينغ ومناطق اخرى احتشادات جماهيرية ومظاهرات ، طالب من خلالها بالغاء النظم الفاشية ، السياسية والعسكرية ، وانهاء دكتاتورية الكومينتانغ ، واقامة حكومة

ائتلافية ديمقراطية .

وفي سبتمبر ١٩٤٤ ، وجه الحزب الشيوعي الصيني نداء لاعادة تنظيم الحكومة الوطنية والقيادة العليا وتشكيل حكومة ائتلافية ديمقراطية . وحظي هذا النداء باستجابة حماسية من كل الاحزاب والجماعات الديمقراطية ومن كل اوساط الشعب . لكن الكومينتانغ وقف ضد مقترحات الحزب الشيوعي والاحزاب الاخرى . وانتهزت الولايات المتحدة فرصة حرب المقاومة لزيادة سيطرتها على حكومة وقوات الكومينتانغ . وحاول ممثلو امريكا وتشيانغ كاي شيك انجاز " التوحيد " و" الديمقراطية " المزعومتين لحكومة الكومينتانغ بدعوة بعض الشيوعيين للمشاركة في الحكومة ، آملين بهذه الوسيلة صرف النظر عن مطلب اعادة تنظيم حكومة الكومينتانغ الى حكومة ائتلافية ديمقراطية ، والعمل في نفس الوقت على تدمير جيش الطريق الثامن والجيش الرابع الجديد والمناطق المحررة .

لقي هذا الاقتراح المشبوه من الولايات المتحدة وتشيانغ كاي شيك معارضة حازمة من الحزب الشيوعي الصيني ، ومن مختلف الاحزاب والجماعات الديمقراطية الاخرى وجماهير الشعب الغفيرة التي ادركت ، على نحو اكثر واعمق ، الطبيعة الرجعية للولايات المتحدة وتشيانغ كاي شيك .

المؤتمر الوطني السابع للحزب الشيوعي الصيني

عقد الحزب الشيوعي الصيني مؤتمره الوطني السابع في ياتآن في ٢٤ ابريل ١٩٤٥ . وحضره ٥٤٤ مندوبا و٢٠٨ مندوبين احتياطيين يمثلون ٠٠٠ر٢١٠ر١ عضو . واجاز المؤتمر بالاجماع التقرير السياسي « حول الحكومة الائتلافية » الذي قدمه ماو تسي تونغ ، وحلل فيه الوضعين الدولي والمحلي ، ولخص تجربة الحزب في قيادة الثورة الديمقراطية الجديدة في العقدين الماضيين ، خصوصا

تجربة النضال الخطى فى اثناء حرب المقاومة ، وصاغ برنامجا شاملا وخطا سديدا لكل الحزب والامة من اجل هزيمة المعتدين وبناء صين جديدة . واستمع المؤتمر كذلك الى التقرير العسكرى « ميدان القتال فى المناطق المحررة » الذى قدمه تشو ده ، والتقرير التنظيمى حول تعديل دستور الحزب والذى قدمه ليو شاو تشى . واظهر مؤتمر الحزب السابع وحدة لم يسبق لها نظير . وقد اجاز دستورا جديدا وانتخب لجنة مركزية برئاسة ماو تسى تونغ .

واشار المؤتمر الى ان الشعب الصينى تحت قيادة الحزب الشيوعى قد اقام ١٩ منطقة محررة تعداد سكانها ٥ر٩٥ مليون نسمة . ووصل عدد جيش التحرير الشعبى الى ٩١٠ر٠٠٠ مقاتل ، ووصلت الميليشيا الى ٢ر٢ مليون يمارسون العمليات الانتاجية والقتالية . وتحول جيش التحرير الشعبى جزئيا الى الهجوم المضاد منذ ١٩٤٤ . وقد اصبحت اغلب المدن الرئيسية وخطوط المواصلات تحت حصار جيش التحرير او سيطرته عليها . واتضح الآن ان الانتصار فى حرب المقاومة وفى قضية الديمقراطية يمكن ضمانه بالاعتماد على جيش التحرير الشعبى الجبار وعلى وحدة شعب البلاد كلها . واهاب المؤتمر بكل الحزب والشعب فى عموم الوطن خوض النضال من اجل النصر النهائى فى حرب المقاومة ومن اجل اقامة حكومة ائتلافية ديمقراطية .

انتصار حرب المقاومة

فى ٢ مايو ١٩٤٥ ، دخل الجيش الاحمر السوفياتى برلين ، واستسلمت عصابة هتلر النازية بلا قيد ولا شرط ، فانتهت الحرب المعادية للفاشية فى اوربا .

وفى ٨ اغسطس ١٩٤٥ ، اعلن الاتحاد السوفياتى الحرب على اليابان ؛ وفى اليوم التالى ، شن الجيش الاحمر السوفياتى ، منتقلا بسرعة خاطفة ،

هجومه على القاعدة الاستراتيجية للغزاة اليابانيين فى شمال شرقى الصين . وفى ١٠ اغسطس ، اعلنت جمهورية منغوليا الشعبية الحرب على اليابان ، فدمرت اهم قاعدة استراتيجية للغزاة اليابانيين ، وانهار ما يريد على مايون من قوات قواندونغ اليابانية تحت ضربة الجيش الاحمر الباسل .

وفى ٩ اغسطس ، اصدر ماو تسى تونغ بيانا يدعو فيه الشعب الى شن هجوم شامل على اليابانيين . وفى ١٠ اغسطس ، اصدر تشو ده ، القائد العام لجيش التحرير الشعبى الصينى ، امرا للقوات فى المناطق المحررة بأن تنزع سلاح القوات اليابانية فى مناطقها فى مدة محددة . ثم عبئت قوات جيش التحرير الشعبى الصينى فى مختلف المناطق المحررة لشن هجوم كبير على المدن والبلدات وخطوط المواصلات التى يسيطر عليها اليابانيون .

وفى ١٤ اغسطس ، اعلنت اليابان استسلامها بلا قيد ولا شرط ، ووقعت وثائق الاستسلام رسميا فى ٣ سبتمبر ، فانتهت حرب المقاومة بالنصر بعد ٨ سنوات من النضال الشاق الذى خاضه الشعب الصينى .

كان كثير من المدن الكبيرة وخطوط المواصلات الرئيسية التى تحت سيطرة اليابانيين ، مطوقة بشكل محكم من قبل جيش التحرير الشعبى عندما اعلن نبأ الاستسلام اليابانى ، وما كان على القوات اليابانية الا ان تستسلم مباشرة لجيش التحرير الشعبى . وكانت قوات الكومينتانغ ما تزال فى جنوب غربى الصين بعيدة عن ميدان القتال ، ولكن سلطات الكومينتانغ قررت ، تحت توجيه الولايات المتحدة ، ان تنهب من الشعب ثمار النصر فى حرب المقاومة . فتآمرت مع اليابانيين والقوات العميلة على مقاومة جيش التحرير الشعبى ، بينما قدمت القوات الامريكية التسهيلات لنقل قوات الكومينتانغ جوا وبحرا ، للاستيلاء على المدن وخطوط المواصلات ، ولمهاجمة جيش التحرير الشعبى . وهكذا بدأت حرب اهلية جديدة .

٤ـ الحرب الاهلية الثورية الثالثة
(سبتمبر ١٩٤٥ ـ سبتمبر ١٩٤٩)

الحزب الشيوعى يناضل فى سبيل السلام والديمقراطية

خطط الكومينتانغ ، ممثل كبار ملاك الاراضى والبرجوازية الكبيرة ، لاغتصاب ثمار انتصار الشعب فى حرب المقاومة لاقامة حكم دكتاتورى فى سائر ارجاء البلاد ، بعد انتهاء حرب المقاومة . ولجأ الى استخدام القوة العسكرية التى بناها فى اثناء الحرب ، والاسلحة الاجنبية التى تلقاها ، لشن حرب اهلية واسعة النطاق ، وسحق الحزب الشيوعى الصينى وكل قوى الشعب الثورية . وسعت الولايات المتحدة ، بعد استسلام اليابان ، للفوز بالسيطرة على الصين لتحويلها الى مستعمرة امريكية ، بالتواطؤ مع الكومينتانغ .

اراد الشعب الصينى ، بعد تجربة ٨ سنوات مريرة من الحرب ، العيش فى السلام والديمقراطية ، فقاده الحزب الشيوعى المعبر عن مصالحه ، فى النضال من اجلهما . وقد اصدر الحزب فى ٢٥ اغسطس ١٩٤٥ ، بيانا حول الوضع الراهن ، اهاب فيه بكل الشعب ان يسعى لتوحيد البلاد على اساس السلام والديمقراطية والوحدة . وفى ٢٨ اغسطس ، سافر ماو تسى تونغ الى تشونغتشينغ ، مركز حكومة الكومينتانغ لأجل التفاوض . فاضطرت حكومة الكومينتانغ بعد ما يزيد على الشهر من النضال الدائب ، ان تقر بالمبادئ التى عرضها الحزب . وفى ١٠ اكتوبر ، وقع الجانبان اتفاقية ، واعلنا " وجوب تجنب حرب اهلية مهما كان الثمن " . ونصت الاتفاقية على الدعوة الى عقد مؤتمر استشارى سياسى لمناقشة الخطط الاساسية لبناء البلاد سلميا .

سحب الحزب الشيوعى ، وفقا لما جاء فى الاتفاقية ، قواته من شرقى

تشجيانغ وجنوبى جيانغسو وجنوبى آنهوى بعد اعلانها . ولكن الكومينتانغ كان يجرى ترتيبات سرية للهجوم على المناطق المحررة . لذا ما ان وقع الاتفاقية حتى ارسل قوة ضخمة لتهاجم المناطق المحررة فى شانغدانغ بمقاطعة شانشى وفى هانداان بمقاطعة خبى . ولكن جيش التحرير الشعبى صد هذا الهجوم خلال عشرين يوما ، وفقد الكومينتانغ ١١٠ آلاف من قواته . وكانت هذه ضربة قاصمة لخطة الكومينتانغ فى اشعال حرب اهلية جديدة .

كان الحزب الشيوعى الصينى يخوض نضالا حازما من اجل السلام والديمقراطية . ووجد الكومينتانغ وقد هزم فى هجومه العسكرى ، ان الاستعدادات لشن حرب اهلية لم تكن كافية ، لذلك وقع اتفاقية هدنة اخرى مع الحزب الشيوعى فى ١٠ يناير ١٩٤٦ تحت ضغط الرأى المحلى والعالمى ، واصدر الجانبان امرا بوقف اطلاق النار . وقام الجنرال جورج مارشال ، الممثل الخاص للرئيس الامريكى ، بالوساطة العسكرية بين الطرفين ، وكان يهدف لمساعدة الكومينتانغ على كسب الوقت لاعادة توزيع قواته . وافتتح مؤتمر استشارى سياسى فى تشونغتشينغ فى يوم توقيع اتفاقية الهدنة حضره مندوبون عن الحزب الشيوعى والعصبة الديمقراطية الصينية والشخصيات الديمقراطية اللاحزبية . وقدم الحزب الشيوعى كثيرا من المقترحات البناءة ، ونجح فى توحيد القوى الديمقراطية بالبلاد فى نضال مشترك ضد مؤامرة الكومينتانغ الهادفة الى شن حرب اهلية جديدة . ووجد الكومينتانغ نفسه معزولا سياسيا وفاقدا لزمام المبادرة ، فاضطر الى تقديم بعض التنازلات للشعب . وقد تبنى المؤتمر عددا من القرارات التى كانت ملائمة ، فى ذلك الوقت ، لقضية السلام والديمقراطية والوحدة .

الحزب الشيوعى الصينى والشعب الصينى
يسحقان هجمـات القوات الكومينتانغيـة

اعتبر الكومينتانغ الذى شارك فى المؤتمر الاستشارى السياسى دون ارادته ، ان عقد المؤتمر وقراراته هزيمة سياسية له . فانتهك اتفاقية الهدنة بينما كان المؤتمر منعقدا ، وذلك بتحريك اعداد ضخمة من القوات الى جبهات الحرب الاهلية استعدادا للهجوم . وبعد ان اختتم المؤتمر ، عقد الكومينتانغ دورة كاملة للجنته التنفيذية المركزية لاعلان معارضته للقرارات الصادرة عن المؤتمر الاستشارى . وبعد ذلك بفترة وجيزة ، ضرب اتفاقية الهدنة على نحو مسعور ، ومزق قرارات المؤتمر الاستشارى ، واستمر فى الهجوم على المناطق المحررة فى شمال شرقى الصين . وفى ابريل ومايو ، شن حملة اخرى واسعة النطاق . وكان جورج مارشال والممثلون الامريكان الآخرون الذين كانوا يقومون بـ" الوساطة العسكرية " ، يفعلون كل شىء ممكن لمساعدة تشيانغ كاى شيك فى توزيع قواته وشن الحرب الاهلية . وقد نقلت الولايات المتحدة اعدادا كبيرة من قوات تشيانغ كاى شيك جوا وبحرا الى مواقع الهجوم على المناطق المحررة ، وزودت تشيانغ كاى شيك بكميات هائلة من الذخائر ، وجهزت جنوده ودربتهم ، مما مكنه من شن حرب اهلية واسعة تحت تشجيع وتأييد الولايات المتحدة .

ونظرا لمواصلة الحزب الشيوعى جهوده من اجل السلام ، فقد فسر تشيانغ كاى شيك المعتمد على المساعدة الامريكية هذه الجهود على انها دليل ضعف ، فاندفع فى معارضته لهذه الجهود ودس عملاء سريين للعمل ضد الحركة الديمقراطية الوطنية ، وضاعف من اضطهاد الشخصيات الديمقراطية .

وهكذا تعرت خيانة تشيانغ كاى شيك والولايات المتحدة وحقيقة

كلامهم عن " السلام " . وتخلص الشعب الصيني تدريجيا من احلام السلام مقتنعا بأن اسقاط طغمة الكومينتانغ الحاكمة هو شرط اولى لتحقيق السلام والديمقراطية والاستقلال .

وفى ٢٦ يونيو ١٩٤٦ ، حشد تشيانغ كاى شيك جيشا قوامه ٣٠٠ر٠٠٠ جندى ، وشن حملة تطويق ضد المناطق المحررة فى السهول الوسطى على حدود هوبى — خنان . فحطم جيش التحرير بالسهول الوسطى تحت قيادة لى شيان نيان وتشنغ وى سان ووانغ تشن هذه الحملة ، وانتقل الى مواقع جديدة .

واعقب ذلك هجوم شامل فى يوليو ، قامت به قوات تشيانغ كاى شيك ضد المناطق المحررة جميعها ، وجند فيه ٦ر١ مليون من القوات النظامية المدعومة بالمساعدة الامريكية . وتغلغل العدو من كل الجهات الى مختلف المناطق المحررة ، مشعلا نيران حرب اهلية على نطاق لم يسبق له مثيل فى تاريخ الصين .

كان تعداد قوات تشيانغ كاى شيك فى مستهل هذه الحرب ٣ر٤ ملايين جندى ، بينما كان تعداد جيش التحرير الشعبى ٢٨ر١ مايون مقاتل . واتبع الكومينتانغ ، بالاعتماد على تفوقه العددى والمساعدة العسكرية من الولايات المتحدة ، استراتيجية الهجوم الشامل والاستيلاء المسعور على المدن والارض ، على امل ان يحقق الدمار السريع للمناطق المحررة . وقد وصل هذا الهجوم الى ذروته فى اوائل ١٩٤٧ .

وضع الحزب الشيوعى وماو تسى تونغ ، فى مواجهة هذا الوضع ، خططا سياسية وعسكرية لسحق الهجوم الكومينتانغى . ففى المجال السياسى ، كانت هناك ضرورة لتنظيم جبهة متحدة عريضة من كل الشعب ضد تشيانغ كاى شيك والولايات المتحدة . وفى المجال العسكرى ، كان ينبغى لجيش التحرير الشعبى الصينى ، فى مواجهة هجوم العدو المتفوق عدديا ، ان

يتبنى استراتيجية الدفاع المتحرك وانهاك قوة العدو الفعالة دون ان يجعل هدفه الاساسى الدفاع عن المدن .

نفذ جيش التحرير الشعبى على نحو سليم المبادئ العسكرية التى حددتها لجنة الحزب المركزية وماو تسى تونغ . وقد عبئ الجنود والمدنيون فى مختلف المناطق المحررة عند اندلاع الحرب ، لسحق هجمات تشيانغ كاى شيك . وتخلى جيش التحرير الشعبى ، فى بحر ثمانية اشهر ، عن بعض المدن الهامة فى المناطق المحررة مثل تشانغجياكو وتشنغده وهوايين ، ولكنه اباد ، فى مجرى مناوراته ، ٧٠٠ر٠٠٠ من قوات العدو ، وقد سلح جيش التحرير الشعبى نفسه بالمعدات التى استولى عليها من العدو ، وعزز صفوفه بأسرى الحرب بعد ان تم تثقيفهم . وبذلك ازداد حجما وقوة مع استمرار الكفاح ، بينما قلت قوات الكومينتانغ عددا وضعفت روحها المعنوية . واضطر الكومينتانغ لهذا السبب الى ايقاف هجومه الشامل بعد مارس ١٩٤٧ ، وبدء الهجوم المركز على الاجنحة الشرقية والغربية للمناطق المحررة — شاندونغ وشمالى شنشى ، والتحول الى الدفاع فى جبهات اخرى . وقد سحق جيش الشمال الغربى الميدانى بقيادة بنغ ده هواى وخه لونغ وشى تشونغ شيون ، وجيش شرق الصين الميدانى بقيادة تشن يى وسو يوى ، هجمات العدو ، باتباع تكتيكات مرنة . وشرع جيش التحرير الشعبى هجوما مضادا جزئيا فى شمال شرقى الصين وشماليها .

الكفاح فى سبيل التدمير الشامل للنظام الاقطاعـي والكومبرادورى

شل جيش التحرير الشعبى ، بعد سنة من الحرب الدفاعية ، حركة ١٢ر١ مليون من قوات تشيانغ كاى شيك ، ووسع قواته النظامية من ٢٨ر١

مايون الى مليونى مقاتل . ثم تحول بين يوليو وسبتمبر ١٩٤٧ ، الى الهجوم على نطاق البلاد ، ونقل جبهات القتال الرئيسية الى المناطق التى يسيطر عليها الكومينتانغ . وبذلك انتقل جيش التحرير الشعبى من الدفاع الاستراتيجى الى الهجوم الاستراتيجى ، فى حين اضطر جيش تشيانغ كاى شيك الذى اصيبت قوته الفعالة بضربة قاصمة ، الى التحول من الهجوم الاستراتيجى الى الدفاع الاستراتيجى . وكان ذلك نقطة انعطاف فى تاريخ الصين . وقد اشار ماو تسى تونغ فى تقريره « الوضع الراهن ومهماتنا » الذى القاه فى اجتماع اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الصينى فى ديسمبر من نفس السنة ، الى " ان هذه نقطة تحول ينتقل فيها حكم تشيانغ كاى شيك المعادى للثورة والذى دام ٢٠ عاما ، من الاتساع الى الزوال . انها نقطة تحول تنتقل فيها السيطرة الامبريالية التى فرضت على الصين منذ مائة سنة ويزيد ، من الاتساع الى الزوال . " واوضح التقرير ايضا استراتيجية الحزب العسكرية وسياساته بخصوص الاصلاح الزراعى وحركة تقويم الحزب والقضايا المتعلقة بالجبهة المتحدة الديمقراطية الشعبية ومسائل اخرى .

ان تنفيذ الاصلاح الزراعى فى كل المناطق المحررة كان سببا هاما فى قدرة جيش التحرير الشعبى على صد هجوم قوات الكومينتانغ . فقد طالب الفلاحون فى الحاح بتوزيع الاراضى بعد استسلام اليابان . فأصدر الحزب الشيوعى ، تلبية لهذا المطلب ، توجيها فى ٤ مايو ١٩٤٦ ، يقضى بتغيير السياسة من تخفيض الايجارات والفوائد الى مصادرة اراضى طبقة ملاك الاراضى لتوزع على الفلاحين . وفى سبتمبر ١٩٤٧ ، شرع الحزب الشيوعى قانون الارض الذى ساعد على الغاء نظام الملكية القديم ، وطبق نظام " الارض لمن يفلحها " . وبعد ذلك ، شنت حركة اصلاح زراعى واسعة النطاق فى المناطق المحررة قديما والمناطق التى تحررت بعدها مباشرة . فتسلم ما

يقرب من ١٠٠ مليون فلاح فى المناطق المحررة اراضيهم ، بعد سنة من اعلان قانون الارض ، مما شكل زخما عظيما لمشاركتهم فى حرب التحرير ومساندتهم لها ، وساعد الى حد بعيد على تعزيز مؤخرة القوات الشعبية .

تصاعد الحركة الديمقراطية الوطنية فى المناطق التى يسيطر عليها الكومينتانغ

حين كانت حرب تشيانغ كاى شيك الاهلية المعادية للشعب تدور رحاها ، تفاقمت الازمة الاقتصادية بشكل اشد خطورة فى مناطق حكم الكومينتانغ ، بينما تطورت الحركة الديمقراطية الوطنية الشعبية ضد تشيانغ كاى شيك ومسانديه الامريكان ، تطورا حثيثا .

زادت قوة الرأسمال البيروقراطى للعائلات الكبيرة الاربع بعد استسلام اليابانيين ، وذلك بالاستيلاء على ثروات وممتلكات الشعب الصينى التى تراكمت عبر سنوات طويلة من النهب والاستغلال فى ايدى الغزاة اليابانيين . وفى نفس الوقت ، ربطت العائلات الكبيرة الاربع مصالحها بمصالح الرأسمال الاحتكارى الامريكى ، وحولت اقتصاد المناطق التى يسيطر عليها الكومينتانغ الى اقتصاد بلد مستعمر . لقد باع تشيانغ كاى شيك سيادة الصين مقابل المساعدات الامريكية . وتوصلت الولايات المتحدة معه الى معاهدة صداقة وتجارة وملاحة فى نوفمبر ١٩٤٦ ، بيعت بموجبها الحقوق الصينية العسكرية والسياسية والدبلوماسية والاقتصادية ، الى الولايات المتحدة . ومنذ استسلام اليابانيون حتى يوليو ١٩٤٧ ، حصل تشيانغ كاى شيك على مساعدات امريكية تقدر بأكثر من ٤٫٠٠٠ مليون دولار امريكى ، فغمرت السلع الامريكية مناطق حكم الكومينتانغ ، الى جانب ما رافقها من اعمال الغصب والنهب الشنيعة التى اقترفها تشيانغ كاى شيك من اجل شن حربه الاهلية ، مما عجل فى تفاقم

ازمة اقتصادية ليس لها نظير ، ومحت اى امل فى انتعاش الصناعة والتجارة الوطنيتين ، وكانت الزراعة على شفا الانهيار . هذه الحقيقة مع ارتفاع اسعار البضائع والتضخم المالى جعلت حياة الشعب لا تطاق . وبلغت اسعار السلع الاستهلاكية الاساسية ، عشية استسلام اليابانيين ، ١٫٨٠٠ ضعف عن مستوى ما قبل حرب المقاومة ، ثم ارتفعت بمقدار ٦٠٫٠٠٠ ضعف بحلول ابريل ١٩٤٧ . وكان مجمل الاوراق المالية التى اصدرتها حكومة تشيانغ كاى شيك عشية حرب المقاومة ١٫٤٠٠ مليون يوان ، ووصلت ، فى عشية استسلام اليابانيين ، الى ٥٠٠٫٠٠٠ مليون يوان ، ثم ارتفعت فى ابريل ١٩٤٧ الى ما يزيد على ١٦٫٠٠٠٫٠٠٠ مليون يوان .

ومع تعمق الازمة الاقتصادية ، كسبت الحركة الديمقراطية الوطنية الشعبية زخما جديدا ، فى حين اقتربت سياسة تشيانغ كاى شيك من الافلاس ، وفشلت حملاته العسكرية . وشكلت نضالات العمال والطلاب وجماهير الشعب فى مناطق حكم الكومينتانغ ضد الامبريالية الامريكية وتشيانغ كاى شيك ، جبهة ثورية ثانية ، عملت بالتنسيق مع النضالات المسلحة للمدنيين والعسكريين فى المناطق المحررة . نظم اهالى شانغهاى ، فى سبتمبر ١٩٤٦ ، اسبوعا من المظاهرات تحت شعار " لتخرج القوات الامريكية من الصين ! " وفى اول ديسمبر ، حين كانت الجمعية الوطنية المزعومة لتشيانغ كاى شيك فى دورة انعقادها ، وقع حادث فى شانغهاى ، اذ قام عشرات الآلاف من الباعة المتجولين بنضال من اجل حقوقهم ، ولما تفرقوا ، بعد تقديمهم التماسا بالحق فى مزاولة اعمالهم ، تعرضوا لوابل من الرصاص اطلقته عليهم قوات الجيش والشرطة الكومينتانغية . وبنهاية ديسمبر ، نهض نصف مليون طالب احتجاجا على اغتصاب الجنود الامريكان لطالبة من جامعة بكين . وفى مايو ١٩٤٧ ، بدأ الطلاب حركة اخرى ضد الجوع والاضطهاد والحرب

الاهلية . ورغم ان تشيانغ كاى شيك لجأ الى الاعتقال والسجن والضرب واطلاق الرصاص فى محاولة قمع نضالات الطلاب والعمال والجماهير الغفيرة ، الا ان نضالاتهم اشتدت قوة وحزما عن ذى قبل . وفى مايو ١٩٤٨ ، ثارت حركة وطنية اخرى احتجاجا على تشجيع الولايات المتحدة لاحياء العسكرية اليابانية . ووجد تشيانغ كاى شيك نفسه محاصرا من شعب البلاد . وكان الشعب فى المناطق الخاضعة لسيطرة الكومينتانغ ، يعانى صنوف العذاب ويتطلع الى وصول جيش التحرير الشعبى فى وقت مبكر ، واضعا كل آماله فى الحزب الشيوعى .

اتخذت الجبهة المتحدة الديمقراطية الشعبية تحت قيادة الحزب الشيوعى شكلا اكثر تحديدا ، بعد ان تحول جيش التحرير الشعبى الى الهجوم الاستراتيجى . ففى ١٠ اكتوبر ١٩٤٧ ، اصدر جيش التحرير الشعبى بيانا طرح فيه شعار " الاطاحة بتشيانغ كاى شيك وتشكيل حكومة ائتلافية ديمقراطية " . ودعا البيان الى الوحدة بين العمال والفلاحين والجنود والمثقفين ورجال الاعمال وكل الطبقات المضطهدة والمنظمات الشعبية والاحزاب الديمقراطية والاقليات القومية والمغتربين الصينيين والوطنيين الآخرين لتشكيل جبهة متحدة وطنية والاطاحة بحكومة تشيانغ كاى شيك الدكتاتورية واقامة حكومة ائتلافية ديمقراطية . ودعا البيان كل المعادين لحكومة تشيانغ كاى شيك الدكتاتورية الى الالتفاف حول قيادة الحزب الشيوعى الصينى وتأسيس جبهة متحدة ديمقراطية شعبية . وفى ٢٧ اكتوبر ، اصدر تشيانغ كاى شيك امرا بحل العصبة الديمقراطية الصينية . فتأكد بعض المثقفين البرجوازيين الذين كانوا يتعللون واهمين بأن يسيروا فى طريق وسط بين الثورة والثورة المضادة ، من ان الطريق الثالث فى ظل الاضطهاد الذى يمارسه رجعيو الكومينتانغ ليس سوى وهم .

وانضمت مختلف الجماعات السياسية الوسطية الى بعضها بمساعدة الحزب الشيوعى الصينى ، بعد حل العصبة الديمقراطية الصينية . فأعاد شن جون رو وقادة آخرون من العصبة الديمقراطية تأسيس التنظيم فى هونغ كونغ فى ربيع ١٩٤٨ . ووحدت عدة منظمات ديمقراطية فى داخل الكومينتانغ قواها وشكلت اللجنة الثورية للكومينتانغ بقيادة لى جى شن وخه شيانغ نينغ ، ودعت الى التعاون مع الحزب الشيوعى ومعارضة سياسة الكومينتانغ الرجعية وسياسة العدوان الامريكية . كما ازداد النشاط السياسى لأحزاب ديمقراطية اخرى مثل حزب العمال والفلاحين الديمقراطى الصينى ، والجمعية الصينية لتطوير الديمقراطية ، والجمعية الديمقراطية الصينية لبناء الوطن ، وجمعية جيوسان والديمقراطيين غير المنضمين الى احزاب . هكذا نضجت الظروف لتشكيل جبهة متحدة ديمقراطية شعبية بقيادة الحزب الشيوعى الصينى ، ضمت كل الاحزاب الديمقراطية والمنظمات الشعبية .

اصدر الحزب الشيوعى فى اول مايو ١٩٤٨ ، نداء لعقد مؤتمر استشارى سياسى شعبى جديد تستثنى منه كل العناصر الرجعية ، واقامة حكومة ائتلافية ديمقراطية . فحظى هذا النداء بتأييد حماسى من شعب كل البلاد ، وبعثت الاحزاب الديمقراطية وكثير من الشخصيات الديمقراطية ببرقيات تأييد لهذا النداء اعربت فيها عن استجابتها له .

انتصار الحرب الاهلية الثورية الثالثة

شن جيش التحرير الشعبى هجمات متوالية فى ربيع وصيف ١٩٤٨ ، واستولى على عدد كبير من المدن الشديدة التحصين والمنيعة الدفاع . وبعد سبتمبر ١٩٤٨ شن ثلاث حملات كبرى: لياوشى — شنيانغ ، وهواى — هاى ، وبيينغ — تيانجين . ودارت معارك حاسمة بين القوات الرئيسية لكل من جيش

التحرير الشعبى وجيش الكومينتانغ . ففى حملة لياوشى – شنيانغ التى جرت بين ١٢ سبتمبر و٢ نوفمبر ، سحق جيش التحرير الشعبى قوة جيش الكومينتانغ الرئيسية فى الشمال الشرقى والمشكله من ٤٧٠٫٠٠٠ جندى ، وحرر شمال شرقى الصين . ومنذ ذلك الحين اصبح جيش التحرير الشعبى متفوقا على قوات الكومينتانغ ، ليس فى النوعية وحسب ، بل فى الكم ايضا . وانخفضت قوات الكومينتانغ الى ٢٫٩ مليون جندى ، بينما ارتفعت قوات جيش التحرير الشعبى الى ٣ ملايين مقاتل . وفى حملة هوای – های التى جرت بين ٧ نوفمبر ١٩٤٨ و١٠ يناير ١٩٤٩ ، اباد جيش التحرير الشعبى بقيادة لجنة الجبهة الامامية التى ضمت ليو بوه تشنغ وتشن يبى وسو يوى وتان تشن لين ودنغ شياو بينغ ، اباد ٥٥٠٫٠٠٠ جندى من قوات جيش الكومينتانغ الرئيسية فى شرق الصين ، وحرر الاراضى الواقعة الى الشرق واراضى السهول الوسطى شمال نهر اليانغتسى ، باستثناء بعض الاماكن . وبذلك اضحت نانجينغ – مركز حكم الكومينتانغ الرجعى ، وشانغهاى مكشوفتين امام جيش التحرير الشعبى . وبدأت حملة بيبينغ – تيانجين فى ٥ ديسمبر ١٩٤٨ وانتهت فى ٣١ يناير ١٩٤٩ . وقد سحقت قوات الكومينتانغ التى كانت تقبض على تيانجين وتشانغجياكو ، واعيد تنظيم حامية بيبينغ سلميا . وصفى جيش التحرير الشعبى فى هذه الحملة قسما من قوات جيش الكومينتانغ الرئيسية مجموعه ٥٢٠٫٠٠٠ جندى ، وحرر كل شمال الصين ، ما عدا بعض الاماكن . لقد شلت الحملات الكبرى الثلاث القسم الاعظم من قوات الكومينتانغ الرئيسية ، ومكنت ثورة الشعب الصينى من الفوز بنصر عسكرى اساسى .

عقد الحزب الشيوعى الدورة الكاملة الثانية للجنة المركزية السابعة فى مارس ١٩٤٩ ، بعد انتصار الثورة . وقررت الدورة ، تحت ارشاد ماو تسى تونغ ، ان تنقل مركز ثقل عمل الحزب من الريف الى المدن ، واكدت على ضرورة

الاعتماد على الطبقة العاملة وتعلم كيفية ادارة المدن . وحللت الدورة القطاعات المختلفة لاقتصاد الصين ، واشارت الى الدور القيادى لاقتصاد ملكية الدولة الاشتراكى فى الاقتصاد الوطنى . ووضعت سلسلة من السياسات المحددة التى وجب ان يتبناها الحزب حيال مختلف القطاعات فى الاقتصاد الصينى ، وصاغت المبادئ الاساسية المتعلقة بتحول الصين الى مجتمع اشتراكى . وبعد اختتام هذه الدورة ، انتقلت اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الصينى والقيادة العامة لجيش التحرير الشعبى الى بكين .

اخذ الوضع العسكرى يتغير بسرعة فى عموم البلاد لصالح الثورة . وحين كان حكم الكومينتانغ الرجعى على وشك الانهيار ، شنت كتلة الكومينتانغ الحاكمة " هجوم السلام " بناء على توجيه الولايات المتحدة ، فى محاولة للتخلص من الهزيمة . وفى اول يناير ١٩٤٩ ، تقدم تشيانغ كاى شيك بمقترح زائف طلب فيه " السلام " ليكسب الوقت ويبرأ من الجراحات التى الحقتها به الحرب ، حتى يتمكن من تدبير " عودة " لتحطيم الثورة . وبعد ذلك بوقت قصير ، اعلن تشيانغ كاى شيك " تقاعده " ، وترك نائب الرئيس لى تسونغ رن يعالج الوضع ، بينما صار يعمل من وراء الستار . فرد ماو تسى تونغ على ذلك باعلان بيان فى ١٤ يناير طرح فيه ثمانية شروط لتحقيق السلام الحقيقى . ووضع مندوبو الحزب الشيوعى وممثلو حكومة لى تسونغ رن الكومينتانغية اتفاقية حول السلام الداخلى ، ولكن حكومة الكومينتانغ رفضت توقيعها فى ٢٠ ابريل ١٩٤٩ ، بعد ١٥ يوما من المفاوضات . ففضح هذا الامر الطبيعة المنافقة لـ " هجوم السلام " الكومينتانغى فضحا تاما .

بدأ جيش التحرير الشعبى فى عبور نهر اليانغتسى فى ٢١ ابريل ، وتقدم باتجاه المناطق جنوب النهر ليكمل مهمته فى تحرير الوطن . وبعد يومين ، تحررت نانجينغ — مركز حكم الكومينتانغ الرجعى ، فانتهى ذلك

الحكم رسميا . وما لبث ان اعقب ذلك تقدم خاطف لجيش التحرير الشعبى على ميدان قتال يمتد آلاف الكيلومترات من جنوب نهر اليانغتسى الى شمال غربى الصين . وقد اجتثت بقايا قوات تشيانغ كاى شيك فى مجرى هذا التقدم . وبنهاية سنة ١٩٤٩ ، تحرر كل بر الصين ما عدا التبت . لقد تم احراز نصر اساسى فى حرب الشعب الصينى الثورية فى سائر ارجاء الوطن . وفى المدة ما بين يوليو ١٩٤٦ ويونيو ١٩٥٠ ، سحق جيش التحرير الشعبى الصينى ما يزيد على ٨٫٠٧٠٫٠٠٠ جندى من قوات الكومينتانغ المسلحة ، واستولى على اكثر من ٥٤٫٤٠٠ مدفع ، و٣١٩٫٩٠٠ رشاشة ، و١٫٠٠٠ دبابة وعربة مصفحة ، و٢٠٫٠٠٠ سيارة ، وكميات هائلة من الاسلحة والمعدات الاخرى .

افتتاح المجلس الاستشارى السياسى للشعب الصينى

انطلق الشعب الصينى يبنى دولته بعد الاطاحة بحكم الكومينتانغ الرجعى . ونشر ماو تسى تونغ فى اول يوليو ١٩٤٩ ، مقالة بعنوان « حول دكتاتورية الشعب الديمقراطية » موضحا فيها خصائص الصين الجديدة والسياسات الاساسية التى يجب اتباعها . واشار الى ان جمهورية الصين الشعبية هى " دكتاتورية شعب ديمقراطية تقودها الطبقة العاملة وتقوم على اساس التحالف بين العمال والفلاحين " . كما اكد على ان السياسة الخارجية للصين " يجب ان تتفق مع القوى الثورية العالمية " . ووضع ماو تسى تونغ فى هذا المؤلف ، نيابة عن لجنة الحزب المركزية ، المبادئ الاساسية المتعلقة ببناء الصين الجديدة .

افتتحت الدورة الكاملة الاولى للمجلس الاستشارى السياسى للشعب الصينى فى بكين فى ٢١ سبتمبر ، وهو مؤتمر جبهة متحدة ديمقراطية شعبية بقيادة الطبقة العاملة وعلى اساس تحالف العمال والفلاحين . وقد ضم ممثلين

عن العمال والفلاحين والبرجوازية الصغيرة والبرجوازية الوطنية والعناصر الوطنية الديمقراطية الاخرى والاقليات القومية والمغتربين الصينيين . وكان المجلس الاستشارى السياسى ممثلا لشعب كل البلاد ، رغم ان مندوبيه لم ينتخبوا على اساس التصويت العام . وقد مارس صلاحية مجلس وطنى الى حين الدعوة الى عقد مجلس وطنى لنواب الشعب . وتبنت الدورة « المنهاج المشترك للمجلس الاستشارى السياسى للشعب الصينى » . وحدد المنهاج طبيعة ومهمات الصين الجديدة ، وحقوق وواجبات الشعب ، والمبادئ الاساسية المتعلقة بتركيب سلطة الدولة ونظامها العسكرى والسياسات الاقتصادية والثقافية والتربوية والخارجية ، وكذلك سياستها تجاه الاقليات القومية . واوضح المنهاج بجلاء الوضع السياسى القيادى للطبقة العاملة والمركز القيادى لقطاع الاقتصاد الاشتراكى فى الاقتصاد الوطنى ، مما وفر ضمانة هامة لانتقال الصين نحو الاشتراكية . واصبح المنهاج المشترك ميثاقا مؤقتا عظيما للشعب الصينى . كما اجازت الدورة القانون الاساسى للمجلس الاستشارى السياسى والقانون الاساسى للحكومة الشعبية المركزية لجمهورية الصين الشعبية ، وانتخبت ماو تسى تونغ رئيسا لمجلس الحكومة الشعبية المركزية ؛ وتشو ده وليو شاو تشى وسونغ تشينغ لينغ ولى جى شن وتشانغ لان وقاو قانغ نوابا للرئيس ؛ وشو ان لاى و٥٥ آخر اعضاء فى مجلس الحكومة الشعبية المركزية . واقرت الدورة ايضا العلم الوطنى والنشيد الوطنى واختارت بكين عاصمة للبلاد .

تأسيس جمهورية الصين الشعبية

اقيمت احتفالات كبرى بمناسبة تأسيس جمهورية الصين الشعبية فى بكين فى اول اكتوبر ١٩٤٩ . ومن بوابة تيان آن من ببكين ، اعلن ماو تسى تونغ لشعب البلاد والعالم قاطبة ، قيام جمهورية الصين الشعبية والحكومة الشعبية

المركزية ، مسجلا بذلك افتتاح عصر جديد فى تاريخ الصين . لقد استمرت ثورة الديمقراطية الجديدة للشعب الصينى ضد الامبريالية والاقطاع والرأسمالية البيروقراطية ثلاثين سنة ابتداء من حركة الرابع من مايو ١٩١٩ . وتوجت اخيرا بالنصر تحت القيادة الصحيحة للحزب الشيوعى الصينى . كان هذا النصر انتصارا للماركسية الاينينية فى الصين ؛ وانتصارا جديدا للماركسية اللينينية فى البلدان المستعمرة وشبه المستعمرة ؛ وانتصارا عظيما لقضية السلام العالمى والديمقراطية والاشتراكية .

اشار ماو تسى تونغ فى ١٩٤٠ فى مقالته « حول الديمقراطية الجديدة » الى انه " لما كان المجتمع الصينى الحالى هو ، من حيث طبيعته ، مجتمع مستعمر وشبه مستعمر وشبه اقطاعى ، قد تحتم على الثورة الصينية ان تتحقق على خطوتين . الخطوة الاولى هى تحويل هذا المجتمع المستعمر وشبه المستعمر وشبه الاقطاعى الى مجتمع مستقل ديمقراطى . اما الخطوة الثانية فهى مواصلة الثورة قدما وبناء مجتمع اشتراكى . "

بتأسيس جمهورية الصين الشعبية تم انجاز الخطوة الاولى من الثورة الصينبة ، والبدء فى الثانية . ان الحزب الشيوعى الصينى هو الحزب السياسى القائد فى جمهورية الصين الشعبية ، وقد تحمل المهمة التاريخية فى قيادة التحول الاشتراكى والبناء الاشتراكى فى الصين .

٥ــ الثورة الثقافية المعاصرة فى الصين

تشكل الفترة قبل حركة الرابع من مايو والفترة التى اعقبتها ، عهدين مختلفين فى الميدان الثقافى بالصين . فقبل حركة الرابع من مايو ، كان النضال فى الميدان الثقافى بالصين جاريا بين الثقافة الجديدة للبرجوازية والثقافة القديمة

لطبقة ملاك الاراضى الاقطاعية . وتغيرت الامور بعد حركة الرابع من مايو ، فقد ظهرت قوة ثقافية نشطة وجديدة تماما ، وهى الايديولوجية الثقافية الشيوعية .

كانت الثورة الديمقراطية الجديدة ثورة شعبية بقيادة الطبقة العاملة الممثلة فى الحزب الشيوعى الصينى ، وعلى اساس تحالف العمال والفلاحين ، وكانت موجهة ضد الامبريالية والاقطاع والرأسمالية البيروقراطية . كما كانت الثورة الثقافية الديمقراطية الجديدة بقيادة والهام الايديولوجية الثقافية الشيوعية ، معادية للاقطاع ومعادية للكومبرادور ومعادية للفاشية .

وقد جرى الصراع بين مدرسة الثقافة الجديدة التى مثلت ايديولوجيا البرجوازية الثقافية ، والتحالف الثقافى الرجعى لايديولوجيا الاقطاع والكومبرادور ، فى فترة الثورة الديمقراطية القديمة . وانشقت مدرسة الثقافة الجديدة بعد هزيمتها ، فنشطت احدى الجماعات منها فى المطالبة بالديمقراطية والعلم ؛ وتذبذبت اخرى عاجزة عن تحديد اى طريق تسلك ؛ وبقيت ثالثة تتحين الفرص لتحويلها لصالحها . واتحد الباقون مع التحالف الثقافى الرجعى الخاضع للثقافة الامبريالية . وقد ثبت التحالف اقدامه بمساعدة العناصر المتفسخة فى مدرسة الثقافة الجديدة ، وصار قوة رئيسية فى عالم الثقافة فى ذلك الوقت ، لكنه كان كذلك هدفا رئيسيا للثورة الثقافية الديمقراطية الجديدة .

جلب انتصار ثورة اكتوبر الاشتراكية العظيمة فى روسيا آمالا جديدة للشعب الصينى فى التحرر الوطنى . واندلعت حركة الرابع من مايو ١٩١٩ ، فدخلت ثورة الشعب الصينى عهدا تاريخيا جديدا .

ان حركة الرابع من مايو هى حركة معادية للامبريالية والاقطاع ، وقد بدأت كحركة ثورية لجبهة متحدة من ثلاثة قطاعات ــ المثقفين من ذوى الايديولوجيا الشيوعية ، والمثقفين البرجوازيين الصغار الثوريين ، والمثقفين البرجوازيين . وكانت القطاعات الثلاثة منضوية فى الاصل ، تحت لواء

الثقافة الجديدة ، ثم تذبذبت وانتهجت اسلوب الترقب والانتظار . ولكن القسم الاكثر تقدما استطاعوا الافلات من اسار الافكار الديمقراطية القديمة التي قيدتهم ، وتقبلوا مبادئ الشيوعية ، حيث تولوا مركزا قياديا في هذه الحركة العظيمة ، ومهدوا الطريق ايديولوجيا وتنظيميا لتأسيس الحزب الشيوعي الصيني في ١٩٢١ ، بعد ان انصقلوا وتصلبوا في الممارسة العملية في خضم النضال .

ودعت حركة الرابع من مايو ، بقيادة المثقفين ذوى الايديولوجيا الشيوعية ، الى تنشيط العلوم وتطوير الديمقراطية ، وعارضت الكونفوشية والقانون الاخلاقى القديم والادب القديم والخرافة وكل النظام السياسى الاجتماعى القديم . وقد حث لى دا تشاو فى جريدة « الشباب » على " سحق قيود الماضى وتحطيم نير التعاليم القديمة " لخلق " صين فتية " ديمقراطية ، مظهرا بذلك الروح الثورية التامة للشعب الصينى . ودوت « دعوة للسلاح » بقلم لو شيون و« الالاهة » لكو مو جو مع النداء الكفاحى لخوض نضال لا يعرف المساومة ضد الاقطاع .

وتعمقت ثورة الشعب الصينى ، واحتدم النضال الثقافى جنبا لجنب مع النضال السياسى ، بعد تأسيس الحزب الشيوعى الصينى . وقد انحازت الغالبية العظمى من المثقفين البرجوازيين الذين شكلوا الجناح اليمينى فى حركة الرابع من مايو ، الى التحالف الثقافى الرجعى ، وصاروا ادوات ضد الثقافة الديمقراطية الجديدة ، تحت توجيه الامبرياليين ، بينما اتحدت القوة الثقافية الجديدة بقيادة الحزب الشيوعى الصينى مع كل الحلفاء الذين يمكن الاتحاد معهم ، وشنت هجمات بطولية على الثقافة الامبريالية والاقطاعية . واحرز تطور كبير فى مجال العلوم الاجتماعية والفنون والآداب ، بما فى ذلك الفلسفة وعلم الاقتصاد والعلوم السياسية والعلوم العسكرية والتاريخ والادب والفن . . . الخ . وكان لو شيون اعظم طليعى فى هذه القوة الثقافية الجديدة . لقد بدأ منذ اواخر العشرينات ، يدرس وينشر مع ادباء ثوريين آخرين النظرية الماركسية

فى الادب والفن ، مما دفع حركة الادب والفن البروليتاريين الى الامام . وفى مارس ١٩٣٠ ، بادر مع بقية زملائه من الادباء الثوريين الى تأسيس رابطة ادباء الجناح اليسارى بقيادة ومساعدة الحزب الشيوعى . وشجعت الرابطة الادباء على نشر الماركسية اللينينية والابداع فى الكتابة ، وعلى ان يكيفوا اعمالهم مع متطلبات النضال الثورى ، وان يقدموا مساهمات فى كل من النظرية الادبية والكتابة الابداعية . وتمت ترجمة كثير من المؤلفات الماركسية اللينينية الى الصينية ، وحازت المؤلفات الاجتماعية الجديدة على شعبية واسعة . وقد برهن كو مو جو ، من خلال نقاش مقنع فى مؤلفه « دراسة المجتمع الصينى القديم » ، على ان تطور المجتمع الصينى القديم متساوق كليا مع القانون العام المتعلق بالتطور الاجتماعى كما بينه ماركس وانجلز . وبذلك ، اطاح كو مو جو بسفسطات هو شى وشركائه القائلة بأن الوضع فى الصين مختلف وان الماركسية لا تصلح للصين . ووجه بذلك ضربة للتحالف الثقافى الرجعى وعلى رأسه هو شى .

ولجأ الكومينتانغ الى القمع والارهاب لفرض خطه الثقافى ، واخذ كما قال لو شيون : " يلجأ الى الافتراء والقمع والسجن والتذبيح ضد الجناح اليسارى من الادباء ، ويستخدم لهذا الغرض الرعاع والجواسيس والسفاحين . " ورفع لو شيون صوته متحديا للقمع الثقافى فى مقالاته التى عكست روح ملايين الصينيين الثورية وفضحت الملامح القبيحة لقوى الظلام . وقد نورت مقالات لو شيون الشعب الصينى والهمته واوضحت له طريق تقدمه . كما كتب تشيوى تشيو باى الذى عمل مع لو شيون من اجل حفز الثقافة اليسارية ، مقالات كفاحية كثيرة .

وقد لخص ماو تسى تونغ ، الوارث العظيم لأفضل ثقافة صينية عريقة ومؤسس الثقافة الجديدة ، تاريخ الثقافة الصينية الحديثة تلخيصا باهرا ،

واشار فى جلاء الى درب مسيرة القوة الثقافية الجديدة . فحالل فى مقالته «حول الديمقراطية الجديدة» التى كتبها فى يناير ١٩٤٠ ، الثقافه البرجوارية فى فترة الثورة الديمقراطية القديمة والثقافة البروليتارية فى فترة الثورة الديمقراطية الجديدة . واوضح حتمية اخفاق الثقافة البرجوازية ، ونجاح الثقافة البروليتارية . واشار الى ان الثقافة الجديدة ينبغى ان تكون وطنية وعلمية وشعبية فى طبيعتها ، ومعادية لكل من الامبريالية والاقطاع .

وفى مايو ١٩٤٢ نشر مقالته «احاديث فى ندوة الادب والفن بيانآن» التى انتقد فيها مختلف المفاهيم الخاطئة للمثقفين غير البروليتاريين ، خصوصا مثقفى البرجوازية الصغيرة ، فيما يتعلق بالأدب والفن . واوضح كثيرا من المسائل الاساسية حول نظرية الادب والفن ، واشار فى وضوح الى الاتجاه العام الذى ينبغى ان يسلكه الادب والفن لخدمة العمال والفلاحين والجنود .

وفى مؤلفه «حول دكتاتورية الشعب الديمقراطية» الذى كتبه فى اول يوليو ١٩٤٩ بمناسبة الذكرى السنوية الثامنة والعشرين لتأسيس الحزب الشيوعى الصينى ، قدم موجزا لتطور الثقافة الصينية منذ ١٩٤٠ ، جاء فيه : "جميع الطرق الاخرى جربت وجميعها ادت الى الفشل . ومن بين الذين لزموها من سقطوا ومن تنبهوا ومن اخذوا فى تغيير عقليتهم . ان الاحداث تتطور بسرعة ادهشت الكثيرين وجعلتهم يشعرون بالحاجة الى استئناف التعلم . هذه الحالة الفكرية مفهومة ونحن نرحب بهذه الرغبة الحميدة فى استئناف التعلم ." وكانت "جميع الطرق الاخرى" هنا اشارة الى ما يسمى "التعلم الجديد" الذى اخذه المثقفون الصينيون من الدول الرأسمالية الغربية بعد حرب الافيون . وقد دل الواقع على ان النظريات الاجتماعية للتعلم الجديد كانت غير ذات جدوى مطلقا ، فقد دحضها انتصار الثورة الديمقراطية الجديدة — انتصار الماركسية اللينينية فى الصين .

ان الصين من اقدم البلدان حضارة وذات سجل تاريخي يعود الى ما يقرب من اربعة آلاف سنة . وتسجل حوليات الحضارة القديمة ظهور زراعة وصناعة حرفية فى غاية التطور ، وظهور كثير من عظماء المفكرين والعلماء والمخترعين والعلماء العسكريين والادباء والفنانين . وقد نشأت ثقافة اليوم وتطورت من ثقافة العصور القديمة ، وقدم الميراث الغنى لثقافة الصين العريقة اساسا مؤاتيا لتطور الثقافة الجديدة .

تعقيب

قررت جمعية التاريخ الصينى ، فى سنة ١٩٥١ ، ان تؤلف كتابا يقدم موجزا لتاريخ الصين تلبية لحاجة القراء فى الداخل والخارج . ولهذا الغرض دعا كومو جو ، رئيس الجمعية ، وفان ون لان ، نائب رئيس الجمعية ، الراحلان ، الى عقد اجتماع حضره عشرة او اكثر من المؤرخين ، وتقرر فيه ان يكون عنوان الكتاب « موجز تاريخ الصين » ، وان يمثل وجهات نظر غالبية الباحثين فى تاريخ الصين . ووقع الاختيار لكتابة المادة على جيان بوه تسان (١٨٩٨ — ١٩٦٨) وكان استاذا فى قسم التاريخ بجامعة بكين منذ ١٩٥٢ ، وشاو شيون تشنغ (١٩٠٩ — ١٩٧٣) وكان رئيسا لقسم التاريخ بجامعة تشينغهوا ، بالاضافة لى . ساهم فان ون لان بدأب فى المناقشات والمراجعة واقرار الصيغة الاخيرة . وقد صدر الكتاب عن دار الشعب للنشر فى فبراير ١٩٥٦ ، واعيد طبعه عدة مرات . كما نشر باللغات الانجليزية والالمانية والفرنسية عن دار النشر باللغات الاجنبية ببكين ، وباللغات الكورية والويغورية والقازاقية عن دار النشر القومية .

تعرض « موجز تاريخ الصين » للهجوم فى سنوات الاضطراب العشر (١٩٦٦ — ١٩٧٦) . وفى اثنائها مات المؤرخان المتمرسان جيان بوه تسان وشاو شيون تشنغ ، نتيجة الاضطهاد . ويعاد نشر هذا الكتاب فى وقت عادت فيه الحيوية والنشاط الى مجال التاريخ .

لقد ادخلت بعض التعديلات على الكتاب قبل اعادة طبعه فى هذه المرة .

فالقسم المختص بالمرحلة القديمة من تاريخ الصين راجعه تشانغ تشوان شى على اساس المسودة المعدلة من قبل جيان بوه تسان ، والقسم المتعلق بالمرحلة الحديثة راجعه تشن تشينغ هوا ؛ اما القسم الذى يتناول المرحلة المعاصرة فقد روجع من قبلى .

هو هوا

٢٢ نوفمبر ١٩٧٩

مطبعة اللغات الاجنبية بكين

توزيع

الشركة الصينية العالمية لتجارة الكتب

(كوزى شوديان)

ص . ب ٣٩٩ بكين – الصين



中国历史概要

翦伯赞　邵循正　胡华 编著

*

外文出版社出版

（中国北京百万庄路24号）

外文印刷厂印刷

中国国际图书贸易总公司

（中国国际书店）发行

北京399信箱

1985年（32开）第一版

编号：（阿）11050－176

00200

11—A—612P

اصدرت دار النشر باللغـــات الاجنبية ببكين ترجمات عربية لمجموعة من الكتيبات فى تاريخ الصين الحديث الفها اساتذة فى كليتى التاريخ بجامعة فودان وجامعة المعلمين بشانغهاى ، وهى « الحركة الاصلاحية عام ١٨٩٨ » ، و« حرب الافيون » ، و« حركة يى خه توان » ، و« ثـــورة ١٩١١ » و« مملكة تايبينغ » .

هذا الكتاب

يقدم عرضا سريعا عن تاريخ الصين المدون لأربعة آلاف سنة . وقد اختيرت مواده وجرى تحليلها فى دقة وعناية ، لتزويد القارئ العربى ببعض المعارف الضرورية المتعلقة بتاريخ الصين .

ومؤلفو هذا الكتاب ثلاثة من مشاهير المؤرخين المعاصرين وهم جيان بوه تسان (١٨٩٨ - ١٩٦٨) ، الرئيس الراحل لقسم التاريخ بجامعة بكين ، وقد وضع الفصول المتعلقة بالمرحلة القديمة ؛ وشاو شيون تشنغ (١٩٠٩ - ١٩٧٣) ، الرئيس الراحل لقسم التاريخ بجامعة تشينغهوا ، وقد وضع فصول المرحلة الحديثة ؛ وهو هوا الرئيس الحالى لقسم تاريخ الحزب الشيوعى الصينى فى جامعة الشعب الصينى وقد وضع فصول المرحلة المعاصرة .